السبت 22 كانون الثاني 2022
العدد 4542 السنة السادسة عشرة
Samedi 22 Janvier 2022 nº 4542 16ème année

28 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

أنطونان أرتو
نبيّ «مسرح القسوة» ينبعث في القاهرة

63 مليون دولار للجمعيات في لبنان

«فورد» شريكة CIA: نكون حيث تكون الانقلابات
تمويل أميركي للنخب والانتخابات... والذروة في 2011 و2019 [2 - 7]

الموازنة تقترح صلاحيات تشريعية استثنائية لوزير المال: الدولار الضريبي بيد سلامة [10]

الحريري «يتنحّى» الاثنين [8]

اطلب القوس مع الأخبار

مجازر اليمن
أنصار الله يتوعّدون
وأبوظبي تتنصّل

[14 - 15]

لا يلعب الوقت لمصلحة الإمارات، التي ستبقى متأهبة إلى أن ينجلي غبار «المعركة على هامش الحرب» (أ ف ب)

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

على خطى «مؤسسات المجتمع المنفتح» التابعة للملياردير جورج سوروس، تُعتبَر «مؤسسة فورد» من الأذرع الأميركية الخاصة الفاعلة. فهي رائدة في مجال تمويل برامج الهيمنة الثقافية. ووجودها تاريخياً يسبق مؤسسات سوروس بعقود. وهي تتصدّر جهود المقاولة لدى دولة الأمن القومي الأميركية (وذلك موثّق تاريخياً وبحثياً)، ضمن برامج التلاعب بثقافات شعوب الدول المناوئة للمشروع الإمبريالي الغربي بزعامة الأميركيين. في لبنان، تُظهر بيانات التمويل الخاصة بـ «فورد» أنه ليس هناك فرق كبير بين اهتماماتها واهتمامات مؤسسات «المجتمع المنفتح»، بل تكاد أجندتا المؤسّستين تتطابقان وتتكاملان

2011 و2019 مثّلتا ذروة الإنفاق
«فورد» شريكة CIA: 63 مليون دولار للبنان!

علي مراد

كما مؤسسات جورج سوروس، تقسّم مؤسسة فورد العالم جغرافياً إلى 11 منطقة تمويل هي: منطقة الأنديز، البرازيل، المكسيك وأميركا الوسطى، الصين، الهند ونيبال وسريلانكا، إندونيسيا، غرب أفريقيا، شرق أفريقيا، الجنوب الأفريقي، الولايات المتحدة، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يوضح الموقع الإلكتروني لـ «مؤسسة فورد» أنها صرفت في هذه المناطق، في السنوات الـ 15 الماضية، نحو 9 مليارات دولار معظمها في آسيا وأفريقيا. وكانت الصين والهند وروسيا وإندونيسيا ونيجيريا وجنوب أفريقيا ومصر أبرز الدول التي استهدفتها برامج التمويل. وتتمظهر أهداف الهيمنة الثقافية للمشروع الرأسمالي الغربي في توجّهات المؤسسة عندما يتبيّن أنها تصرف النزر اليسير في دول الاتحاد الأوروبي (حوالى 5 ملايين دولار فقط بين عامَي 2006 و2021).

تدّعي «مؤسسة فورد»، على موقعها الإلكتروني، أنها صرفت نحو 236 مليون دولار في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بين عامَي 2006 و2021، دُفع ثلثاها بعد بدء ما يُسمّى «الربيع العربي» عام 2011. وتصدّرت مصر الدول العربية التي ضخّت فيها المؤسسة أموالاً في السنوات الـ 15 الماضية (80,5 مليون دولار)، فيما بلغت «حصة» لبنان 14,6 مليون دولار فقط بين عامَي 2006 و2020. إلا أن بحثاً أجرته «الأخبار» بيّن أنّ المؤسسة ضخّت في لبنان حوالى 63,7 مليون دولار بين عامَي 2001 و2020. هذا الاختلاف في الأرقام يظهر بوضوح لدى الاطّلاع على بيانات التقارير المالية السنوية التي سلّمتها المؤسسة إلى «خدمة الإيرادات الداخلية – IRS» (مصلحة الضرائب التابعة لوزارة الخزانة الأميركية)، ومقارنتها بالأرقام المنشورة على الموقع الإلكتروني. لا يقتصر الاختلاف في الأرقام على ما تصرّح عنه «فورد» للخزانة الأميركية وما تنشره على موقعها، بل ينسحب على كثير من المنظّمات الحكومية التي تتلقّى تمويلاً من المؤسسة. تنشر بعض المنظمات في

> **اختلاف كبير بين ما تعلنه المؤسسة عن تمويلها في لبنان وما تصرّح به لوزارة الخزانة**

تقاريرها السنوية أرقاماً تختلف في كثير من الأحيان عن أرقام مصلحة الضرائب والموقع الإلكتروني لـ «فورد».

لم تسلّم «مؤسسة فورد» إلى وزارة الخارجية، بعد، كشوفاتها للسنة المالية 2020. لكنّ موقعها الإلكتروني يشير إلى أنها أنفقت 8,199,000 دولار لمصلحة منظّمات مجتمع مدني لبنانية، من أجل تنفيذ برامج غالبيتها ذات طابع ثقافي واجتماعي وحقوقي. ووفق بيانات عام 2019 التي صرّحت عنها المؤسسة للخزانة، صرفت «فورد» 4,645,000 دولار في لبنان، فيما سجّل عام 2018 تمويلاً بحوالى 8,820,000 دولار، وهو الأعلى في تاريخ تمويل المؤسسة لبنانياً. وبحسب جداول التمويل والمنح، يتّضح أن المؤسسة مهتمّة بشكل ملحوظ بتمويل برامج خاصة باللاجئين في لبنان، إذ يُلاحظ أنّ الذروة الأولى التي قفز فيها التمويل في لبنان كانت عام 2011، ثم في عام 2014، وغالبية البرامج المموّلة في هذين العامَين وما بينهما كانت تخصَّص للاجئين. عام 2018 شهد القفزة الكبرى في تمويل فورد لبنانياً، والملاحَظ هنا أنّ البرامج المموَّلة ركّزت على الأبعاد الثقافية والاجتماعية والحقوقية، دون السياسية. الذروة الأخيرة بدأت منذ أواخر 2019، وتظهر بيانات تمويل عام 2020 أنّ المؤسسة كثّفت من برامج الإعانة الاقتصادية والاجتماعية، بالتوازي مع استمرار تمويل البرامج الثقافية والفنية والحقوقية.

وبما أنّ ما يقارب نصف ما أنفقته «فورد» في لبنان بين عامَي 2001 و2020 ذهب إلى قطاعَي الثقافة والتعليم، ينبغي أن يكون معلوماً بأنّ الأجندة الخاصة بالمؤسسة (كما أجندة سوروس ومؤسساته) ليست مخبّأة وهي واضحة المعالم والأهداف. يقول عالم الاجتماع الأميركي جيمس بيتراس عن «مؤسسة فورد» والـ CIA: «علاقتهما ببعضهما البعض تمثّل جهداً مشتركاً مدروساً وواعياً لتقوية الهيمنة الثقافية الإمبريالية الأميركية».

بيانات تمويل مؤسسة فورد في لبنان (2020)

القطاع	الجهة الممولة	قيمة التمويل	الهدف المعلن للتمويل
أبحاث إجتماعية	الجامعة الأميركية في بيروت	$ 100,000	للبحث ومناقشة السياسات حول تأثير سياسات الرهن العقاري والإسكان على حصول العائلات على الحماية الاجتماعية في لبنان
تعليم	الجامعة الأميركية في بيروت	$ 1,000,000	دعم عام في أوقات تفشي جائحة كوفيد -19 والأزمة المالية اللبنانية العميقة لمساعدة الجامعة الأميركية في بيروت على تغيير نموذجها التعليمي مع تعزيز المساواة والتنوع والشمول
قانون وحقوق	المفكرة القانونية	$ 1,350,000	الدعم العام للبحوث الاجتماعية والقانونية والدعوة والتقاضي الاستراتيجي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وللدعم الأساسي للتعزيز المؤسسي
	المفكرة القانونية	$ 500,000	الدعم العام للبحوث الاجتماعية والقانونية والدعوة والتقاضي الاستراتيجي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
	شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية	$ 300,000	دعم عام لتنفيذ استراتيجيتها الإقليمية بشأن عدم المساواة والظلم الاجتماعي والاقتصادي وإغلاق الفضاء المدني في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ودعم المشروع لبناء القدرات المؤسسية / استدامة الشبكة
حقوق اللاجئين	اتجاهات – ثقافة مستقلة	$ 650,000	دعم عام للحفاظ على الحيوية الثقافية للفنانين والباحثين السوريين في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وحول العالم، ودعم أساسي لتعزيز المؤسسات
الحركة النسوية	تجمّع الباحثات اللبنانيات - باحثات	$ 24,000	دعم البحث متعدد التخصصات والمنشور الرئيسي حول آثار العنف على النساء والفتيات في بلدان الصراع في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
الناشطية الاجتماعية	Development Pathways	$ 450,000	لدعم نموذج جديد للحماية الاجتماعية الشاملة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في أعقاب COVID-19 من خلال التحليل الجديد وتنمية القدرات وبناء الأدلة (لبنان، الأردن، تونس)
	الصندوق الأميركي لليونيسيف - United States Fund for UNICEF	$ 1,000,000	الاستفادة من التحويلات النقدية الطارئة لانفجار بيروت نحو نظام حماية اجتماعية وطني معزز وخاضع للمساءلة
	University of Bath	$ 625,000	دعم مختبرات السياسات لإشراك أصحاب المصلحة المتعددين في الحماية الاجتماعية بما في ذلك الأوساط الأكاديمية والمجتمع المدني والحكومة وتوثيق دراسات الحالة في الأردن ولبنان وتونس
	دعم لبنان - Lebanon Support	$ 500,000	لدعم البحث الموجه نحو العمل والحوار بين أصحاب المصلحة المتعددين من الباحثين والخبراء والمجتمع المدني ووسائل الإعلام وصانعي السياسات بشأن العدالة الاجتماعية وإشراك المواطنين والحماية الاجتماعية الشاملة في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا
ثقافة وفنون	المورد الثقافي	$ 750,000	دعم عام لتعزيز الإبداع الفني في المنطقة العربية، وبناء قدرات المؤسسات الثقافية الناشئة والدعم الأساسي للبناء المؤسسي
	جمعية العمل للأمل - Action for Hope	$ 550,000	دعم عام لتمكين المجتمعات التي تمر بأزمة من مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من خلال التعبير الفني والإبداع والدعم الأساسي لبناء القدرات المؤسسية
	الجمعية الثقافية للسينما والإنتاج السمعي البصري – Beirut DC	$ 400,000	الدعم العام لتعزيز استراتيجية الصورة المتحركة الجديدة المدفوعة بالتأثير الاجتماعي، ودعم المشروع لتعزيز المؤسسات
المجموع		$ 8,199,000	

للإطلاع على كامل البيانات لاعوام (2001 - 2020) زوروا موقعنا

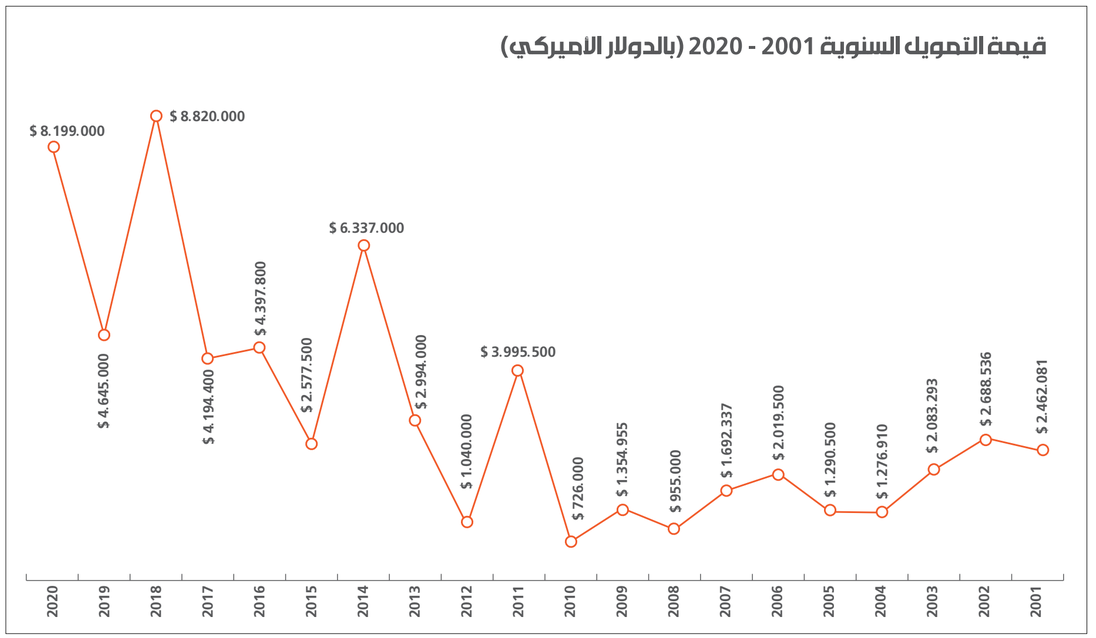

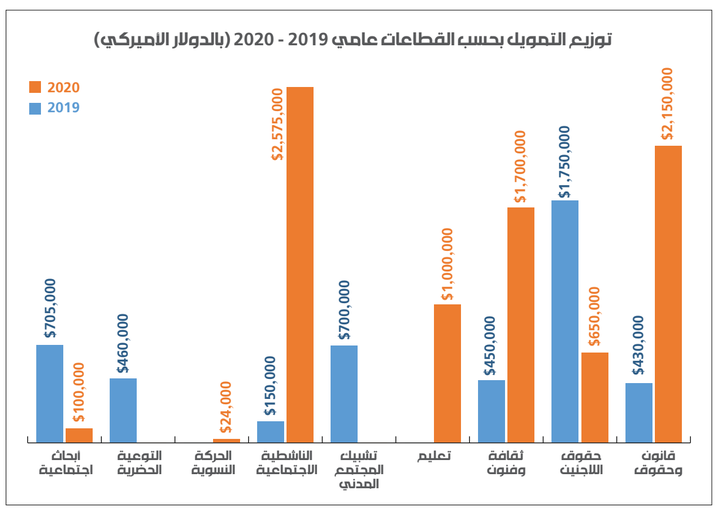

لعنة خطّ التجميع

جمال غصن

يشكّل المجال الثقافي الملعب الأكبر لتوغّل أموال جورج سوروس في العالم العربي (كما ظهر في البيانات التي نشرتها «الأخبار» الأسبوع الماضي). لكن سوروس ليس اللاعب الوحيد في هذا المجال. هناك لاعب آخر مات منذ زمن، منذ 75 سنة تحديداً، لكن لا يزال طيفه يلاحقنا. إنه صانع السيارات هنري فورد.

لن يتمكّن أحد من وصف لعنة هنري فورد على عمّال المصانع كما فعل شارلي تشابلن في فيلمه Modern Times (1936) أو «العصر الحديث». في نقده للعصر الحديث، يظهر تشابلن حياة عامل مصنع يعمل على «خط التجميع المتحرّك»، الذي ابتكره فورد واعتُبر إنجازاً ثورياً في مجال الإنتاجية في الصناعة يومها، وهو فعلاً كان ثورة في استغلال العمّال. اللافت أن استغلال هنري فورد لعمّاله ومراكمته لفائض قيمة عملهم الذي سلبهم إياه لا يزال يثمر خدمات للرأسمالية المعولمة حتى يومنا هذا. واللافت أكثر هو أن هذه الخدمات تأتي على شكل مِنح «خيرية» يمنّن فيها الناهب المنهوب، والأخير يتّخذ الأول مثالاً أعلى له ردّاً للمعروف. لا أظن أن حتى فورد كان يحلم بأن إرثه وثروته سينتجان معامل للثقافة العربية، مثلاً وليس حصراً، وأن صنّاعها لن يكونوا إلّا خط تجميع لأفكار تُملى عليهم عبر استراتيجيات هيمنة تصيغها مصالح رأس المال، ويا نعم الإبداع.

السيارة التي أنتجها فورد على خط تجميعه الثوري كانت الـ Model T، أو النموذج تاء (لا أدري إن كانت التاء مفتوحة أو مربوطة). وكان العمال يقضون أيامهم في المصنع يكرّرون الحركة ذاتها التي يتقنونها أو يُلقّنونها، أو المهارة كما يحبّذ محفّزو الرأسمالية تسميتها، على مدى ساعات وأيام وسنين لكسب قوتهم، وإن كان ذلك على حساب صحتهم وسعادتهم، والأهم انسلاخهم عن المنتج الذي يفترض أن يعطي العامل حساً بالإنجاز. المنتج النهائي في أيام فورد كان سيارة تشبه كل السيارات الأخرى التي سبقتها وتلتها على خط التجميع، لكنها أرخص من السيارات المنافسة.

أمّا النموذج تاء الفوردي في فنون العرب، فقد جاء، في حقبة ما بعد عصر روتانا، أي أنه لم يكن من الصعب التفوّق على الانحطاط الذي سبقه. لكن مع ذلك، يبدو أن اتّخاذ الفنانين لذائقة وكرم طويل العمر فلان أو علتان ملهماً ومعياراً للفن يبقى أفضل بأشواط من إنتاج تلك الفنون على خط تجميع أحاديّي المهارة. لكن لئلا نظلم هنري فورد كثيراً، فرغم استغلاله لعمّاله هو كان يريد للعمّال في مصانعه أن يكسبوا أجراً يكفيهم لشراء المنتج الذي ينتجونه وإن كان بعد سنين من الادّخار، إذ كان أجر العامل في مصانعه التي تسحق الروح مغرياً نسبياً مقارنة بما كان متاحاً في حينها في مدينة ديترويت الأميركية وجوارها. أجور «فورد» لخدمة الاستعمار اليوم أيضاً مغرية، بل مغرية جداً للبعض الذي يضع يده على التمويل أولاً، وتعلّم من فورد الأول استغلال عمّاله، والعمل المطلوب من العمّال هو أيضاً ساحق للرّوح. لكن الفرق اليوم هو أن منتج مثقّفي فورد العرب، الرخيص هو الآخر، لا يشتريه أحد خارج فقاعة المغرّر بهم... ولا حتّى بالبلاش.

قضية اليوم | **مقاتلو الحرب الناعمة**

نكون حيث تكون الانقلابات

تاريخ «فورد»: مال وبنون... ومخابرات

جوليا قاسم

شهد القرن العشرون في الولايات المتحدة نمو المؤسسات الخاصة للحفاظ على الثروة المُعفاة من الضرائب. في هذا السياق، تأسّست مؤسسة «فورد»، عام 1936، بمنحة قدرها 25000 دولار من صانع السيارات الشهير هنري فورد لابنه إدسل فورد مقابل 88% من أسهم المؤسسة ما يضمن بقاء ثروة الشركة في أيدي العائلة. اختار هنري فورد، أواخر أربعينيات القرن الماضي، بول هوفمان، المدير التنفيذي في شركة Studebaker لصناعة السيارات، رئيساً للمؤسسة. كانت شركة هوفمان آنذاك قد دخلت التفتيش القضائي مع بداية الكساد الكبير والانهيار المالي أواخر خمسينيات القرن الماضي، وأغلقت آخر مصانعها عام 1966. ومع انحسار طفرة صناعة السيارات خلال فترة الحرب، وظهور المجمع الصناعي العسكري الأميركي بعد الحرب العالمية الثانية، انتقل أباطرة السيارات إلى جني الأموال من الفائدة المرتفعة على الثروة التي راكموها والربط بين العمل الخيري الخاص والدولة لتمويل الجبهة «الناعمة» للحرب الباردة.

ترأس هوفمان «خطة مارشال»، قرض الـ13 مليار دولار لإعمار وإنعاش دول أوروبا الغربية بعد الحرب. جعلت «خطة مارشال» أوروبا الغربية مدينة للولايات المتحدة ومؤسساتها المالية الدولية الحديثة النشأة مثل «البنك الدولي» و«صندوق النقد الدولي». كما دعمت تدابير تحرير الاقتصادات وأرست سيطرة الشركات الأميركية وهيمنة صادراتها على الصناعات الأوروبية. وبذلك ولد النموذج لنشاط «مؤسسة فورد» في الدول الأخرى، والذي يظهر نموذج اقتصاد المانحين الحالي. توسّعت المؤسسة دولياً بعد الحرب العالمية الثانية، وشكّلت وحدة تنسيق مع وكالة المخابرات المركزية (CIA)، وكانت حجة رئيس المؤسسة في حينها جون ماكلوي أن الوكالة كانت ستخترق المؤسسة في كل الأحوال.

> **بعد الحرب العالمية الثانية شكّلت المؤسسة وحدة تنسيق مع وكالة الاستخبارات المركزية**

نشر أمناء المؤسسة، عام 1950، تقريراً مع لجنة دراسة من الباحثين والأكاديميين ورؤساء مؤسسات الدفاع الوطني الكبرى، مثل روان غايثر، صديق إدسيل فورد ورئيس مجموعة RAND، ووليام ماكبيك الرئيس السابق لفرع البحوث التربوية في وزارة الدفاع الأميركية، وعضو مجلس البحث والتطوير في «المؤسسة العسكرية الوطنية» دونالد ماركيز، وآخرين. تضمّن التقرير الأهداف الرئيسية للمؤسسة، ومنها «تخفيف حدة التوترات التي تهدد السلام العالمي» و«تعزيز الأمم المتحدة والوكالات المرتبطة بها» و«تحسين الإجراءات التي تدير بها الولايات المتحدة الشؤون العالمية».

الشرف الأوسط

عام 1953، توسّعت أنشطة «مؤسسة فورد» لتشمل بيروت، فساهمت بمنحة قيمتها مليون دولار للجامعة الأميركية في بيروت للبحوث الزراعية. كما موّلت مراكز تدريب للمدارس الريفية في سوريا. وأحرزت المؤسسة تقدّماً في العالم العربي في أعقاب الانقلاب المدعوم من الولايات المتحدة في سوريا والذي نصّب مؤقتاً نظاماً موالياً لها عام 1949، واستفادت الولايات المتحدة من «جبهة الأعمال الخيرية» وسعت من خلالها إلى ترسيخ حلف بغداد المناهض للسوفيات.

شملت محاولات انتشار «فورد» في الشرق الأوسط مبادرات فاشلة للتنمية الريفية في إيران منذ عام 1953 وطوال عقد الستينيات، إثر إطاحة وكالة المخابرات المركزية برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق في انقلاب، بعد قراره بتأميم النفط الإيراني. وحيثما كانت «مؤسسة فورد» حاضرة، كانت الانقلابات. ففي السنوات التي سبقت الإطاحة برئيس تشيلي اليساري سالفادور الليندي عام 1973، كانت تشيلي الدولة الأكثر تمويلاً من «فورد». وكلّف الديكتاتور أغوستو بينوشيه المدعوم من الولايات المتحدة المجموعة المعروفة بـ«صبية شيكاغو»، وهم اقتصاديون تشيليون درسوا في جامعة شيكاغو بموجب منح من مؤسسات روكفلر وفورد، لتولي مهمة لبرلة الاقتصاد الجديد.

لا يزال الارتباط الوثيق بين «مؤسسة فورد» والمؤسسات المالية الدولية ووكالة الاستخبارات المركزية، المعلن عنه في تقرير عام 1950، قائماً حتى اليوم. تخيّلت قمة «ريزاين»، على هامش «منتدى الاقتصاد العالمي» لعام 2010، عالم ما بعد الحكومات على أنه مكوّن من التكنوقراط والمجتمع المدني لاستعادة الثقة بالنظام المالي العالمي من دون المضايقات التي لا يمكن التنبؤ بها من «المؤسسات التقليدية»، أي الدول والحكومات والأنظمة. ويتطابق ذلك مع كتابات رئيس منتدى الاقتصاد العالمي كلاوس شواب الذي يروّج فيها لما يسميه «الثورة الصناعية الرابعة»، حيث قد تفشل الحكومات وتفسح المجال لترابط معولم مختلف. ويحضر ذلك في منتدى الاقتصاد العالمي في كل بند من بنود جدول الأعمال، إذ يشارك ممثلو «مؤسسة فورد»، وهي أيضاً المؤسسة الأميركية الرئيسة التي تحضر في مؤتمرات بيلدربيرغ المُغلقة في هولندا، والتي ينظّمها شواب دورياً مع مجموعة حصرية من ممثلي الشركات الغربية والمؤسسات وأجهزة الدفاع بهدف «تعزيز النزعة الأطلسية» ضد التيار الأوراسي المتصاعد.

كان «الربيع العربي» ساحة اختبار لبدء تطبيق هذا المفهوم من خلال الحرب الناعمة. عدم القدرة على الاتكال على حلفاء الغرب التقليديين في لبنان ووقف تدفق الودائع الأجنبية بعد عام 2011، دفع بـ«مؤسسة فورد» إلى تعزيز الاستثمار في المؤسسات والمنظمات الجديدة التي من شأنها تسريع أنشطتها التقليدية في لبنان. تقليدياً، كانت «فورد» تشكّل النفوذ المدني من خلال التمويل التعليمي والمؤسسي، أما اليوم فتحولت إلى دعم مؤسسات تسعى إلى تقويض الدولة اللبنانية الضعيفة نسبياً واستبدالها.

(هروات بو حيدر)

العمل الخيري في خدمة Wall Street

وفقاً للبيانات الضريبية لـ«مؤسسة فورد» لعام 2019 ازدادت أصول المؤسسة الخيرية من 11,1 مليار دولار إلى 12,5 مليار دولار خلال عشر سنوات. وفيما يبدو العمل الخيري للمؤسسة سخياً، إلا أن الواضح أن استثماراتها بعشرات الملايين حول العالم تُترجم مليارات إضافية في ميزانيتها العامة. واحدٌ من دوافع سفارات الولايات المتحدة، وفقاً لموقع وزارة الخارجية الأميركية، في دعمها للمنظمات غير الحكومية وعملها يتمثل في تمكين «مشاريع الأعمال الأميركية من إيجاد شركاء وعملاء».

ورغم وصفها بالخيرية، إلا أنّ المؤسسات الأميركية «الخيرية» مطالبة فقط باستثمار 5% من التبرعات التي تحصل عليها في «الأعمال الخيرية»، أما الباقي فيُستثمر في سوق الأسهم الأميركية، ما يشرح الترابط القوي بين الشركات الكبرى وهذه المؤسسات. والكثير من المؤسسات الخيرية لا تلتزم بهذه النسبة. ففي عام 2018، تبرّعت «فورد» تحديداً بـ 4% فقط من مجموع ريعها لأسباب «خيرية» بينما يتمتع رأسماليو «وول ستريت» بـ96% من مال الوقف. هذه مؤسسة تدّعي «مكافحة عدم المساواة».

CIA والحرية الثقافيّة

عِشرة عمر

أنشأت وكالة المخابرات المركزية الأميركية عام 1950 ما سمّته «مجلس الحرية الثقافية» (CCF)، وكانت مكاتبه الرئيسية في باريس. صُمّم المجلس كجبهة ثقافية في الحرب الباردة رداً على الـ«كومنفورم» السوفياتي، وتولّى تأسيس وتمويل شبكة عالمية من المجلات الأدبية (إضافة إلى مؤتمرات وحفلات موسيقية ومعارض فنية وفعّاليات ثقافية أخرى). بين عامَي 1962 و1966، طوّر CCF شبكة متنامية من المجلات مثل Encounter في لندن، وTransition في أوغندا، وQuest في الهند، وMundo Nuevo الأميركية اللاتينية ومقرها في باريس، ومجلة «حوار» في بيروت. تولّى توفيق الصايغ رئاسة تحرير «حوار»، وحصل على تمويل مجلّته من CCF عبر «مؤسسة فورد» بإشراف الـ CIA. اعتُبرَت مجلة «حوار» آنذاك طليعية في انتقاء وإبراز نخبة ثقافية عربية، مقدِّمة للكتّاب مبالغ مالية مجزية، فضلاً عن الحرية الثقافية التي حظيت بالإشادة. بحلول عام 1966، افتُضح أمر تمويل «حوار» عبر «مؤسسة فورد» كواجهة للـ CIA، عندما نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» قصة استعمال الـ CIA «مجلس الحرية الثقافية - CCF» و«مؤسسة فورد» كواجهة لتأسيس وتمويل مؤسسات ثقافية وأدبية كانت مهامّها تتلخّص بتنفيذ برامج للهيمنة الثقافية الغربية.

قضية اليوم | مقاتلو الحرب الناعمة

من التنمية الريفيّة إلى شراء «النّخب»

(هيثم الموسوي)

جوليا قاسم

«مؤسسة فورد» هي من أكبر المستثمرين غير الحكوميين الأميركيين في لبنان، وبلغ حجم إنفاقها في هذا البلد 10,1 ملايين دولار عام 2019 وحده. بين عامَي 2016 و2017، سجّلت المؤسسة قفزة نوعية في «الاستثمار» في لبنان، فزادت إنفاقها من 4,4 ملايين دولار إلى 9,6 ملايين دولار. وفي عام 2016، خضعت «فورد» لإعادة هيكلة لتبني نموذج «الاستثمار المؤثر» من خلال دمج المنح، تطبيقاً للأهداف المشار إليها في منتدى الاقتصاد العالمي لعام 2016 حول «معالجة اللامساواة» كونها تساعد على انتقال الرأسمالية العالمية إلى مرحلة «الثورة الصناعية الرابعة» التي يقودها الذكاء الاصطناعي.

على مستوى لبنان، انتقلت «فورد»، بعد عام 2015، من دعم المنظمات غير الحكومية الصغيرة عبر تقديم منح إلى تمويل المنظمات المؤسسية الكبيرة، مع التركيز على الفنون وبحوث السياسات. 84% من إجمالي تمويل المؤسسة بين عامَي 2010 و2020 تركّز في النصف الثاني من هذا العقد، وكان عام 2018 الأسخى من حيث المِنح المقدّمة. وإذا كان هذا يدل على استراتيجية «دمج منح» فورد بعد عام 2016، إلا أن النسبة المئوية وتوزيع التمويل وتدفق أموال المانحين تشير إلى زيادة الاهتمام بلبنان لأسباب سياسية واقتصادية.

وبعدما كانت أول منحة للمؤسسة، بقيمة مليون دولار عام 1953، مخصّصة للاستثمار في المدارس الريفية، انتقلت المؤسسة في السنوات الماضية والعقود الأخيرة إلى تعزيز عملها ونشاطها في المنطقة الحضرية. عام 2017، تلقّت الجامعة الأميركية في بيروت منحة لافتتاح Beirut Urban Lab. وعام 2012، تأسّس «استوديو أشغال عامة» بدعم من المؤسسة لتعزيز توجيه المجتمع المدني نحو الحقوق الحضرية، بدءاً من التزام المشاريع جنباً إلى جنب مع المنظمات غير الحكومية الأخرى. ويسجّل ذلك انسجاماً مع اهتمامات «فورد» التاريخية، إذ ركّزت على مشاريع التنمية الريفية حين كانت الولايات المتحدة تقارع السوفيات، بينما انتقلت في ما بعد إلى دعم النخب للتأثير على صنّاع الرأي العام.

> **84 % من تمويل المؤسسة للبنان سُجل بين عامي 2010 و2020 وكان عام 2018 الأسخى**

«المجلس العربي للعلوم الاجتماعية»

المجلس العربي للعلوم الاجتماعية المموّل من «فورد» هو ممولّ رئيسي لأبحاث العلوم الاجتماعية في لبنان والشرق الأوسط. تواصل «فورد» تمويل أبحاث السياسات والبرامج والمنح الدراسية تحت عنوان «الحدّ من اللامساواة». عام 2012، بالتزامن مع أحداث «الربيع العربي»، ساعد إنشاء «المجلس العربي للعلوم الاجتماعية» في تسريع وتوسيع نطاق أبحاث العلوم الاجتماعية بشكل كبير، مع التركيز على نشاط المجتمع المدني ضمن سياق عدم المساواة الحضرية والنقاشات الأكاديمية حول «المساحات» كمحور رئيسي. ويموّل المجلس أيضاً برامج المنح التجريبية التي تهدف إلى حشد الدعم للباحثين العرب الشباب في ظل ما تعتبره المنظمة «أفكاراً قديمة» ومؤسسات متخلّفة «غير مضيافة» في العالم العربي، والتي لم يُشر إلى أنها نتاج الإمبريالية، بل نتيجة القصور «المتأصل» في المجتمعات والدول العربية.

«مسح المجتمع المدني»

كان الموضوع الرئيسي والاستراتيجي في أبحاث العلوم الاجتماعية المموّلة من «مؤسسة فورد»، ولا سيّما بعد عام 2015، يركّز على مسح وتنظيم المجتمع المدني، عادة، حول القضايا الحضرية. تتجلى مشاريع وبحوث «مسح المجتمع المدني» من خلال التداخل بين الفنون والتعبير الإبداعي (مؤسستا «اتجاهات» و«أفاق»)، واستكشاف دور اللاجئين السوريين في تشكيل المجتمع المدني في لبنان («الجمعية الاقتصادية اللبنانية»، و«معهد الأصفري»، و«اتجاهات»)، والشمل والمشاركة المدنية (Lebanon Support، معهد الأصفري). ويشرح أحد الباحثين من Beirut Urban Lab بأنّ الأحداث المتغيّرة في لبنان سهّلت بطبيعة الحال قدرة الباحثين على التكيف والاستجابة لمراحل الأزمات المختلفة. لكن التأثير الأهم كان في إدخال الأفكار والخطابات التي كان يتم تجاهلها في المجتمع اللبناني، مثل «الحق في السكن».

«فورد» والانتخابات: نشاط منذ نهاية التسعينيّات

جوليا قاسم

في تقريرها السنوي لعام 1990، توضح «مؤسسة فورد» أنها عملت على اللامركزية (واحدة من مخلّفات العصر النيوليبرالي التاتشري)، داعمة البحوث التي تلقي ما تشير إليه بـ«الفيدرالية الجديدة». وهي تحدّد بين مجالات تركيزها الخمسة الرئيسة، ثلاثة مجالات يكثر الحديث عنها في لبنان اليوم: القضايا الانتخابية، والسياسات المتعلقة بالنفط والغاز، و«تعزيز اللامركزية»، وسبق أن أظهرت انخراطاً كبيراً في رصد الانتخابات ومحاولة تشكيل نتائجها في دول الجنوب العالمي، بدعم من شبكات المجتمع المدني.

«المركز اللبناني للدراسات السياسية» (LCPS)

في لبنان، تركت «فورد» بصماتها على المشهد الانتخابي منتصف التسعينيات، مع منحة أولية بقيمة 190 ألف دولار قدمتها إلى «المركز اللبناني للدراسات السياسية» عام 1994.

يقول مكرم عويس، الأكاديمي والباحث في المركز إنّه بدأ «بمجموعة مثقفين، جابوا العالم وعملوا في كلّ مكان» لمعرفة «كيفية إعادة بناء الوطن والدولة... ولإعادة ديمقراطيتنا إلى المسار الصحيح»، مشيراً إلى أنّ المركز «يضع جدول أعماله الخاص أولاً»، قبل طلب تمويل أفكاره. وعن العلاقة المالية بمؤسسات مثل «فورد»، قال عويس إنّ المركز «غير مقيّد بما يريده المموّلون. لذا نذهب... ونبحث عن مانحين مختلفين». وشدّد على أنّ المنظمات الدولية والمؤسسات الرئيسية والوكالات الغربية لا توجّه عمل المركز بل تمثل أصحاب المصالح الذين يستفيد المركز من مساهماتهم حين تتاح فرص للتعاون معهم، مضيفاً أن «التحديد» لا يعكس بالضرورة منظوراً واحداً، و«الأحداث هي التي تسيّر مجريات الأمور، وليس المموّلون».

انطلق «المركز اللبناني للدراسات السياسية» عام 1989، وتجلّى حضوره البارز في تكوين شكل الحوكمة والسياسات في لبنان ما بعد الحرب وفي المنطقة العربية ككلّ. ويقرّ عويس بأن المركز كان من أهم المنظمات التي استطاعت إيصال المجتمع المدني إلى جبهة تحديد السياسات في لبنان.

عام 1998، نُظّمت أول انتخابات بلدية بعد 30 عاماً، وكانت إنجازاً نُسب إلى المجتمع المدني وجهداً رئيسياً بذله «المركز اللبناني للدراسات السياسية» والمنظمات القرينة له. وبحلول عام 1997، استثمرت «مؤسسة فورد» 230 ألف دولار أخرى في المركز، مع إدراج المنحة في قائمة «دعم البحوث ونشرها حول عملية إعادة الإعمار السياسي والإداري في لبنان».

مع نجاح حملة الانتخابات البلدية، ساهمت «مؤسسة فورد»، عام 1998، في تمويل دراسة للمركز بعنوان «الانتخابات البلدية اللبنانية لعام 1998: مخاض الديمقراطية في بنى المجتمعات المحلية». جمعت الدراسة المعلومات الاجتماعية والسياسية والبنى التحتية حول الانتخابات البلدية، بهدف التوصية بمزيد من مشاريع القوانين التي تدعم اللامركزية الإدارية وتعميق نطاق مراقبة الانتخابات من قبل منظمات مثل «الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات» (LADE). وفي ظلّ المناخ السياسي الذي أعقب عام 2005، كانت قضايا المركز الجوهرية الدافع الأساس لعدد من التغييرات القانونية والانتخابية الجديدة، إذ لعب دوراً أساسياً في لجنة «قانون فؤاد بطرس» الانتخابي عام 2006، وهي نتاج توصيات بول سالم التي من شأنها أن تمنح مصالح المجتمع المدني نفوذاً أكبر في صنع القرار (مثل خفض سن التصويت إلى 18 سنة، حصة 30% للنساء في البرلمان، وإدراج المغتربين على لوائح الشطب في لبنان). أضف إلى ذلك، الدعوة لتأسيس «الهيئة المستقلّة لتنظيم الانتخابات» التي تضم ممثلين عن وسائل الإعلام، وأكاديميين، فضلاً عن قضاة مختارين، لتحلّ محل وزارة الداخلية. وتضمنت المقترحات أيضاً صياغة قانون اللامركزية الإدارية لعام 2014، وتأسيس «تحالف النفط والغاز في لبنان» عام 2014، بعد عام من التشاور مع القطاعين التجاري والصناعي، للدعوة إلى أن يكون المجتمع المدني «في صميم جهود منع الحكومة من السيطرة الحصرية على القطاع».

بول سالم البداية

أسّس بول سالم، الذي يرأس حالياً معهد الشرق الأوسط في واشنطن، «المركز اللبناني للدراسات السياسية» عام 1989 ليكون «المركز الفكري الأول في لبنان»، وهو تولّى إدارته لـ 10 سنوات، وأشرف على إنشاء ثلاث منظمات غير حكومية أخرى. فضلاً عن «الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات» عام 1996، ساهم سالم خلال فترة عمله مع المركز في إنشاء «شبكة حلّ النزاعات اللبنانية» عام 1996، و«الجمعية اللبنانية لتعزيز الشفافية» عام 1999. واستكمل مشواره في تأسيس «مركز كارنيغي للشرق الأوسط» في بيروت عام 2006 بتمويل من «مؤسسة فورد»، والذي بات اكبر مركز أبحاث (Think Tank) إقليمياً.

زياد بارود: مفتاح الـ NGOs

كان زياد بارود أحد أوائل الزملاء الباحثين في «المركز اللبناني للدراسات السياسية» ولا يزال ضمن مجلس إدارته. في العقد الماضي، برز بارود في الحكومة اللبنانية كأحد رجالات المجتمع المدني، والذي قادته المحاماة إلى الانتخابات منتصف التسعينيات. تولّى سابقاً رئاسة «الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات» (LADE) التي انبثقت عن «المركز اللبناني للدراسات» عام 1996. كما أسّس الحملة المدنية للإصلاح الانتخابي، وهي مجموعة من 80 منظمة غير حكومية برزت خلال توليه وزارة الداخلية بين عامَي 2008 و2011.

ساعد بارود، الوزير، في حثّ وتعزيز العديد من إجراءات «الحملة المدنية لإصلاح الانتخابات» (CCER). وقد لوحظ في وثائق «ويكيليكس» (https://wikileaks.org/plusd/a.html_08BEIRUT1024/cables) أنّ التركيز تمحور حول الانتخابات اللبنانية عام 2009، بعد أن شهدت الفترة الواقعة بين عامَي 2006 و2008 أحداثاً سياسية وعسكرية كبرى مثل حرب تموز وأحداث 7 أيار. وجاء في «ويكيليكس» أنّ بارود، المحامي، هو «جهة مفتاحية للتواصل مع السفارة الأميركية بشأن مجموعة متنوّعة من قضايا المنظمات غير الحكومية». إلى ذلك، ساهمت جهود التحالف المدعوم من المجتمع المدني في خسارة تحالف قوى 8 آذار في الانتخابات اللبنانية لعام 2009، والتي فاز فيها التحالف المدعوم من الولايات المتحدة. وفي العام نفسه حصل بارود على جائزة الأمم المتحدة للخدمة العامة.

بين عامَي 1993 و1996، عمل بارود في مكتب محاماة إبراهيم النجار الذي تولّى وزارة العدل في حكومة فؤاد السنيورة عام 2008، إلى جانب بارود وزيراً للداخلية والبلديات. بين عامَي 2009 و2010 سجّلت في لبنان العديد من كبرى المنظمات التي دعمتها «مؤسسة فورد» خلال العقد الماضي، مثل «المفكرة القانونية»، و «Lebanon Support»، و«المؤسسة العربية للحريات والمساواة»، و«المجلس العربي للعلوم الاجتماعية». ليشكّل في آخر المطاف النموذج الذي وضعه سالم و«المركز اللبناني للدراسات السياسية» خريطة الطريق للمنظمات التي تُعنى بالبحوث والسياسات الإقليمية والمدعومة من «فورد».

قضية اليوم

إعلان الخروج الاثنين
الحريري «ينعى» المستقبل أمام نوابه

ميسم رزق

لم يقض زعيم تيار المُستقبل سعد الحريري وقته، منذ وصوله إلى بيروت قبل يومين، في ممارسة هواياته وتحضير أطباق إيطالية واستقبال أصدقاء. المفارقة أن جدول أعمال رئيس الحكومة السابق، ربما للمرة الأولى، كان جدياً وخالياً من «الاستجمام». المفارقة الأخرى، أيضاً، أن «الشيخ» استفاق متأخراً جداً، وعاد بعد «خراب البصرة» ليُخبر «جماعته» عن هذا الخراب وأن لا مجال لـ«قيامة».

اجتماعات الحريري، أمس، لم تتضمّن نقداً ذاتياً أو مُراجعة، بل عرْض لخيارات يدرسها الحريري، بدءاً من عزوفه عن الترشّح للانتخابات النيابية، مروراً بحلّ الماكينات

> وحده النائب سمير الجسر التقى مع الحريري في مقاربته

والمنسقيات والتيار ككل. «الأمور مفتوحة على كل الاحتمالات»، هذا ما أوحى به الحريري الذي لم يفرج دفعة واحدة عمّا يخطّط له.

في اليوم الثاني لزيارته، التقى الحريري كتلة «المستقبل» النيابية ومكتبه الرئاسي، في جلستَين منفصلتين استمرتا لساعات. خلالهما، استذكر النتائج المُخيّبة التي حصدها هو وتياره من السياسات والتحالفات الخاطئة منذ عام 2005. تحدث عن كل ما يتّصل بتيار رفيق الحريري، كيف كان، وما أصبح عليه. وقدّم مطالعة حول واقع التيار المالي والتنظيمي والسياسي والشعبي، محاولاً إيهامهم بأنه يُفكّر معهم بصوت عالٍ ويريد الاستماع الى آرائهم، لكنهم جميعاً فهموا أن القرار مُتّخذ: «لا مكان لتيار المستقبل في الانتخابات المقبلة». هذا هو المهم، والباقي تفاصيل.

كل نائب في الكتلة أدلى بموقفه، وتقاطعوا جميعاً عند رفض قرار الانسحاب بالكامل من المشهد. وحده النائب سمير الجسر كان خارج السرب، و«قدّم مطالعة سياسية وقانونية التقت مع الحريري في مقاربته للأمور منذ عام 2005، وبخاصة بعد أحداث 17 تشرين». أما الآخرون فقد أصابتهم حال من الذهول والصدمة والاستياء الكبير من «تغليب الحريري مصلحته الشخصية على مصلحة التيار ككل». لم تكُن الأجواء داخل الجلسة حادة، كما قيل، لكنها كانت «ثقيلة». صحيح أن الغالبية كانت تتوقّع ما سيقوله، نتيجة ما تسرّب قبيل مجيئه، لكن «الاحتضار يختلف عن الموت»!

(دالاتي ونهرا)

أكثر من نائب في الكتلة أكدوا للحريري أن «قراره بعدم الترشح أو تبنّي لوائح غير منطقي أو مقبول. لا بل هو قرار مُجحف وستكون له تداعيات كبيرة على الجمهور وعلى الطائفة وعلينا». ورفض عدد من النواب ما قيل عن نسبة التأييد في الشارع، مشيرين إلى أن «لديهم أصواتاً انتخابية كثيرة في مناطقهم، وأن ما يساعدهم هو غياب البديل». لكن الحريري لم يظهر اقتناعاً بكل ما قيل، وأكد أنه «يفضّل أن لا يخرج حالياً أي موقف رسمي عن التيار»، لأنه يريد أن يستكمل جولته السياسية. لكن «أريدكم الاثنين هنا، كل أعضاء الكتلة»، كما نُقل عنه، مع التداول بمعلومات عن نيته عقد مؤتمر صحافي لإعلان الموقف رسمياً، ويريد أن تكون الكتلة معه للإيحاء بوجود تأييد نيابي لهذا الموقف.

وفيما نقلت مصادر مستقبلية «وجود نقمة كبيرة لدى المنسقيات»، قالت إن «الخطوة الأصعب هي في التفاصيل التنفيذية التي لم تتضح اليتها بعد»، علماً بأن هناك «أموراً كثيرة بدت غير مفهومة»، منها على سبيل المثال أن «طقم الحرس القديم الذي كان موجوداً سابقاً في بيت الوسط تبدّل».

ومن المفترض أن يستكمل الحريري جولته خلال الأيام المقبلة، وقد تشمل كلاً من رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، ورئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تلقّى اتصالاً من الحريري أول من أمس، طلب برّي منه الانتهاء من جولته قبل أن يلتقيا.

في الواجهة

هل يُعاد النظر في قانون الانتخاب بشطب اقتراع المغتربين؟

ربط الرئيس ميشال عون العقد الاستثنائي ببرنامج عمل، فربط الثنائي الشيعي العودة الى مجلس الوزراء ببرنامج. لم يكونا في توقيت واحد، لكن تقاطعهما كان كذلك. مصادفة مسحورة في أقل من 10 أيام: عقد استثنائي، فإعطاب محكمة التمييز، وعودة مجلس الوزراء إلى الحياة

نقولا ناصيف

عندما يُعاود مجلس الوزراء اجتماعاته الاثنين، للمرة الأولى منذ 12 تشرين الأول، بنصابَيه كاملَين، القانوني والسياسي، لن يسع أحد من أفرقائه أن يفرح وحده لأنه الرابح الوحيد. في ما انتهت إليه المرحلة السابقة، منذ تعطيله الى استرجاعه أنفاسه، الأطراف الثلاثة الفعليون ربحوا على قدم المساواة، لأن أياً منهم لم يقدّم أياً من التنازلات الى الفريق الآخر: رئيس الجمهورية، رئيس الحكومة والثنائي الشيعي.

من دون أن يخلصوا الى اتفاق يستجيب لشروط كل منهم، في آن، ولا يُشعر أحدهم بأنه انكسر للآخر، كان سيتعذّر حتماً العودة الى جلسات مجلس الوزراء. انفجرت الأزمة لأن الثنائي الشيعي طلب إطاحة المحقق العدلي في انفجار مرفأ بيروت طارق البيطار، من داخل مجلس الوزراء أو من خارجه. رفض الرئيسان ميشال عون ونجيب ميقاتي الطلب المتشدد، فشُلّت السلطة الإجرائية طوال ثلاثة أشهر. تحت عباءة الطلب الشيعي، تجمّعت أسباب كافية كي تؤول الى كل ما حصل خلال هذا الوقت.

رافق تعطيل جلسات مجلس الوزراء، في اليوم نفسه، صدور مذكرة توقيف غيابية عن البيطار في حق النائب علي حسن خليل، أمست أولى الذرائع، قبل أن تتبعها بعد يومين في 14 تشرين الأول أحداث الطيونة. بيد أنها تحولت الى أول بنود التسوية غير المعلنة، كي يعود الجميع الى مجلس الوزراء. نجم عنها مذاك كباش طويل بين الأفرقاء أولئك، وكل منهم كان يعتقد بأنه سيحمل الآخر على أن يقول «آخ» أولاً. سرعان ما رُبط تعطيل انعقاد مجلس النواب بتعطيل جلسات مجلس الوزراء.

في نهاية المطاف، بانَ أنهم أقوى من أن يُحمل أحدهم على أن يصرخ قبل الآخر.

لم يكن لمجلس الوزراء أن يعود الى اجتماعاته، بعد بيان الثنائي الشيعي في 15 كانون الثاني، لو لم تكرّسه سيبة رضائية بين عون وميقاتي والثنائي الشيعي على بنود ثلاثة، أتى الانهيار المتتالي المفاجئ للعملة الوطنية، طوال أربعة أيام، الى أرقام قياسية تاريخية وصلت الى 33 ألف ليرة للدولار الواحد، كي يعزّز التوقيت المناسب والعنصر الضاغط والمكسب المربح لهم جميعاً:

1 - وضع حدّ لأزمة مذكرة التوقيف الغيابية الصادرة في حق خليل في 12 تشرين الأول، من خلال فتح عقد استثنائي لمجلس النواب أصدر رئيس الجمهورية مرسومه في 6 كانون الثاني، ربط الالتئام بالعقد العادي الأول للمجلس في 22 آذار. وهو آخر عقود ولاية المجلس الحالي قبل الذهاب الى الانتخابات النيابية العامة. مهما تكن المرات التي سيجتمع فيها المجلس أو لا يجتمع، لم يعدُ العقد الاستثنائي سوى مظلّة أعادت الحصانة النيابية الى خليل لمنع توقيفه، وكذلك الى النائبين غازي زعيتر ونهاد المشنوق لمنع ملاحقتهما.

كمنت مذكرة التوقيف تلك، بعدما عمّمتها النيابة العامة التمييزية في 15 كانون الأول للتنفيذ، وصارت نافذة للتطبيق منذ الدقيقة الأولى في الأول من كانون الثاني 2022، في أنها تحوّلت الى معضلة لميقاتي قبل سواه: مَن ينفّذ مذكرة توقيف نائب شيعي عضو أساسي في كتلة الرئيس نبيه بري ومساعده الأول هو السنّي المدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان، المؤتمر من السنّي وزير الداخلية بسام مولوي، بإيعاز من السنّي المدّعي العام التمييزي غسان عويدات. إحراج لا قِبَل لرئيس الحكومة على تحمّله في هذا الوقت.

بذلك أُعيد، ربما الى أمد طويل، رسم «الخط الأحمر» نفسه من حول الطوائف، وكان أول مَن رُسم له الرئيس فؤاد السنيورة، ثم دخلت دار الفتوى على هذا اللون معه، ثم مع الرئيس حسان دياب، ثم وصل «الخط الأحمر» الى بكركي لترسمه من حول

> رمية من دون رامٍ تقدّمها محكمة التمييز لعودة وزراء الثنائي الشيعي

حاكم مصرف لبنان رياض سلامة. الآن أتى يُلوَّن من حول شيعي.

لم يخلُ امتناع رئيس الجمهورية عن فتح العقد الاستثنائي من تأويلات مختلفة، أبسطها أنه ساوى تعطيلاً بتعطيل. من ثم، عندما أصدر المرسوم وضمّن العقد برنامجاً وفق ما نصت عليه المادة 33 من الدستور، على جاري ما اعتمد منذ الاستقلال (إنعاش الذاكرة مراسيم 21 تموز 1948 للرئيس بشارة الخوري و31 كانون الأول 1959 للرئيس فؤاد شهاب و26 شباط 1966 للرئيس شارل حلو و14 تشرين الأول 1970 للرئيس سليمان فرنجية)، توسّع الجدل مجدداً حيال أن يلجأ الرئيس الى حقه الدستوري في ذلك، ويقيّد المجلس بجدول أعمال، مع أن المادة الدستورية هي المقيّدة لشرط العقد الاستثنائي. أما ما فات حجج الاعتراض، فهو أن عون سبق أن أصدر، ووقّعه الى جانبه رئيس الحكومة سعد الحريري، في الأول من حزيران 2017، مرسوم عقد استثنائي للبرلمان لمدة 13 يوماً فقط، حصره ببند وحيد كالآتي: «يحدد برنامج هذا العقد حصراً بإقرار قانون جديد لانتخاب أعضاء مجلس النواب» ما بين 7 حزيران و20 منه. لكن أحداً لم يعترض وقتذاك.

2 . فُقدان محكمة التمييز نصابها القانوني بإحالة أحد أعضائها القاضي روكز رزق على التقاعد في 12 كانون الثاني. ما حدث هذه المرة أنها رمية من دون رام. حققت مطلب الثنائي الشيعي، دونما حمل عون وميقاتي على التدخل لدى القضاء، أو تقديم تنازل سياسي هو رأس المحقق العدلي. بفقدانها النصاب، توقف عمل البيطار تلقائياً، أضف أنه يؤول الى تجميد الدعاوى المرفوعة عليه. بذلك يدخل التحقيق في انفجار مرفأ بيروت في نوم عميق، قد يستغرق ربما الى ما بعد الانتخابات النيابية، إن لم يطل الى ما بعد الانتخابات الرئاسية.

البند الثاني، كالأول، هو العمود الفقري في التسوية الملزمة التي تستجيب لشرط الثنائي الشيعي.

3. هو البند الغامض في مرسوم العقد الاستثنائي، بإيراده العبارة التالية في برنامجه: «مشاريع أو اقتراحات قوانين ملحة تتعلق بالانتخابات النيابية». المعلوم أن ليس ثمة ما يفترض أن يعني مجلس النواب حيال الانتخابات النيابية العامة المقبلة، سوى الذهاب إليها فقط، بعد قانون الانتخاب 8/ 2021 النافذ حكماً منذ 3 تشرين الثاني. مجرد إيراد العبارة هذه، المضافة الى ما تضمّنه المرسوم عن مشاريع إصلاحية وخطة التعافي الاقتصادي، أنه فتح الباب واسعاً أمام إعادة مناقشة قانون الانتخاب النافذ. بعض المعلومات تتحدث عن رفض الثنائي الشيعي بتشدّد تصويت المغتربين: في حد أدنى يقبل بالتصويت للدائرة 16 والمقاعد الستة المحدثة، وفي حد أقصى يطلب إلغاء اقتراع الانتشار كلياً. إلا أن أحداً من الكتل أو اللاعبين على هامشها، لم يجرؤ الى الآن على التلميح الى هذا الشرط.

للثنائي الشيعي أسبابه التي يعتبرها وجيهة ومنطقية ومبررة، كي يرفض اقتراع الانتشار سواء للتصويت الوطني (128 نائباً) أو للتصويت القاري (المقاعد القارية الستة). وهي تقيم في أن أنصاره وناخبيه المنتشرين في العالم، وخصوصاً في دول الخليج العربي كما في دول أوروبية، تعدّ حزب الله تنظيماً إرهابياً، ستحملهم العيون المراقبة لهم هناك على تجنب الاقتراع لتفادي معاقبتهم، ما يؤثر جدياً على نسب الأصوات المفترضة. يقترن هذا القلق بعدد من التقديرات التي ترجح أن يؤدي اقتراع المغتربين تبعاً لآلية التصويت الوطني، المعتمد في القانون النافذ، الى حصولهم على أقل من حاصل في أكثر من دائرة، ما يمكّن من منحهم أكثر من مقعد.

(أرشيف ـ بلال جاويش)

تقرير

ابتعاد العرب عن سوريا أذى سوريا والعالم العربي كله
جنبلاط: الضغط السعودي يضرّ لبنان لا حزب الله

(هيثم الموسوي)

موسكو ـ أحمد الحاج علي

نبّه رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط إلى أن الضغوط السعودية والإيرانية على لبنان «ستؤدي إلى انهيار البلد كله»، وإلى أن الضغط السعودي لمعاقبة حزب الله «يضرّ بلبنان وليس الحزب».

وكان جنبلاط وصل إلى موسكو مطلع هذا الأسبوع في زيارة مقررة من العام الماضي تم تأجيلها لـ«أسباب تقنية» وبسبب الحجر الصحي. وقد جاءت بدعوة من السفير الروسي في بيروت الكسندر روداكوف، وبناء على رغبة موسكو «بالإطلاع على وجهة نظره من التطورات».

والتقى جنبلاط نائب وزير الخارجية مبعوث الرئيس الخاص إلى الشرق الأوسط وأفريقيا ميخائيل بوغدانوف، لساعة ونصف ساعة، في حضور مجموعة من إدارة دائرة الشرق الأوسط بينهم نائب رئيس الدائرة أندريه بانوف ومدير معهد الاستشراق في الأكاديمية الروسية للعلوم فيتالي نعومكن.

جنبلاط التقى أيضاً وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، ودعا روسيا إلى التواصل مع الجهات كافة، بما فيها السعودية وإيران، لوقف الضغوط على لبنان «لأنها ستؤدي إلى انهيار البلد كله، ولن تعود بالنفع على أي فريق سياسي». ونبّه إلى أن الضغط السعودي لمعاقبة حزب الله «يضرّ بلبنان ولا يضرّ الحزب»، مشيراً أيضاً إلى الضغط الذي يُمارس على رئيس الحكومة السابق سعد الحريري.

وبحسب مصادر مطلعة، أكّد لافروف أن «هذا هو رأينا من الأساس. وروسيا دعت دوماً الأصدقاء السعوديين لكي يغيروا سياسة الضغوط، خصوصاً مع الحريري الذي يمثل اعتدالاً إسلامياً في المنطقة»، مشيراً إلى أن العقوبات السعودية «لا مبرر لها وهي من دون فائدة» (استخدم تعبير "there is no point"). وأكد لافروف، في المقابل، أن هناك تواصلاً مع الجانب الإيراني لتسهيل عمل الحكومة اللبنانية.

ولمس جنبلاط من الوزير الروسي «مؤشرات كبيرة للتفاؤل». إذ أكد الأخير أن مفاوضات فيينا النووية تسير بشكل «جيد جداً»، وأنه «خلال وقت ليس ببعيد»، سيتم توقيع الاتفاق للعودة لخطة العمل الشاملة المشتركة. كذلك أبدى لافروف تفاؤلاً بـ«مؤشر جيد جداً» يتعلق بسير المفاوضات السعودية - الإيرانية. إذ إن معلومات الخارجية الروسية تفيد بأن «المفاوضات التي تجرى في بغداد أحرزت تقدماً كبيراً، وستظهر بشائرها قريباً عبر فتح السفارتين في طهران والرياض». لذلك، فإن الخارجية الروسية تراهن على هذه المتغيرات لما لها من انعكاسات إيجابية على لبنان.

من جهته، بحسب المصادر، أبدى جنبلاط وجود مثل هذه الأجواء، مشيراً في هذا السياق إلى موافقة ثنائي أمل وحزب الله على العودة إلى الحكومة، «وهو مؤشر إيجابي». وأضاف جنبلاط أن موقف الثنائي الشيعي في تعليق المشاركة في جلسات مجلس الوزراء كان مبنياً على أسس دستورية نتيجة رفض مخالفة جهات قضائية للدستور، في إشارة إلى آلية عمل المحقق العدلي في تفجير المرفأ القاضي طارق البيطار. كما لفت انتباه لافروف إلى أنه إضافة للإيجابية في المفاوضات السعودية - الإيرانية، «نشهد تقدماً في المحادثات السورية - السعودية، الأمر الذي أبدى لافروف بالقول: «صحيح، صحيح، ولطالما كنا ندعو العرب إلى عدم التخلي عن سوريا»، فردّ جنبلاط بأن «ابتعاد العرب عن سوريا أذى سوريا والعالم العربي كله». وهنا، سأل الضيف اللبناني الوزير الروسي ما إذا كان يعتقد بأن عودة سوريا إلى الجامعة العربية قريبة، فأجاب لافروف أن «لا معطيات لديّ، لكن أعتقد بأن قطر ربما لا تزال ترفض الأمر وقد يكون ذلك بتأثير من تركيا». لكنه شدّد على أن عودة سوريا إلى الجامعة «مهمة للعالم العربي».

الزعيم الاشتراكي الذي وصل إلى العاصمة الروسية ترافقه ابنته داليا على متن طائرة خاصة يملكها النائب نعمة طعمة، نزل في فندق «ناسيونال» الذي كان يستضيف في الوقت نفسه وفوداً إيرانية إعلامية وتجارية مرافقة للرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي.

قضية

صلاحيات تشريعية استثنائية لوزير المال في موازنة 2022

سعر صرف «الدولار الضريبي» بيد خليل (سلامة)!

محمد وهبة

في مشروع موازنة 2022، تقدّم وزير المال يوسف خليل خطوات في اتجاه الاستيلاء على صلاحيات تشريعية استثنائية، للحكومة أو لنفسه كوزير للمالية، لمعالجة قضايا ضريبية ونقدية ومصرفية تعود فيها الصلاحية لمجلس النواب بشكل أساسي، أو يفترض البتّ فيها في إطار خطّة الحكومة لتحديد وتوزيع الخسائر وإعادة هيكلة المصارف. وإذا مرّت البنود التي يقترحها خليل في مشروع الموازنة، سيصبح لدينا تداخل في السياسات النقدية والمالية والضريبية، إضافة إلى دمج الصلاحيات التشريعية بالتنفيذية

تمنح الموازنة وزير المال إمكانية التلاعب بالضريبة لخدمة مصالح فئات معينة

والقضائية. تعديلات جذرية من هذا النوع لا يمكن تضمينها في مشروع الموازنة، ولا يمكن حصرها بيد الجهات نفسها التي تعدّ مسؤولة عن الانهيار.

من أبرز النماذج التي تدلّ على محاولة الاستيلاء هذه، ثلاث مواد وردت في مشروع موازنة 2022 هي: 109 و132 و133. الأولى، تمنح الوزير صلاحيات استثنائية لتعديل قانون ضريبة الدخل وتحديد الشطور. والثانية، تمنح الوزير حقّ فرض أسس للتعاطي مع الودائع الجديدة بالدولار في القطاع المصرفي وكيفية تسديدها من دون أي إشارة إلى الودائع

(هيثم الموسوي)

واستولى عليها. ويعني أيضاً أن مصير آلاف القضايا العالقة أمام القضاء بشأن الودائع السابقة، ستبقى عالقة لوقت طويل. أصلاً ما علاقة وزير المالية بهذه المسألة من أساسها؟ الوزير يريد الاقتراض مجدداً بالعملة الأجنبية وفق المنهجية نفسها التي أودت إلى الانهيار. بمعنى آخر، يريد تحويل الاقتصاد في لبنان والمجتمع لإحياء نظام مصرفي مفلس. تدفق الودائع الجديدة إلى النظام هو سبيل من أجل إحيائه، ولتبديد المزيد من الودائع من دون أي رؤية اقتصادية.

في السياق نفسه، تشير المادة 133 إلى أنه «يمكن للحكومة أو لوزير المال بتفويض من الحكومة أن يحدّد سعر تحويل للعملات الأجنبية لغاية فرض واستيفاء الضرائب والرسوم، وأن تحدّد آلية التطبيق بقرار يصدر عن وزير المال». وجاء في الأسباب الموجبة، أن سبب فرض هذه المادة في الموازنة، يعود إلى التضخّم الذي يعاني منه الاقتصاد وتدهور قيمة العملة اللبنانية. فمن غير الجائز الاستمرار في استيفاء الضرائب والرسوم على الإيرادات والأرباح التي تتحقق بعملة أجنبية وعلى قيم المشتريات المستوردة المحدّدة بالعملة الأجنبية على أساس سعر صرف لليرة يبلغ 1508 ليرات مقابل الدولار، فيما الخزينة تحتاج إلى واردات لمواجهة العجز فيها...

عملياً، ما الذي سيحصل بموجب هذه المادة؟ سيكون حقّ تسعير الدولار الجمركي بيد الحكومة أو وزير المال، وسيكون له الحقّ أيضاً بتسعير كل الضرائب والرسوم وفق سعر الصرف الذي يراه مناسباً، ولا شكّ ستكون لديه القدرة على زيادة وخفض الضرائب بموجب المادة 109... بالتحديد سيكون لدى وزير المال القدرة على تحديد سعر صرف الليرة مقابل الدولار. فالسلع المبيعة محلياً، هي عبارة عن كلفة استيراد يحدّد الوزير قيمة تحويلها إلى الليرة، ويضاف إليها كلفة الضريبة التي يحدّد الوزير أيضاً قيمة تحويلها، بالتالي لم يبقَ من سعر السلعة سوى الكلفة التشغيلية الضئيلة قياساً مع بقية الأكلاف، وربحية التجّار التي يتم تحصيلها وفق سعر الصرف في السوق الحرّة سواء بهذا التشريع أو من دونه نظراً لغياب الدولة والاحتكارات... بالتالي سيكون سعر الصرف لعبة بيد وزير واحد.

لكن هذه المسألة تأخذ بعداً أكبر لأنها تلتفّ على قانون النقد والتسليف. فبحسب المادة الثانية منه تم تحديد قيمة الليرة اللبنانية بالذهب الخالص بقانون، من دون تعيين ما هو المقدار الفعلي لهذه القيمة، فيما نصّت المادة 229 على منح وزير المالية صلاحية تحديد سعر رسمي انتقالي لليرة على أن يكون أقرب ما يمكن من سعر الدولار في السوق الحرة في بيروت، في انتظار تحديد سعر نهائي واضح أو معادلة سعرية نهائية. والمهلة الأخيرة التي منحت للحكومة من مجلس النواب بموجب المرسوم 6105 تاريخ 5 تشرين الثاني 1973 نصّت على أن الآتي: «ريثما يصبح بالإمكان تطبيق أحكام المادة الثانية من قانون النقد والتسليف تُعطى الحكومة لمدة ستة أشهر من تاريخ نشر هذا القانون، صلاحية تحديد سعر انتقالي قانوني جديد لليرة اللبنانية بعد استشارة مصرف لبنان وصندوق النقد الدولي». لكن الحكومة لم تستخدم هذا القانون أبداً.

هذا يعني أن تحديد سعر الصرف يتم بقانون لم يصدر بعد، وهو الأمر الذي يسعى وزير المال وحاكم مصرف لبنان بوصفه رئيساً لوزير المال يوم كان مديراً للعمليات المالية في مصرف لبنان، الاستيلاء عليه.

القديمة التي هي محور نزاعات قضائية بالآلاف. والثالثة، تمنح الوزير حقّ تسعير سعر صرف الليرة مقابل الدولار من خلال ما سُمي «الدولار الضريبي».

تشير المادة 109 إلى أنه «خلافاً لأي نصّ آخر، وبصورة استثنائية، يمنح وزير المالية بالنسبة للضرائب والرسوم التي تحققها وتحصلها وزارة المالية ووزير المالية والوزير المختص بالنسبة لسائر الرسوم الأخرى، لمدّة سنتين من تاريخ نفاذ هذا القانون، حقّ تعديل التنزيلات والشطور والنسب المتعلقة بتلك الضرائب والرسوم بموجب قرارات تصدر عنهم استناداً إلى مقتضيات الوضع الاقتصادي ونسبة التضخّم». وبرّرت الأسباب الموجبة هذا التعديل، مرتبط بالحاجة إلى المرونة والسرعة في معالجة انعكاسات التضخّم وعدم الاستقرار، بما يؤمن حقوق الخزينة والمكلفين.

عملياً، ما هو مطروح يعني أنه بإمكان وزير المال أو الوزير المختص، أن يأخذ القرار بتعديل قانون ضريبة الدخل على سبيل المثال، أو تعديل الغرامات، أو تعديل الرسوم، بقرار إداري يصدر عنه. هذا يعني، أنه سيتم تعديل الاقتطاعات الضريبية المفروضة بشكل شهري أو أسبوعي أو حتى يومي، في مقابل منح الوزير إمكانية التلاعب بالضريبة لخدمة مصالح فئات معينة من خلال خفض الاقتطاعات. رفع أو خفض الاقتطاعات يكون من خلال شطور الضريبة مثلاً. فالضريبة بمعدل 4% على شطر يبلغ 100 مليون ليرة (مثلاً) ستبقى ثابتة بينما يتم توسيع الشطر الضريبي ليصبح 500 مليون ليرة أو 50 مليون ليرة. أدوات كهذه لا يمكن منحها للجهات التي تعدّ مسؤولة عن الانهيار أو على الأقل كانت تتحمّل مسؤولية أساسية فيه، فضلاً عن أنه قد يتحوّل إلى أداة زبائنية بيد أي وزير، وهو أمر درجت عليه قوى السلطة طوال العقود الماضية.

وهذا الأمر ينطبق أيضاً على المواد الأخرى الواردة في الموازنة. فالمادة 132 جاءت بعنوان «تسديد المصارف للودائع الجديدة بالعملة الأجنبية التي تودع لديها اعتباراً من تاريخ نشر هذا القانون بالطريقة التي أودعت لديها بناء على طلب صاحب العلاقة»، على أن ترفع قيمة الضمانة على الوديعة إلى 50 ألف دولار، وأن يحدّد دقائق تطبيق هذه المادة بقرار من حاكم مصرف لبنان.

لكن ما الداعي إلى هذه المادة طالما أن لدى الحاكم صلاحية مطلقة في هذا الأمر، وهو لم ينتظر للجهات التي تعدّ مسؤولة عن الانهيار أو على الأقل كانت تتحمّل مسؤولية أساسية فيه، فضلاً عن أنه قد يتحوّل إلى أداة زبائنية بيد أي وزير، وهو أمر درجت عليه قوى السلطة طوال العقود الماضية.

هذه المادة بانها تتعلق باستقطاب ودائع جديدة بالعملة الأجنبية. ما يعني أنه يقرّ ضمناً بأن النظام المصرفي في لبنان، والذي كان جزءاً أساسياً منه، سرق الودائع من تاريخ نشر هذا القانون بالطريقة عينها، ورفع قيمة الضمانة عليها».

وبموجب هذه المادة تُلزم المصارف بتسديد الودائع الجديدة بالعملة الأجنبية التي يتم إيداعها نقداً لديها أو من خلال التحويلات الخارجية اعتباراً من تاريخ نشر هذا القانون بالطريقة عينها التي أودعت لديها بناء على طلب صاحب العلاقة. والمهلة الأخيرة التي منحت للحكومة من مجلس النواب بموجب المرسوم 6105 تاريخ 5 تشرين الثاني 1973 نصّت على أن الآتي: «ريثما يصبح بالإمكان تطبيق أحكام المادة الثانية من قانون النقد والتسليف تُعطى الحكومة لمدة ستة أشهر من تاريخ نشر هذا القانون، صلاحية تحديد سعر انتقالي قانوني جديد لليرة اللبنانية بعد استشارة مصرف لبنان وصندوق النقد الدولي». لكن الحكومة لم تستخدم هذا القانون أبداً.

هذا يعني أن تحديد سعر الصرف يتم بقانون لم يصدر بعد، وهو الأمر الذي يسعى وزير المال وحاكم مصرف لبنان بوصفه رئيساً لوزير المال يوم كان مديراً للعمليات المالية في مصرف لبنان، الاستيلاء عليه.

تقرير

انتخابات العماليّ العام إلى القضاء

علي حشيشو

تقدّم المرشح الخاسر في انتخابات الاتحاد العمالي العام بول اسطفان بدعوى قضائية ضد الاتحاد على خلفية مخالفات قانونية وتنظيمية شابت عملية الانتخاب. اسطفان قال لـ«الأخبار» إنه بعد مراجعة الطعن التي قدّمها إلى وزارة العمل وانتهت في الأدراج»، تقدّم بدعوى قضائية أمام المحكمة الابتدائية في بيروت بحق المدّعى عليه الاتحاد العمالي العام. وجاء في متن الدعوى أن الانتخابات جرت في التاسع من الشهر الماضي «خلافاً للأصول، بسبب تخلّف أربعة فائزين عن إجراء انتخابات نقاباتهم واتحاداتهم، وهو شرط قانوني للاشتراك في انتخابات الاتحاد العام، وهم رئيس الاتحاد العمالي العام الدكتور بشارة الأسمر (رئيس نقابة عمال وموظفي مرفأ بيروت ومندوب لاتحاد المصالح المستقلة والمؤسسات الخاصة والعامة)، وشربل صالح (رئيس نقابة عمال ومستخدمي مؤسسة كهرباء لبنان ومندوب لاتحاد نقابات المصالح المستقلة والمؤسسات العامة)، وجورج حرب (الاتحاد العمالي اللبناني لنقابات التعدين والميكانيك)، وجورج العلم غير معروف إلى أي نقابة ينتمي (الاتحاد اللبناني للنقابات العمالية)».

وطالب اسطفان بـ«إبطال نتائج الانتخابات وبكفّ يد الأسمر عن قيادة الاتحاد ريثما تبتّ المحكمة في الدعوى». كذلك طالب بإبلاغ وزارة العمل بعدم المصادقة على نتائج الانتخابات الأخيرة. وأمل أن تفتح الدعوى «ملف مخالفات الهيئة الأكثر تمثيلاً للعمال من ضمّها نقابات واتحادات وهمية وأخرى فاقدة للشرعية، وغياب التمثيل النسبي وتقسيم النقابات مناطقياً وطائفياً بدل أن تعتمد التقسيم القطاعي».

تقرير

خلاف الجامعة وشركات الطيران حول pcr المطار

رئيس «اللبنانية»: تعرّضنا للنصب

راجانا حميّة

قرار وزارة الصحة العامة، أخيراً، بفرض دفع كلفة فحوص الـpcr للوافدين عبر مطار بيروت الدولي عبر البطاقة الائتمانية والوثيقة الإلكترونية (EMD)، كان «تخريجة» لائقة لإنهاء «النصبة» التي قامت بها شركات الطيران بحق الجامعة اللبنانية. إذ كانت الشركات تستوفي من المسافر خمسين دولاراً «فريش» مقابل فحص الـpcr، وتحوّلها إلى الجامعة بـ«اللولار».

على مدى ستّة أشهر متواصلة، حرمت شركات الطيران الجامعة اللبنانية من حقوقها، وامتنعت عن دفع البدلات التي استوفتها من المسافرين. علماً أن الاتفاق المبرم بين الوزارة والجامعة والمديرية العامة للطيران المدني يقضي بتحويل الأموال إلى شركتي الخدمات الأرضية «LAT» و«MEAG»، لتحوّلا بدورهما إلى حساب محتسب «اللبنانية» في مصرف لبنان بمعدل 45 دولاراً عن كل فحص، فيما تحوّل الدولارات الخمسة المتبقية إلى حساب وزارة الصحة.

في الفترة الأولى من الاتفاق، كان «ماشي الحال»، على ما تقول مصادر الجامعة، باعتبار أن شركات الطيران كانت تسمح للوافدين الدفع بموجب شيكات مصرفية بالدولار، وكانت الجامعة تتقاضى الشيك المصرفي من «المركزي» على أساس سعر منصة الـ3900. ولم يكن ذلك يشكّل عائقاً، إذ إن سعر المنصة لم يكن بعيداً جداً عن سعر صرف الدولار في السوق الموازية. إلا أن الأمور انقلبت منذ تموز الماضي، عندما ألزمت الشركات المسافرين دفع قيمة فحص الـpcr بالدولار حصراً، واستمرت في تحويل شيكات مصرفية بالدولار من حساباتها في المصارف إلى الجامعة اللبنانية. ورغم مطالبات الجامعة بتحصيل أتعابها «فريش»، كما تتقاضاه الشركات من الزبائن، لم تلقَ أي جواب. راسلت المدير العام للطيران المدني فادي الحسن تطالب بمستحقاتها، غير أن الجواب الذي أتى متأخراً «دافع فيه الحسن عن الشركات معتبراً أنه لا يحقّ للجامعة أن تتقاضى المبلغ فريش»، بحسب رئيس الجامعة بسام بدران. الحقّ محامي الجامعة الكتاب الأول بثانٍ، إلا أن الردّ لم يأتِ بعد.

بعد أربعة أشهر من المراجعات، قررت «اللبنانية» أن تخوض معركتها بالقانون مع شركات الطيران، ومن خلفها مديرية الطيران المدني، لتحصيل حقوقها التي تبلغ خمسين مليون دولار. ووصلت القضية قبل أيام إلى مكتب المدعي العام لدى ديوان المحاسبة القاضي فوزي خميس الذي باشر التحقيق مع المعنيين، فاستمع إلى بدران الذي زوّده بالمراسلات والأوراق ونصّ الاتفاق، ووزير الصحة فراس أبيض والمدير العام للوزارة فادي سنان، وإلى الحسن الذي تشير معلومات إلى أنه «اعتبر أن العقد لم ينص على الدفع بالدولار حصراً»، وهو ما يشكّك به الديوان لناحية أن «العقد مش واضح إنو لازم يندفع لولار للجامعة اللبنانية، وإنما دولار أو ما يعادلها بالليرة بحسب سعر صرف السوق». لذلك، تشير المصادر إلى أن خميس «يتجه لاستدعاء الحسن مجدداً للاستماع إليه، وللمعنيين في شركات الخدمات الأرضية».

ستنتظر الجامعة اللبنانية أن ينهي خميس مهامه، إلا أن الدرب الذي ستسلكه بعد ذلك هو التوجه نحو رفع دعوى بحق الشركات بتهمة إساءة الأمانة، إذ تصرّفت الشركات بلا مسؤولية تجاه أموال هي «أمانة لديها»، أو بتهمة الإثراء غير المشروع، مع تقاضيها 50 دولاراً من كل مسافر على مدى ستة أشهر، وغضّ النظر عن حق الجامعة فيها، وهذا أقرب إلى «السرقة الموصوفة والنصبة»، على ما يشير بدران، مؤكداً أن الجامعة «لن تتنازل عما هو حق لها»، والعملة التي تريدها في حساباتها «كما دفعها المسافرون»، أي بالدولار «الفريش».

تقرير

جامعة بيروت العربية زيادة عشوائية و«فريش» دولار

زينب حمود

قبل أيام من بدء الفصل الثاني من العام الدراسي، فوجئ طلاب جامعة بيروت العربية بزيادة على الأقساط بنسبة تقارب ثلاثة أضعاف، مع اشتراط استيفاء رسوم نفقات تشغيلية بالـ«فريش» دولار تصل إلى 600 دولار في بعض الكليات. وهي زيادة «عشوائية» لا تتناسب مع الكلفة التشغيلية الفعلية التي تختلف بين السنوات الدراسية للطلاب بحسب ساعات حضورهم. علماً أن هؤلاء كانوا يتوقعون «زيادة معقولة» (من سعر 2700 ليرة للدولار الواحد إلى 3900)، قبل أن يُصدموا بتحديد دولار «الأرصدة» (credits) على سعر صرف 5500 ليرة، إضافة إلى رسوم بالـ«فريش» دولار، ما جعلهم في حالة ضياع، خصوصاً الطلاب القدامى الذين شارفوا على التخرج.

يعزو عميد شؤون الطلاب في الجامعة صبحي أبو شاهين القرار الذي «أخذ بتأنٍ» إلى «عدم القدرة على الاستمرار مع زيادة لا سقف لها في النفقات من المازوت إلى الكهرباء والتدفئة وغيرها»، لافتاً إلى أن «الجامعة لا تعتمد على هبات من الخارج وإنما على رسوم الطلاب».

طلاب الجامعة رفعوا كتاباً إلى رئيسها عمر جلال العدوي يشرحون رفضهم الزيادة وعجزهم عن تسديدها. ودعوا إلى اعتصام أمام حرم الجامعة الاثنين المقبل، مهددين بمقاطعة الحصص.

يشرح خليل صعب، طالب سنة خامسة في كلية الطب، كيف ارتفعت أسعار الأرصدة بشكل خيالي من «26 مليون ليرة في الفصل الأول إلى 54 مليوناً في الفصل الثاني، تضاف إليها 600 دولار نقداً». لا يملك خليل ترف تغيير الجامعة بعد أن شارف على إنهاء المسيرة الجامعية. وفي الوقت نفسه، «لا يستطيع والدي تحمّل تكاليف الأقساط الجامعية لولدين تصل إلى 100 مليون ليرة خلال أربعة أشهر عدا عن كلفة المواصلات والمصاريف الشخصية». شقيق خليل يدرس في كلية إدارة الأعمال و«ارتفعت أقساطه من 9 ملايين ليرة إلى 22 مليوناً إضافة إلى 350 دولاراً».

حددت إدارة الجامعة كلفة تشغيل واحدة لكل تخصص جامعي باختلاف السنة الدراسية للطلاب، ويشكل عشوائي، علماً أن عدد الساعات الحضورية يختلف بين سنة وأخرى. مثلاً، طلاب السنوات الثلاث الأولى الذين يدرسون الطب يحضرون بعض الحصص وبعضها الآخر عن بعد. أما طلاب السنوات الثلاث الأخيرة فيداومون في المستشفيات ولا يحضرون غير مرة في الأسبوع، لكنهم يسددون كلفة التشغيل ذاتها. كما اعتمدت الجامعة نظام التعليم المدمج على أن يحضر الطلاب المواد التطبيقية فقط. فيما طلاب إدارة الأعمال مثلاً لم يحضروا في الفصل الأول إلا لإجراء الامتحانات.

حق الرد

الأسمر: أنا مع العمّال

أرسل رئيس الاتحاد العمالي العام بشارة الأسمر، ردّاً على ما نشرته «الأخبار» أمس بعنوان «ميقاتي وشقير والأسمر: تسوية على حساب العمال»، طالب فيه وزير العمل مصطفى بيرم بنشر «محاضر جلسات لجنة المؤشر الموثقة التي توضح فعلياً أنّ رئيس الاتحاد العمالي العام بشارة الأسمر رفض رفضاً قاطعاً التسويات والإعفاءات المذكورة في المقال». وأشار إلى أنه «الوحيد الذي طالب بدفع الاشتراكات كاملة على المبالغ المطروحة، كما طالب المدير العام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي محمد كركي بتوضيح خسائر الضمان الناتجة من عدم التصريح عن هذه المبالغ كنوع من التسوية المعدّة من قبل الهيئات الاقتصادية في حينه». ولفت إلى أن موقف رئيس الاتحاد أدّى إلى إعادة صياغة عملية، وتجاوب وقبول من أصحاب العمل بدفع الاشتراكات وتسويات نهاية الخدمة، كما أدّى الى عدم الرضوخ للتسويات، وأهمها دفع بدل النقل مضاعفاً، أي 130,000 ليرة يومياً، لإعفاء أصحاب العمل من الاشتراكات. «ووزير العمل يعرف فعلياً من طرح هذا المشروع، وكل ذلك مدوّن في المحاضر التي أطالبه بنشرها وتحديداً في صحيفة الأخبار لتبيان الحقيقة».

كركي: ما اقترحته كان أفضل

كذلك، ردّ المدير العام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي محمد كركي على ما ورد في المقال نفسه، موضحاً بأنه لبّى دعوة الهيئات الاقتصادية وعقد اجتماعَي عمل، الثاني خصص لمناقشة موضوع زيادة الحدّ الأدنى للأجور وزيادة الأجور والرواتب ومعالجة بعض المواضيع التي تهمّ الضمان والمضمونين وأصحاب العمل. «وخلال الاجتماع، عرضت وجهة نظر الهيئات الاقتصادية كما وردت في المقال، غير أن العرض المتكامل التي قدمه مدير الصندوق لم يرد في الجريدة كاملاً، بل أهملت «الأخبار» ذكر الاقتراح الثالث الأهمّ والأساسي القاضي بدفع مبلغ مقطوع شهري عن كل أجير بقيمة 200 ألف ليرة لتغذية فرع ضمان المرض والأمومة، ما يؤدّي الى رفد الفرع بنحو 1000 مليار ليرة سنوياً، علماً بأن زيادة الكسب الخاضع للاشتراكات لفرع ضمان المرض والأمومة الى 4,5 ملايين ليرة ستدرّ سنوياً 150 مليار ليرة، وزيادة الاشتراكات نتيجة زيادة الحدّ الأدنى للأجور ستؤمن زيادة تقدّر بحوالي 470 مليار ليرة، أي ما مجموعه 1620 مليار ليرة سنوياً، ما يمكّن الصندوق من رفع التعرفات الاستشفائيّة 4 مرّات، وينهي ابتزاز المستشفيات للمضمونين وتقاضيها فروقات خيالية تضطرهم أحياناً إلى بيع ممتلكاتهم أو سحب تعويض نهاية خدمتهم لسداد هذه الفروقات، بالإضافة الى إيرادات إضافية لفرغي التعويضات العائليّة ونهاية الخدمة تقدّر بمئات المليارات وتزيد من تعويضات نهاية خدمة المضمونين.

ردّ المحرّر
الاتفاق موثّق

ورد في الرسالة الموجّهة من قبل الهيئات الاقتصادية إلى رئيس الحكومة ما حرفيته: «تم الاتفاق مع المدير العام للصندوق الوطني للضمان الاجتماعي الدكتور محمد كركي، والاتحاد العمالي العام (...). وعلى أساس هذا الاتفاق، دعا رئيس الحكومة نجيب ميقاتي كلاً من الهيئات والاتحاد العمالي العام ووزير العمل إلى اجتماع لإعلان الاتفاق. وهو أمر لم يحصل لأن الوزير لم يكن طرفاً في الاتفاق على عكس كركي والأسمر، وقرر الامتناع عن الحضور. فالاتفاق كان يقضي بالآتي:

- إقرار قانون يتعلق بتعويضات نهاية الخدمة يفصل ما قبل عام 2021 وما بعده، على أن يتم وضع نموذج عادل يمكن تطبيقه لتعويض نهاية الخدمة يتم إعداده مع شركة IDS التي تم اقتراحها من قبل الضمان الاجتماعي.
- إعفاء المؤسسات من الديون المتوجبة عليها للضمان قبل عام 2006».

يطالب الأسمر بنشر محاضر لجنة المؤشّر دفاعاً عن موقفه تجاه العمال. وسواء كان ما قاله في اللجنة مناصراً للعمال أو ضدّهم، وسواء كان ما عرضه كركي مع العمال ومكتسباتهم في الضمان الاجتماعي أو ضدّهم... فإن «الأخبار» نشرت محضر الاتفاق، أي الفعل الأخير لهم الذي يرد فيه أنهم جميعاً توافقوا مع أصحاب العمل للإطاحة بتسويات نهاية الخدمة. كل ما قيل عن آراء وأفكار ومواقف سابقة لهذا الاتفاق، لا معنى له طالما أن الاتفاق يشير إلى العكس، وهو موثق في الكتاب المرسل من الهيئات إلى رئيس الحكومة. لكل طرف الحق في إبراء ساحته، لكن لا أحد يمكنه إغفال واقع أن الإطاحة بالاتفاق جاء بعكس مصالح الأطراف التي عقدته، ولا ضمن مصالح الجهة السياسية التي ترعاهم. هذه الجهة هي رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي يترتّب عليه أن يضع حداً لبعض من يتاجرون على العمال وعلى مستقبلهم، بعدما فقدوا مَدّخراتهم ومداخيلهم.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، أمل الأتربي
■ المدير الصفي: صلاح الموسى
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 01 /666314 ـ 15، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews @AlakhbarNews /alakhbarnews-paper

الحرب الخليجيّة - الإسرائيليّة على اليمن

أسعد أبو خليل *

ليست الحرب الخليجيّة - الغربيّة على اليمن حرباً عاديّة أو روتينيّة. أريد لها أن تصبح حرباً خاطفة لكنّها عصت على الغزاة. هذه حربٌ كان المُراد منها إطلاق قيادة محمد بن سلمان لتتويجه ملكاً على السعوديّة، وبرضى إدارة الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما «الليبراليّة»، كان مُفترضاً بالحرب أن تنتهي بعد أسابيع فقط ـ كل قادة الخليج معجبون بعقيدة إسرائيل العسكريّة في الحرب الخاطفة، لكن أهلنا في جنوب لبنان قبروا عقيدة الحرب الإسرائيليّة الخاطفة في حرب تموز وعلى مدى ثلاثة وثلاثين يوماً. «عاصفة الحزم» كانت تتمتّع بدعم غربي وخليجي على أساس أن الجيشين السعودي والإماراتي سيحسمان المعركة في غضون أيام أو أسابيع على الأكثر. يعترف الأميركيّون (المسؤولون شراكةً عن جرائم حرب اليمن) أن النظام السعودي حضرهم لحرب خاطفة، وأن الحكومة الأميركيّة أمدّتهم بالسلاح والمعلومات الاستخباريّة على أساس هذه الفرضيّة. لم تعترض الحكومة الأميركيّة على الحرب بل هي اعترضت، بصوت خافت، على شدّة الحرب وتسعيرها وطالبت بوقفها لكن مع تحميل المسؤوليّة الكبرى لحركة «أنصار الله». وحسب سفيرة أميركا في الأمم المتحدة، فإن: قصف المنشآت الصناعيّة في أبو ظبي يُعتبر إرهاباً، لكنّ قصف المدنيّين في اليمن هو وسيلة عسكرية مشروعة.

الحرب الخليجيّة على اليمن هي وصمة عار في التاريخ العربي المعاصر. صدف أن الشعب اليمني فقير ومحاصر وممنوع من استثمار صحيح للثروات في باطن أرضه، ما أدّى عملياً إلى منعه من التأثير على عواصم القرار في الغرب، ولابتياع الفنانيّن والإعلاميّين والمثقّفين الذين تنقّلوا في التاريخ العربي المعاصر من نظام نفطي إلى آخر. في حقبة السبعينيّات، تجد أن معظم المثقّفين دانوا بالولاء للنظام الليبي أو العراقي. كانت تلك الوجهة في ذلك الزمن. بعد اجتياح الكويت، نفدت ثروة النظام العراقي، والقذافي حوّل وجهته عن العرب نحو أفريقيا. أصبحت أنظمة الخليج هي الوجهة. تجد من كان موالياً للقذافي في السبعينيات والثمانينيّات بات موالياً للنظام السعودي والإماراتي اليوم. رفيق الحريري ابتاع طبقة هائلة من المثقّفين وكان يستمتع بشراء أو استئجار البسارييّن منهم إمعاناً في إذلال فكرة الثورة على الراسمالية وتوزيع الثروة. واليساريون السابقون هم الأكثر تطرّفاً في الولاء في بلاط الحريري وفي بلاطات أبو ظبي ودبي والرياض. فؤاد مطر كان الأرشق في انتقاله من الحزب الشيوعي القومي الاجتماعي إلى الناصريّة إلى الساداتيّة إلى أن استقرّ في حضن نظام صدّام حسين الذي أسّس له مجلّة «التضامن» في لندن، قبل أن يستقرّ ـ بعد نفاد المال الصدامي للإعلام ـ في حضن إعلام آل سعود. والطريف أن المثقّفين لا يقلّون حماساً في الانتقال من جريدة إلى أخرى ـ من حاكم إلى أمير، لا بل يبدون حماساً زائداً مع كل انتقال. حازم صاغية دعا عندما كان كاتباً في «السفير» إلى قتل أنور السادات لكنه أصبح داعي سلام مع إسرائيل في صحف أمراء آل سعود. وحرب اليمن وانعدام تغطية حرب اليمن هما جانب من طبيعة ودور النخب الثقافيّة في العالم العربي.

حرب اليمن هي ـ حسب الأمم المتحدة ـ أكبر كارثة إنسانيّة في العالم حالياً. قبل سنة، قدّرت الأمم المتحدة عدد ضحايا الحرب بربع مليون يمني ويمنية. وهؤلاء لا يُحسبون على العرب لأن كل من يعارض مشيئة الحلف السعودي ـ الإسرائيلي ـ الإماراتي يُطرد من العروبة ويُضاف تلقائيّاً إلى أمّة الفُرس. اليمنيّون في مواجهة الحرب الوحشيّة هم إيرانيّون، والعروبة تتجسّد في حمم القذائف والصواريخ التي تنهمر على رؤوس الآمنين في الأعراس والمآتم والمستشفيات والمدارس في اليمن. وحسب بروباغندا النظامين السعودي والإماراتي (وإسرائيل من ورائهما) فإن التضامن مع قصف اليمن هو من متطلبات العروبة.

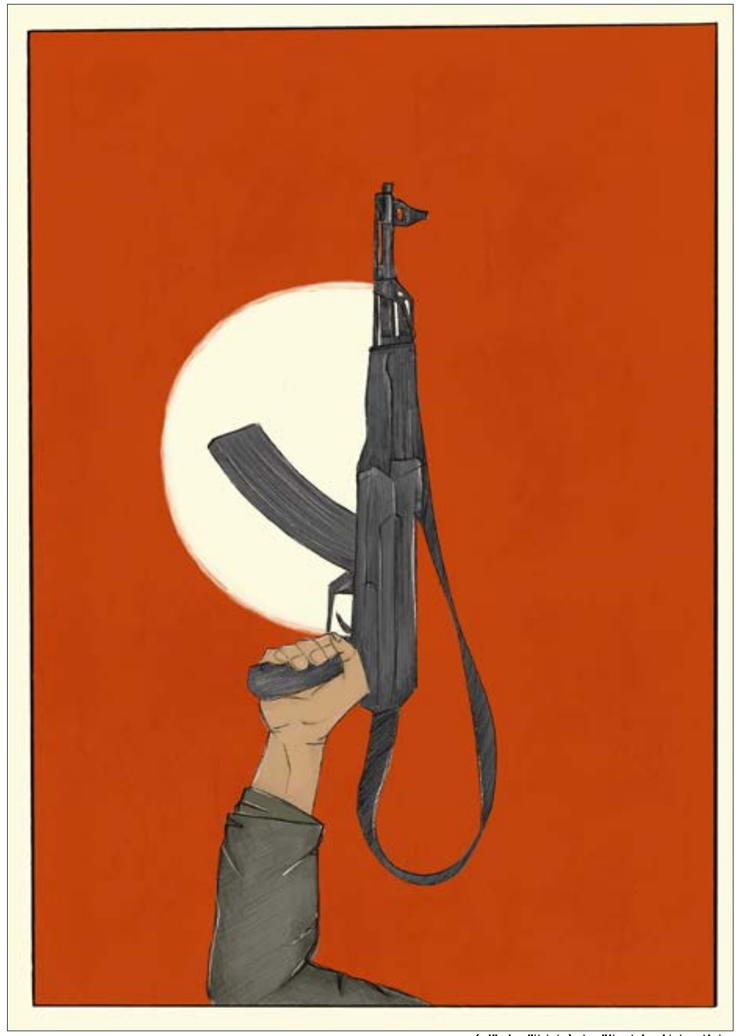

بعنوان «منّ فلسطين هنا اليمن» (حنيف نزاك ـ رام الله)

العروبة التي كانت تعني، في ما تعني، وحدة العرب ومعاداة الصهيونيّة تحوّلت بين ليلة وضحاها إلى تسليم أمرنا لوسيط إسرائيلي هو أيضاً ذروة السيادة (لا يمكن لـ 8 آذار أن تتنصّل من قبول وسيط إسرائيلي بيننا وبين إسرائيل، وفكرة طلب وسيط أميركي بيننا وبين أقوى حليف لإسرائيل تعود للثنائي برّي ـ عون. يختلف الثنائي في كل شيء إلا في فكرة أن أميركا هي وسيط محايد ونزيه بيننا وبين إسرائيل). والنخبة الإعلامية والفنيّة والثقافيّة صامتة إزاء الحرب الوحشية في اليمن. ليس لليمن لوبيات في عواصم الغرب، وليس لليمن ما يسمح بشراء الإعلاميّين والفنانيّن اللبنانيّين المعروفين للبيع والإيجار.

الحرب السعودية ـ الإماراتيّة على اليمن ليست حول إيران، وهي ليست حرباً بالواسطة إلا في أن اليمنيّين وجدوا أنفسهم هدفاً لحصار وتجويع خانق فاستنجدوا بإيران. حتى وثائق «ويكيليكس» الأولى التي شملت برقيات أميركيّة دبلوماسيّة اعترفت أن الحوثيّين ليسوا ـ أو لم يكونوا ـ أداة إيرانيّة وأن هناك خلافات عقائديّة بين الطرفين. لكنّ استعار الحرب واستمرارها أجبراهم على الاستعانة بالحلفاء الوحيدين الذين يجرؤون على مخالفة مشيئة التحالف السعودي ـ الإماراتي ـ الإسرائيلي. ليس للعقيدة الحوثيّة وليس لشعاراتها (المُنفّرة) علاقة بالحرب على اليمن. الحرب الحالية هي استمرار للهيمنة التي يريد النظام السعودي بسطها على كل الجزيرة العربيّة، وعلى العالمين العربي والإسلامي. والنظام السعودي ليس طائفيّاً في حروبه وهو مرن في تحالفاته. النظام أقرب إلى الشيعي صبحي الطفيلي وعلي الأمين (مفتي صور المطرود) منه إلى سليم الحصّ أو عبدالله اليافي أو عمر كرامي. النظام اليوم أقرب إلى صهاينة إسرائيل منه إلى قادة الدول العربية والإسلامية. كان النظام يدعم الإمامة الزيديّة في الستينيّات عندما كانت تواجه قوى الجمهوريّة التقدميّة التي تلقّت احتضان النظام الناصري. أنظمة الخليج لم تزِ غضاضة في التحالف مع الشاه، الذي كان وثيق الصلة بإسرائيل وكان يسلّح ويموّل ميليشيات اليمين الرجعي في لبنان لحساب إسرائيل. النظام السعودي حارب اليمن الجنوبي، التجربة الماركسيّة الوحيدة في الحكم، وقد شابهها ما شاب كل تجارب الأحزاب الشيوعيّة العربيّة من قصور في إيجاد حلول محليّة. والنظام السعودي كان الوكيل المحلّي (مع الشاه وإسرائيل) لقطع دابر اليسار والتقدّمية في كل الجزيرة في سنوات الحرب الباردة: من البحرين إلى عُمان إلى اليمن والكويت. محاولة ربط الحرب على اليمن بصراعات بالوكالة بين إيران والسعوديّة تتغاضى عن عقود طويلة من هيمنة وحروب سعوديّة في الجزيرة. يكفي أن نتذكّر أن عائلة آل سعود اجتمعت قبل عقود وعيّنت الأمير سلطان أميراً ممسكاً بملف الهيمنة على اليمن.

لم تعد الحرب اليمنيّة حرباً لليمن وحده، ولا لمحور وحده. هي ليست حرباً بالواسطة بالمعنى المُتعارف عليه. ليست حرباً بين السعوديّة وإيران. هي بدأت قبل أن تعرف إيران شيئاً عن الحوثيّين. هذه حرب يخوضها الشعب اليمني برمّته (باستثناء مرتزقة السعوديّة والإمارات ـ كيف يمكن أن ننسى أن عبد الملك المخلافي باع ناصريّته ووحدويّته وتقدّميّته كي يصبح بيدقاً صغيراً بيد الحكم السعودي، أي العدوّ التاريخي لجمال عبد الناصر، وكيف يمكن لناصري أن ينتقل من صف مشروع عبد الناصر إلى مشروع أعدائه. لكن نحن في لبنان حيث انتقل صفّ من كوادر وقادة منظمة العمل الشيوعي إلى حاشية رفيق الحريري صاحب أعتى مشروع يميني في تاريخ الجمهوريّة). والشعب اليمني لا يخوض الحرب بالنيابة عن اليمن فقط بل بالنيابة عن الشعب العربي كلّه لأنه يقول لا فيما فرض المال السعودي ـ الإماراتي الطاعة والخنوع على النخب الثقافية والفنيّة والإعلاميّة والسياسيّة (ماذا حلّ بوعود قيس سعيّد ضد التطبيع، وماذا حلّ بكلامه بالفصحى عن شرّ التطبيع. هل تبخّر كل ذلك لأن المستبدّ يجد عوناً له من مستبدّي الخليج). الشعب العربي برمّته مقموع لأن الساحة العربية خلت للهيمنة السعوديّة ـ الإماراتيّة (بالتشارك مع إسرائيل) لفرض أجندة الطاعة والتطبيع والخضوع.

تقول الصورة التنميطيّة عن اليمن إنه جيش من الحفاة. لا، هؤلاء يستعملون كل ما لديهم من سلاح وتكنولوجيا في دفاعهم عن أنفسهم. هم ضربوا منشآت صناعيّة في الإمارات فيما يقصف العدوان الخليجي أهدافاً مدنيّة بالخالص. واستعمال المسيّرات في إصابات دقيقة للغاية هو أشبه بالمعجزة. لكن حرب الدفاع اليمنيّة ليست أقلّ من ملحمة، كما وصفها عامر محسن. هي سدّدرس في المعاهد العسكريّة في العالم كما دُرّست تجربة الفيتكونغ (تخيّل أن هناك كليّة عسكريّة في العالم تُدرّس التجارب الاستعراضية لياسر عرفات في بيروت). العدوان على اليمن هو عدوان عالمي تشارك فيه أنظمة الخليج ودول الغرب وإسرائيل (لم يكن هناك حرب في اليمن أو ضد اليمن لم تشارك فيها إسرائيل، كما شاركت في حرب السلطان قابوس ضد ثورة ظفار في عمان). الحرب التي كان مُقدّراً لها أن تستمرّ أسابيع فقط (ويعتبر مسؤولو الإدارة الأميركيّة في عهد أوباما أنه صدّق وعد محمد بن سلمان في هذا الصدد) تدوم للسنة السابعة على التوالي بفعل شجاعة وابتكار وصمود وإصرار الشعب اليمني. عُرض على الشعب اليمني وقف الحرب مقابل قبوله بشروط اعتبرها مهينة لكنه رفض أي بحث قبل رفع الحصار الوحشي عن ميناء الحديدة. النظامان السعودي والإماراتي يمنعان القوت عن الشعب اليمني.

إن هذه الحرب أكبر من اليمن وأكبر بكثير من الصراع السعودي ـ الإيراني. هي حرب ستقرّر إذا كان هناك مجال لبعض العرب لرفع الرأس بوجه أعتى قوّة عربيّة صهيونيّة ـ متمثّلة بالنظامين السعودي والإماراتي اللذين لا يخفيان أبداً تعاونهما وتحالفهما مع إسرائيل (النظام السعودي لا يجاهر بالتطبيع لكن: 1- يعلن عبر الإعلام الأميركي أنه مستعد للتطبيع لكن محمد بن سلمان يريد ثمناً لذلك مثل رعاية تتويجه ملكاً أوحد من قبل أميركا. 2- تسرّبت أخبار عن لقاءات سعوديّة ـ إسرائيليّة بما فيها زيارة للسعودية من قبل وزير الخارجية الأميركي السابق مايك بومبيو مصطحباً معه رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو للقاء محمد بن سلمان. 3- كل الإعلام السعودي يروّج للتطبيع مع إسرائيل ويفنّد مقولات معاداة إسرائيل والصهيونيّة. كان وزير الحرب السعودي خالد بن سلمان صريحاً للغاية عندما أعلن هذا الأسبوع أن هدف الحرب هي «كي يكون اليمن ضمن المنظومة الخليجيّة». ولو كان ابن سلمان صريحاً أكثر لأضاف أن الهدف هو أن يدخل العالم العربي برمّته «ضمن المنظومة الخليجيّة». لنفس السبب الذي أصرّت إدارة بوش فيه بعد 11 أيلول على شنّ الحروب ضد الشعبين العربي والإسلامي، فإن الحكم الخليجي يريد تطويع من يعصى على التطويع. الإدارة الأميركيّة منذ انتهاء الحرب الباردة ترفض أن يكون للشعب العربي الحق في رفض إرادة أميركا، والحكم الخليجي يرفض أن يرفض أحدٌ ما في العالم العربي الإرادة السعوديّة - الإماراتيّة - الإسرائيليّة. ليس صدفة أن تسعير الحرب جرى في عصر التطبيع مع إسرائيل لأن الحكومة الإسرائيليّة هي نصير قوي وحقيقي للنظامين. وعد رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت (في رسالة عاطفيّة أرسلها هذا الأسبوع في اتصال هاتفي مباشر) الحاكم الإماراتي محمد بن زياد بمدّه بالمعلومات والعون في حربه الوحشيّة في اليمن وهو سينفّذ.

ست سنوات من الحرب الوحشية والشعب اليمني لا يزال صامداً بالرغم من الحرب العالميّة ضدّه ـ وهي حرب بكل الأصناف إذ يترافق مع القصف والقتل اليومي بروباغندا عتيّة لم تشهد لها مثيلاً. هناك صفحة ثابتة في جريدة الصهيونيّة العربيّة، «الشرق الأوسط»، عن اليمن وفيها تختلق إدارة التحرير أكاذيب لا يصدّقها عقل عن اليمن وعن أفعال الحوثيّين (يُحرّر الجريدة هذه اللبناني، غسان شربل، الذي له صورة مع الملك سلمان تلخّص كل سيرته المهنيّة). ومواقع التواصل التي تزخر بكل تفاهة إلى التضامن مع اليمن، خصوصاً من قبل الشباب اللبناني الـ«كول»، الذي يرفض الحرب ضد إسرائيل باسم السلام و«بدنا نعيش» لكنه يتجاهل أو لا يكترث لحرب وحشيّة جارية ضد اليمن. لم يعرف العالم العربي تغييراً في ثقافته الشعبيّة كما يجري هذه الأيام من قبل التحالف السعودي - الإماراتي. والأكاديمي البريطاني، مارك أوين جونز، كشف بعد دراسة دقيقة هذا الأسبوع عن نشاط هائل لجيش إلكتروني تابع لمحمد بن زايد، حيث تقوم حسابات «بوت» آليّة برفع مرتبة تغريدات مديح بمحمد بن زايد. وبلغ عدد مساهمة حسابات الـ«بوت» في تغريدات ابن زايد أكثر من 91%: 91% من اللايكات على تغريدات محمد بن زايد تابعة لجهاز مخابراته.

لن ينهزم الشعب اليمني. لا يمكن له أن ينهزم. يمكن له أن يُعلن نُصره أمس لأن الغزاة اندحروا بالرغم من استمرار القصف الوحشي من الجو. يعترف النظام السعودي أنه لا يقوى على مواجهة اليمنيّين بجيش من المشاة. والجيش الإماراتي انسحب من اليمن تاركاً وراءه جيوشاً وميليشيات من المرتزقة والمجرمين (تماماً على طريقة حليفه الإسرائيلي). والشعبان الإماراتي والسعودي مغيّبان تماماً عن التعليق: لا يُسمح إلا بأدنا التعبيرات في الطاعة والانصياع والولاء والسجود. عدد من المثقفين في البلدين انسحب من ساحة التغريد حفاظاً على كرامته فيما بقيت الأبواق الصدئة. والسعوديّة هذا الأسبوع أعلنت أن عقوبة نشر إشاعة تصل إلى خمس سنوات سجناً مع غرامة. تضيف ذلك إلى القانون الإماراتي الشهير الذي يسجن المغرّد لـ15 سنة سجناً على التغريدة أو إعادة التغريدة التي لا تتفق مع أهواء النظام. هذه أنظمة غسل أدمغة ومنهج التعليم يخرّج مطيعين على طريقة «1984» لجورج أورويل. كليّة إعلام محمد بن راشد (في جامعة الياس بو صعب التجاريّة في دبي) تعترف بأنها تعدّ التلاميذ لمعرفة كيفيّة التكيّف وخدمة أجندة حكومة الطاغية هناك.

وزارة خارجيّة لبنان فضحت نفسها. هي تتضامن مع السعوديّة ومع الإمارات ولا تجرؤ مرة على التعاطف والتضامن مع الشعب اليمني في محنته. لكن دولة لبنان للبيع والإيجار، وعد من حلفاء حزب الله انتقلوا إلى المحور الآخر مقابل أجر. لو لم يكن اليمن فقيراً لكانت العروبة تتجسّد في اليمن تضامناً وسينمو وسيزيد ذلك من إصرار محمد بن سلمان ـ لو وصل إلى العرش ـ على الانتقام من هزيمته على يد من احتقرهم من قبل. لكن نستطيع أن نقول إن الشعب اليمني سجّل من الانتصار ما يندر في زمن الطغيان الغربي - الخليجي - الإسرائيلي. سيصبح اليمن رمزاً للصمود والمقاومة والشجاعة والبطولة. علّمنا الشعب اليمني أنك لا تحتاج إلى ثروة كي تشهر كرامتك بوجه أعدائك المتخمين بالنفط ـ وبالتحالف مع إسرائيل. اليمن هو اليوم مدرسة الكرامة، فيما أن نُخبة الثقافة والفن والإعلام في لبنان هي مدرسة في الذلّ والطاعة والانحناء.

* كاتب عربي ـ حسابه على تويتر @asadabukhalil

> كان الخطاب الليبرالي المعادي للتحالف مع الطغاة كلاماً سياسياً يصلح لحملة انتخابيّة ضد دونالد ترامب وصدّقت الصحافة السائدة هنا كلام وعود بايدن إلى أن توضّحت الصورة
>
> التظاهرات العارمة من أجل فلسطين في اليمن ليست إلا تسجيلاً لفهم طبيعة المعركة وتصنيف الأعداء والأصدقاء على طريقة «إستراتيجيّة الجبهة الشعبية»، التي وضعها جورج حبش

لماذا فشل الحوار؟

سعد الله مزرعاني *

فشلت، سريعاً، دعوة رئيس الجمهورية لإجراء حوار، في القصر الجمهوري، بين مكوّنات السلطة وأختها «المعارضة» الرسمية، الممثّلتين كلتيهما في مجلس النواب. ذلك أن الحوار، على ما درجت العادة، يقتصر عليهما، عبر صيغة ممثّلي الكتل النيابية. يشكّل ذلك إمعاناً في احتكار التعاطي في الشأن الوطني العام، حتى في ذروة أزمة غير مسبوقة، على غرار الأزمة الطاحنة المفتوحة التي يعيشها لبنان واللبنانيون منذ سنتين ونيف.

فشل الدعوة للحوار ليس أمراً مفاجئاً، أو حتى مستغرباً، رغم الأزمة المتمادية والاستثنائية الراهنة. من حيث المبدأ، في الأزمات العادية، فكيف بالاستثنائية، يسارع المعنيّون إلى التفتيش عن المخارج والحلول. أوّل الشروط المطلوبة لنجاعة أي جهد، هو مباشرة حوار لتحديد أسباب الأزمة، ومن ثم اتخاذ القرارات المشتركة، بحدٍّ أدنى من التكافل والتضامن، للتصدّي لما هو مُلِمّ من أسبابها والنتائج. غير أن الوضع اللبناني يشذّ عن هذه القاعدة الطبيعية العامّة. تدير البلد جماعة سياسية متنافرة بسبب الإصرار الخارجي والداخلي على زرع بذور الانقسام والتفكّك في صميم النظام السياسي القائم. يحصل ذلك عبر «الكوتا» الطائفية والمذهبية التي تحوّلت من مؤقّتة إلى دائمة، مكرّسة ومهيمنة، خدمة لمصالح أطرافها الداخليين، من جهة، ولمصالح مرجعيات هؤلاء الخارجية، من جهة ثانية. نجم عن ذلك أن محاولات الحوار بين أطراف السلطة لم تنجح يوماً. هذا في حال أقدم مرجع لبناني رئاسي أو حكومي أو نيابي على الدعوة إليها دون شراكة أو رعاية خارجية. أمّا التسويات التي تمّ التوصل إليها بالحوار، فهي تلك التي دعت إليها أو رعتها الجهات المرجعية لقوى السلطة والمعارضة الرسمية اللبنانية. كانت آخر التسويات تلك التي حصلت في الدوحة عام 2008، وقبلها التسوية الأوسع التي جرت في مدينة الطائف السعودية عام 1989: برعاية أميركية سعودية سورية... أمّا «التسوية الرئاسية» الثنائية فقد انتهت بشكل مأساوي: اعتقال الرئيس سعد الحريري في الرياض ومقاطعة لبنان سياسياً واقتصادياً كما لم يحصل من قبل!

جرت محاولة في تسوية وصيغة «الطائف» لتدارك هذا الأمر. تمّ إقرار نص وآليّة محدّدة، بشكل شبه تفصيلي، لإلغاء الكوتا الطائفية على مرحلتين مباشرة ومؤجّلة نسبياً. تمّ، في السياق، استحداث «مجلس شيوخ» محصور الصلاحيات للتعاطي بالهواجس والشؤون الطائفية والمذهبية. يلاحظ الباحث المهندس عصام بكداش، في دراسة أنجزها أخيراً، أنه قد جرى تفخيخ تسوية «الطائف»، والدستور بعدها، بصيغ تطبيقية ونصية ملتبسة ومتناقضة بقصد واضح، هو ترك المجال مفتوحاً لعدم تطبيقها، أو حتى لإعادة تكريسها أو التخلّي نهائياً عن أهم الإصلاحات التي أقرّها تسوية «الطائف» وكرّستها في المواد 22 و24 و95 من الدستور. في الواقع هذا التقدير صحيح وقد أكدت التجربة ذلك. ففي المرحلة السورية تمّ إهمال هذا البند الإصلاحي وتولّت السلطة السورية إدارة الشأن السياسي اللبناني بشكل عام مكتفية منه بتقليص صلاحيات رئيس الجمهورية. أمّا صلاحيات مجلس الوزراء التي أحيل إليها جزء مهم من صلاحيات رئيس الجمهورية، فقد كان يستحوذ عليها، بشكل شبه مباشر، الطرف السوري. هذا ما جعل الوصي السوري يجمّد كل البنود الإصلاحية تقريباً. الواقع أن تعطيل النص أو الاستفادة من التباس بسيط فيه قرّره، دائماً، ميزان قوى غلّب الاستثناء على القاعدة. كما حصل منذ بدء الولاية العونية... ودائماً، بتغييب، أو غياب الطرف الوطني صاحب «البرنامج المرحلي» للإصلاح، والمناضل من أجل إدراجه في تسوية «الطائف»!

فريق 14 آذار، باختصار، وبإشراف من السفير الأميركي فيلتمان وسفراء الدول الغربية المعنية آنذاك، اكتفى بنقل السلطة من عنجر إلى عوكر. هو فوّت فرصة، رغم ادّعاءاته السيادية، تعزيز الحصة الداخلية في القرارات بشأن مصير البلاد وعلاقاتها الخارجية. اتفاقية الدوحة كرّست الإمعان في تعطيل الإصلاح من خلال إضافة تقاليد جديدة لتوزيع السلطة ولتعطيلها (كونفدرالية طوائف) في حال الخلافات. الرئيس عون، الذي بنى قضيّته ومشروعه على رفض المساس بصلاحية الرئيس الماروني، واصل نفس نهج التعطيل، متجاوزاً، أيضاً، إلى محاولة تغيير النص نفسه المتعلّق بكونها مؤقّتة، فيما هي يجب أن تكون دائمة وشاملة، حسب الدستور، بعد تحرير مجلس النواب من القيد الطائفي.

انطلق الرئيس عون، في دعوته للحوار، من موقع فتوي ومخالف للدستور. إلى ذلك فالتوقيت خاطئ (قبيل الانتخابات) إذ يقع في ذروة جديدة لأزمة مفتوحة ينبغي أن يتركّز الجهد على تدارك المزيد من تعاظمها. لن يكون ذلك ممكناً، طبعاً، من منطلق فئوي أو خاص. هذا بالإضافة إلى أن الصراع الداخلي في ذروته، الآن، وعون وتيّاره مستهدفان بقوّة من الداخل والخارج بسبب تعاونهما مع المقاومة التي يمثّلها حزب الله. ثم إن الانتخابات على الأبواب والفريق الذي توجّهه وأشنطن يعوّل كثيراً على نتائجها لتحقيق مكسب كبير في نطاق خطته الشاملة. رغم ذلك، يتواصل إجماع المتخاصمين على الحفاظ على الكوتا الطائفية. كذلك يحصر الفريق الأساسي من المنظمات المدنية المُشكلة بالأداء، دون الاقتراب من الخلل الجوهري الكامن في النظام السياسي نفسه. أمّا الطرف الخارجي، الولايات المتحدة وحليفاها الإسرائيلي والخليجي، فيديرون مشروعاً متكاملاً يشترط تحقيقه تعميق الأزمة دون حدود، سياسياً، واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً... ما يحول حتماً دون تشجيع أي حوار أو تقارب بين أطراف السلطة اللبنانية. لكل هذه الأسباب وسواها فشل الحوار العوني وسقط بالضربة القاضية!

يفتقد الوضع اللبناني، من خارج سياق السلطة والمعارضة الرسميّتين، والمرجعية الخارجية، إلى ديناميات داخلية شعبية كافية وفعّالة وناضجة. ينطبق ذلك على الشقين الشعبي المعترض والمحتجّ، القديم والجديد، حيث لم تتبلور صيغ جبهوية جدية وشاملة، ذات برنامج وقيادة وخطّة موحّدة، سواء بين الطرفين أو في نطاق كل واحد منهما. الأسباب للأسف ذاتيّة، رغم أن الطرف الموضوعي شديد الملاءمة! هذا الأمر يترك فجوة هائلة قد تضع اللبنانيين أمام خيارين كلاهما سيّئ: نجاح خطّة الفريق الأميركي، أو بقاء القديم على قدمه، أي في الحالتين استمرار الأزمة أو تفاقمها نحو الأسوأ والأخطر، اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً و... مصيرياً!

* كاتب وسياسي لبناني

على الغلاف يعود تحالف العدوان على اليمن إلى سيرته الأولى. مجازر متنقّلة تحصد أرواح عشرات الأبرياء بدعوى استهداف مواقع «الميليشيات الحوثية». هي «فترة سماح» يُتاح فيها لـ«التحالف» التنفيس عن غضبه الكبير جرّاء ضربة «إعصار اليمن»، ريثما يتبيّن للأميركيين، الذين يجول مبعوثهم اليوم على المنطقة، ما يمكن فعْله. على أن هذه الفترة، وإن كانت «في العمق غير مرتبطة بمساعٍ لتغيير الوضع الحالي في الجبهات»، بحسب ما تقراها «أنصار الله»، الأمر الذي يعني أنها ليست المُحدَّد الفيصل بخصوص المرحلة المقبلة، إلّا أنها ستكون لها تداعياتها على مستويَين: الأوّل، استتباع فعْل من قيادة صنعاء التي أكدت أن الفصْل الأخير من المجازر السعودية - الإماراتية لن يمرّ من دون ردّ؛ والثاني، تعقيد الجهود الأميركية لاستنقاذ الحلفاء، بعدما تكاثفت التحذيرات من أن «الحوادث ذات الأضرار الجانبية الكبيرة» (إقرأ: المذابح)، ستُبخّر ما تبقّى من تعاطف دولي مع «التحالف»، مع نصائح لواشنطن بالمساعدة في التخفيف من تلك «الأضرار»

مذابح متنقّلة انتقاماً لأبو ظبي
«فترة سماح» دموية... في انتظار إشارة واشنطن

ردّة فعل «التحالف» على عملية «إعصار اليمن» شبيهة بردّات فعل إسرائيل على عمليات المقاومة في فلسطين (أ ف ب)

حمزة الخنسا

واصل التحالف السعودي - الإماراتي ارتكاب المجازر بحقّ المدنيين العزّل في اليمن، انتقاماً للضربة التي تلقّتها الإمارات في مطارَي دبي وأبو ظبي وفي منطقة المصفح الصناعية في العاصمة الإماراتية، والتي أتت في سياق معادلات ردع تعمل صنعاء على إرسائها في مواجهة العدوان المتواصل منذ أكثر من سبع سنوات. وفيما كان لافتاً تعمُّد استهداف أبراج الاتصالات والإنترنت، اعتبرت صنعاء أن عزلها عن العالم الخارجي تمهيدٌ لـ«ارتكاب المزيد من الجرائم» في الأيام المقبلة. مئات الشهداء والجرحى، ودمار كبير في الممتلكات والبنى التحتية المدنية، خلّفته طائرات «التحالف» في صنعاء (الحي اللبني) وصعدة (السجن المركزي) والحديدة (مبنى الاتصالات) وغيرها، منذ ما بعد «إعصار اليمن» يوم الإثنين الماضي، في ما يبدو أنه «فترة سماح» ممنوحة للإمارات لـ«تنفّس غضبها»، قبل الإفساح بالمجال أمام الاتّصالات التي شرعت مسقط في إجرائها، في الساعات الأولى ما بعد الضربة اليمنية، من جهة، ولتكبير «فاتورة الدم» التي ستدفعها «أنصار الله» من حساب المدنيين والأبرياء، لتكون حاجزاً أمامها قبل أن تفكّر في إعادة الكرّة مرّة أخرى.

وفيما تحاول أبو ظبي لعب دور الضحية، عبر سعْيها الدؤوب لحشد أكبر قدْر ممكن من التعاطف العربي والدولي معها، أبلغ المستشار الدبلوماسي لرئيس الإمارات، أنور قرقاش، المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى اليمن، هانس غروندبرغ، الخميس، أن بلاده «تمتلك الحق القانوني والأخلاقي للدفاع عن أراضيها وسكّانها وسيادتها، وستمارس هذا الحق للدفاع عن نفسها، ومنْع الأعمال الإرهابية التي تنتهجها جماعة الحوثي»، داعياً إلى «ضرورة وجود موقف حازم من المجتمع الدولي» تجاه ما سمّاه «توسّع الأعمال الإرهابية للميليشيات الحوثية». غروندبرغ الموجود في الرياض، لـ«بحث سبل حلّ أزمة اليمن»، التقى نائب وزير الدفاع السعودي، خالد بن سلمان، واتّفقا على «العمل سويّاً بشكل وثيق»، بعدما ناقشا «إنهاء الحرب في اليمن وضمان الاستقرار في شبه الجزيرة العربية». إلّا أن العمل الأميركي - السعودي - الإماراتي المشترك في اليمن، منذ الـ17 من الجاري، لا يعدو كونه مجازر متنقّلة، في ما يبدو أنه يستهدف البعث برسالة بـ«النار والدم»، مفادها بأن «التحالف»، ومن خلفه أميركا وإسرائيل، لا يمكن أن يسمحوا بتكرار «إعصار اليمن»، خصوصاً في إمارات ما بعد 15 أيلول 2020، تاريخ توقيع اتفاقية التطبيع مع إسرائيل، والدور «الواسع» الذي أنيط بها ربطاً بذلك. وفيما تأتي ردّة فعل «التحالف» الحالية على العملية اليمنية، شبيهة بردّات فعل إسرائيل على عمليات المقاومة في فلسطين ولبنان لناحية القصف العشوائي وممارسة القتل للقتل، إلّا أنها في عمقها غير منفصلة عن حسابات ودوافع أميركية - إسرائيلية، ربطاً بحقيقة أن ضرب العمق الإماراتي قد أثار قلقاً إسرائيلياً أكثر ممّا هو مسجّل في أبو ظبي، مع لحظ الدور الإماراتي في عمليات «التمويل والتجنيد» في سياق التسويق لمشروع التطبيع.

إزاء ذلك، تقول مصادر مواكبة، لـ«الأخبار»، إن «الهستيريا التي تنتاب الإمارات، ومن خلفها السعودية والولايات المتحدة، والتي تُرجمت على شكل مجازر متنقّلة بين صنعاء وصعدة والحديدة، لن تمرّ من دون ردّ مناسب، إلّا أنها في العمق غير مرتبطة بمساعٍ لتغيير الوضع الحالي في الجبهات، وخصوصاً ما يتعلّق بوضع مأرب وشبوة»، مشيرة إلى أن «قوى العدوان غير قادرة في الأساس على خلْق اندفاعة ثانية لمرتزقتها في مديريات بيحان وعسيلان وعين». وبالتالي، فإن «العجز البري يتحوّل إلى تجزير جوي الهدف منه قتْل إرادة اليمنيين من خلال مشاهد الدم والأشلاء». لكن ذلك لا يمنع صنعاء من إضافة المجازر الجديدة لـ«التحالف» إلى «موجبات الردّ» التي تعمل وفقها. وبحسب المصادر المواكبة ذاتها، فإن الاستراتيجية العسكرية لحركة «أنصار الله» «لا تقوم على ردّ الفعل المتسرّع بل المدروس، وهي لا تبادر إلى التحرّك قبل أن يستكمل العدو مساره ويفرغ ما في حوزته ويكشف مخطّطه». وبالتالي، فإن صنعاء تؤكد المؤكّد، وهو أمران: الأوّل أن عملية «إعصار اليمن» «لم تكن سوى رسالة أوّلية مرتبطة بالمعادلات الخاصة بمعركة مأرب ومتطلّباتها، وأن تكرارها متّصل بالحاجة إلى إبقاء هذه المعادلات قائمة وفعّالة»؛ والثاني هو «حتمية الردّ على المجازر المرتكبة بحقّ المدنيين في إطار الجنون السعودي - الإماراتي في الردّ على إعصار اليمن».

> تحاول أبو ظبي لعب دور الضحية عبر سعيها الدؤوب لحشد أكبر قدر ممكن من التعاطف العربي والدولي

لا يلعب الوقت لمصلحة الإمارات، التي ستبقى متأهّبة إلى أن ينجلي غبار «المعركة على هامش الحرب»، والتي اندلعت عقب «إعصار اليمن»، فيما ينتظر التصعيد القائم حالياً «إشارة النهاية» التي ستخرج بها الاتصالات القائمة، والتي ينخرط فيها أيضاً المبعوث الأميركي إلى اليمن، تيموثي ليندركينغ، الذي وإن تكرارها متّصل بالحاجة إلى إبقاء هذه المعادلات قائمة وفعّالة»؛ والثاني هو «حتمية الردّ على المجازر المرتكبة بحقّ المدنيين في إطار الجنون السعودي - الإماراتي في الردّ على إعصار اليمن».

لا يلعب الوقت لمصلحة الإمارات، التي ستبقى متأهّبة إلى أن ينجلي غبار «المعركة على هامش الحرب»، والتي اندلعت عقب «إعصار اليمن»، فيما ينتظر التصعيد القائم حالياً «إشارة النهاية» التي ستخرج بها الاتصالات القائمة، والتي ينخرط فيها أيضاً المبعوث الأميركي إلى اللـه»، في أدبياتها وخطابها الإعلامي، إن تهديدات «التحالف» بشنّ عمليات عسكرية على بعض المحافظات والمدن اليمنية، «أشبه بتهديد الغريق بالبلل»، فيما لم تفلح محاولات المهدّدين تغيير الوقائع على الأرض عبر المواجهات البرّية المباشرة على رغم تعدّد المحاولات وفداحة الخسائر، وبالتالي فالأجدر بهم الكفّ عن التهديد، والبدء بالتفكير مليّاً بما سيكون عليه الوضع فيما لو انزلقت الأمور إلى الأخطر، وأصبحت دبي أو أبو ظبي تتلقّى أسبوعياً ضربات متنوّعة على أهداف حيوية فيها.

فلسطين

تطمينات قطريّة لـ«حماس»: مشروع مدّ الغاز قائم

غزة - رجب المدهون

في الوقت الذي أوصلت فيه حركة «حماس» رسائل إلى الوسطاء تُحذّر فيها من استمرار الاعتداءات الإسرائيلية في مدينة القدس المحتلة ومنطقة النقب، نقل القطريون تطمينات إلى الحركة بأن المشاريع الهادفة إلى تحسين الوضعَين الاقتصادي والإنساني في قطاع غزة، تمضي قُدُماً، إذ علمت «الأخبار»، من مصادر فلسطينية مطّلعة، أن السفير القطري، محمد العمادي، أبلغ قيادة «حماس»، خلال زيارته القطاع الأسبوع الماضي وتقديمه التعزية لقائد الحركة في غزة يحيى السنوار بوفاة شقيقته والدته، بأن مناقصات مشروع مدّ أنبوب غاز لمحطة توليد الكهرباء في القطاع وتطوير قدرتها الإنتاجية ستُطرح خلال الشهر المقبل، على أن يكتمل تنفيذ المشروع في العام القادم، بما يؤدّي إلى إنهاء معاناة الغزّيين من شحّ الكهرباء، والتي استمرّت لما يزيد على 16 عاماً. وفي تفاصيل الخطة، سيتم مدّ المحطة بالغاز الطبيعي الذي سيوفّر ثلث قيمة الوقود التي تدفعها قطر لمصلحة غزة، والبالغة 10 ملايين دولار، كما سيتمّ تزويدها بتوربينَين تشغيليَّين جديدَين بهدف زيادة قدرتها إلى أكثر من الضعف، وهو ما يعني تغطية أكثر من 70% من حاجة القطاع. وكانت شركة متخصّصة متعاقدة مع «اللجنة القطرية لإعادة إعمار قطاع غزة» أنهت، أخيراً، التصاميم والرسومات المطلوبة لمسار الخطوط الناقلة للغاز، من داخل دولة الاحتلال إلى غزة.

> حذّرت «حماس» من أن تقليص المنحة القطرية سيؤدّي إلى تفاقم أزمة رواتب الموظفين

وفي الإطار نفسه، بحث رئيس وزراء السلطة الفلسطينية، محمد أشتية، أوّل من أمس، مع «شركة اتحاد المقاولين العالمية» (سي سي سي)، المشروع القطري لتوفير الغاز للقطاع، وذلك خلال استقباله رئيس مجلس إدارة «شركة كهرباء غزة»، سامر خوري، ونائبه وليد سلمان. وأبرمت «اللجنة القطرية»، نهاية العام الماضي، مذكّرة تفاهم مع سلطة الطاقة والموارد الطبيعية في غزة وشركة كهرباء القطاع، تضمّنت آليات لتوريد وشراء الغاز اللازم لتشغيل محطة التوليد الوحيدة هناك. وستتولّى اللجنة تمويل مدّ خطّ الغاز من الشركة الموزّدة إلى حدود غزة بتكلفة 60 مليون دولار، فيما ستتولّى شركة الكهرباء وسلطة الطاقة المحلّيتان أعمال تحويل المحطّة للعمل بالغاز كبديل من الوقود السائل، فضلاً عن زيادة الإنتاج ليصل إلى 500 ميغاوات كحدّ أدنى، علماً أنه لا يتوافر حالياً إلّا نصف تلك الحاجة، وأحياناً ما لا يزيد عن 25% منها، بحسب وفرة الوقود.

في سياق متّصل، نفت مصادر في حركة «حماس» صحّة الأنباء التي تحدّثت عن تقليص قطر منحتها لمصلحة الموظفين في القطاع، من 10 ملايين إلى 4 ملايين دولار، موضحةً أن هذا الحديث جاء في إطار استفسارات طرحها القطريون في شأن مدى تحسُّن قدرة الحكومة على دفْع الرواتب، بما يتيح تقليص المنحة لمصلحة مشاريع أخرى. لكنّ الحركة رفضت ذلك، مؤكدةً أنه سيؤدّي إلى تفاقم أزمة رواتب الموظفين الذين باتوا منذ شهرين يتقاضون 60% من قيمة رواتبهم الشهرية، بعدما كانت تُراوح ما بين 45 - 50%، وهو ما يعني احتمال تفجُّر الأوضاع من جديد. ولذا، فقد تمّ، بحسب المصادر نفسها، تأجيل النقاش في هذه القضية إلى وقت لاحق، على أن يستمرّ صرف المنحة بالطريقة السابقة عينها، من دون تغيير في قيمتها أو طبيعة الجهات التي تصل إليها.

نفت مصادر في حركة «حماس» صحّة الأنباء التي تحدّثت عن تقليص المنحة القطرية (أ ف ب)

تقرير

الإمارات توسط الجميع: لا علاقة لنا بالمجزرة

خلافاً لكل ما يجري تسويقه إعلامياً، علمت «الأخبار» من مصادر مطلعة أن حكومة الإمارات العربية المتحدة بادرت خلال الساعات الماضية إلى إجراء جولة واسعة من الاتصالات بهدف «احتواء الموقف»، في ضوء توقع رد فعل أنصار الله على المجزرة التي ارتكبت أمس في صعدة والحديدة. وقالت المصادر إن الإماراتيين لم يتركوا طرفاً على صلة مباشرة أو غير مباشرة بأنصار الله إلا وتواصلوا به، مؤكدين أن لا علاقة لهم بالغارات التي استهدفت صعدة أو بالمعارك الجارية في الحديدة وبالقصف الذي استهدفها.

وقالت المصادر إن جهاز الأمن القومي في الإمارات بقيادة طحنون بن زايد تولى التواصل المباشر مع مجلس الأمن القومي في إيران، كما جرت اتصالات مع العراق وسوريا، وصولاً إلى اتصالات جانبية مع جهات في لبنان على صلة بحزب الله. وكانت العبارة المشتركة في كل هذه الاتصالات بأن «الإمارات لم تشارك في هذه الغارات، ولا في العمليات العسكرية الجارية»، مع طلبات مباشرة «بالتوسط لدى الحوثيين لعدم الرد بقصف جديد لأي مدينة أو منشأة في الإمارات».

وبحسب المصادر، فإن الإماراتيين ركزوا على شرح خلفية موقفهم، بالقول إن ما قاموا به في شبوة اقتصر على دعم «لواء العمالقة» لتثبيت سيطرته على المحافظة وطرد جماعة حزب الإصلاح، وأن الأميركيين والسعوديين هم من يقف خلف قرار التصعيد والذهاب نحو مأرب، مع التأكيد من جديد على حجم الضغوط الأميركية الأخيرة.

على أن الأجوبة التي سمعها الإماراتيون كانت في إطار حذر للغاية، لجهة القول إن القرار النهائي بيد أنصار الله وحدهم، وأن الضربات التي تلقتها الإمارات لم تأت إلا بعد مخالفة أبو ظبي لتعهدات سابقة بالخروج من الحرب على اليمن. وعُلم أن الإمارات تنتظر نتائج «وساطة ما» يقوم بها طرف على تواصل مع أنصار الله.

وذكرت المصادر أن الاتصالات ترافقت مع أكبر استنفار أمني وعسكري إماراتي، خصوصاً لقوى العاملة في منظومة الدفاع الجوي وأجهزة الرادار، مع محاولة لطمأنة مقيمين في الإمارات لعدم القيام بخطوات تحت ضغط تهديدات صنعاء. ويبدو أن حالة الهلع تتركز الآن في إمارة دبي، خصوصاً بعدما وضع برج خليفة ضمن دائرة الأهداف التي يتوقع أن يضربها أنصار الله رداً على الجرائم التي ترتكب في اليمن.

تونس

سعيد نحو حلّ «مجلس القضاء»: نقطة فاصلة في المواجهة

تونس - الأخبار

تتجدّد المواجهة بين الرئيس التونسي، قيس سعيّد، والسلطة القضائية، مع وصولها اليوم إلى مرحلة تجريد قضاة «المجلس الأعلى للقضاء» من امتيازاتهم ومنحهم. وبالنظر إلى أنه ليس بإمكان الرئيس إقصاء القضاة ولا تحييد وجودهم - كما فعل مع الأحزاب -؛ لدورهم الحيوي في الحياة العامّة، فقد التجأ إلى حيلة أخرى، وهي احتواؤهم ترهيباً وترغيباً. وهكذا، باتت منهجية سعيّد في تحجيم دور خصومه واضحة للعيان ومتكاملة، إذ تكون بدايتها باستغلال أيّ فرصة لتوجيه الاتهامات والتخوين لهم، وهم في هذه الحالة القضاة، ما يفسح في المجال أمام انفجار الغضب الشعبي بوجههم، وما إن تَثبت على هذا الجهاز الحيوي اتهامات «اللاعدالة والتحيّز والعمل لصالح أطراف معادية للوطن وناهبة لقوت التونسيين»، حتى يُجهز عليه الرئيس بالتجميد، وإن كان مستحيلاً تجميده فيضحي الجرمان من المِنح والامتيازات طريقة لـ«تصويب

> إقدام سعيّد على حلّ «المجلس الأعلى للقضاء» سيمثّل محطّة حاسمة في مسار الأزمة

الأمور»، من وجهة نظر سعيّد.

على أنه لا يمكن تحميل الرئيس وحده مسؤولية وضْع القضاة بـ«اللاعدالة والانحياز»؛ فالأمر معلوم للتونسيين، وشهدت عليه الهياكل المهنية للقضاة أنفسهم، ولكن ما أقدم عليه الرئيس لم يكن إصلاحاً ولا تصويباً للأمور، من وُجهة نظر ناقديه، بقدر ما هو إجراء شعبوي لا نتائج واقعية له في جعل هذا الجهاز عادلاً أو محترماً للضوابط والمعايير الدولية. ولذا، يرى مراقبون أن قرارات سعيّد إنما ترمي إلى غايات أخرى، أبرزها تحميل هذه السلطة مسؤولية تعثّر العدالة، كونها جزءاً من «قوى الردّة» التي ترفض محاسبة منظومة «النهضة» وحلفائها على امتداد العشرية الماضية. أمّا بقيّة الغايات فلا تتعدّى محاسبة القضاة على إهمال الملفّات التي أحالها القصر الرئاسي إليهم، وإصرارهم على البقاء خارج دائرة هيمنة القصر.

ضربة قاصمة، إذاً، تلقّاها القضاة بتجريد مجلسهم من امتيازاته، ولا يمكن لهؤلاء التظلُّم ضدّها لوسائل الإعلام والتأثير في الرأي العام؛ فكلّ تصريح في هذا الاتجاه سيُعيد الجدل الذي اندلع السنة الماضية، عندما أقرّت حكومة هشام المشيشي زيادة هامّة في رواتب القضاة على رغم استهجان الشارع التونسي. وسيعود القضاة، مجدّداً، إذا ما تذمّروا من قرار سعيّد، إلى مربّع الوصْم بـ«الجشع والطمع» في موازنة تنهشها المديونية وتسعى للتوفير بأيّ طريقة كانت. وأمام استحالة التوجّه إلى الرأي العام طالما أن نتائج هذه الخطوة ستكون وخيمة على أصحابها، فقد لجأ هؤلاء إلى ردّ من نوع مختلف على مستويَين: الأوّل، تصريح أعضاء من المجلس بأن «الاستمرار في العمل غير مرتبط بالمنح والامتيازات بقدر ما يتعلّق بالإيمان برسالة القضاء»؛ والثاني قرار المحكمة الإدارية إعادة وكيل الجمهورية المتورّط في قضايا تسفُّر على إرهابيين إلى عمله، ونقْض قرار فصله من القضاء وإحالته على التحقيق الجنائي، بسبب الأخطاء الإجرائية التي شابت ذلك القرار.

وفي ظلّ استمرار المناكفات المتبادلة، خفتت الأصوات العقلانية التي تنادي فعلاً بإصلاح المؤسسة القضائية، وهي التي لم تنفكّ تفعل ذلك طيلة العشرية الماضية أيضاً. وفي هذا الإطار، تُشدّد «الجمعية الشرعية للقضاة» على أن لا إصلاح بقرارات ارتجالية أو في سياق الاستثناءات، والمطلوب من الرئيس لكي يبرهن على حُسن نيّته تجاه هذه السلطة، هو «احترام استقلاليّتها، وتمهيد الأرضية لتباحث مقترحات مخطط الإصلاح المتماشية مع المعايير الدولية بين أبناء السلطة القضائية، ثمّ تنزيل مقترحاتهم في قوانين بعد انتخاب سلطة تشريعية جديدة». وتحذّر الجمعية من أن أيّ «إصلاح في سياق المراسيم الرئاسية التي يتّخذها سعيد سيكون هشّاً ومن دون أثر ومشكوكاً في مصداقيّته».

ولا يبدو أن سعيد يُلقي بالاً لصوت ناصحيه المتعقّلين، بقدر استجابته للدعوات الراديكالية إلى حلّ «المجلس الأعلى للقضاء» جملة وتفصيلاً. وبصرف النظر عن أن الأداء الهزيل لهذا الهيكل، وانحيازه المكشوف إلى السلطة التي أسندت إليه امتيازاته، وما كشفته التسريبات سابقاً عن مدى تأثير الفاعلين السياسيين في قراراته التي تُعدّ على الأصابع في مدّة عمل تجاوزت الثلاث سنوات، فإن إقدام سعيّد على حلّه سيمثّل محطّة حاسمة في مسار توسيع دائرة خصومه، والإضعاف الذاتي لمشروعه السياسي.

الفارق الوحيد في المواجهة هو أنه ليس بإمكان سعيد إقصاء القضاة ولا تحييد وجودهم (أنترنت)

تقرير

تُحاول الحكومة البريطانية الهروب من أزماتها الدّاخلية الخانقة، عبر الدخول بصخَب على خطّ الأزمة الأوكرانية. فمُساوقةُ المقاربة الأميركية لهذا الملفّ، ومُرسِلةُ قوّات ومدرّبين وأسلحة عالية التقنية لدعم نظام كييف اليميني، خطواتٌ يرى مراقبون أنها تنمّ عن قِصَر نظر يبدو أنه صار تقليديًا في أداء النخبة الحاكمة في لندن، فيما تبدو برلين أكثر حذرًا بنأيها بنفسها عن هذه الأزمة، ومنْعها الطائرات البريطانية المُتّجهة شرقًا من عبور المجال الجوّي الألماني

أسلحة ومدرّبون وقوّات إلى أوكرانيا
بريطانيا خلْف أميركا... بوجْه روسيا

محادثات «صريحة»... ولقاءٌ جديد الأسبوع المقبل

اتفق الروس والأميركيون على الالتقاء، «الأسبوع المقبل»، في ختام محادثات «صريحة»، أمس، حول الأزمة بين روسيا والغرب، بشأن مسألة أوكرانيا، والتي لا تزال مهدّدة بالتصعيد، في ظلّ التعزيزات العسكرية الروسية على الحدود مع هذا البلد.

واللقاء، الذي عُقد بين وزيري الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، والأميركي، أنتوني بلينكن، هو آخر محطّة ضمن مساعٍ دبلوماسية مكثّفة بدأت بمحادثتين عبر الإنترنت بين الرئيسين الروسي، فلاديمير بوتين، والأميركي، جو بايدن، في كانون الأول.

ووصف بلينكن المحادثات بأنّها «صريحة وجوهرية»، مشيراً إلى قدر من الانفراج بعد أسابيع من التصعيد في التصريحات. وطلب من روسيا أن تثبت أنهاً لا تنوي اجتياح أوكرانيا، مشدّداً على أنّ «وسيلة جيّدة لذلك ستكون سحب قواتها عن الحدود الأوكرانية». من جانبه، أعلن لافروف، بعد محادثات استمرّت أقلّ من ساعتين بقليل، أنّه ووزير الخارجية الأميركي «متوافقان على ضرورة إقامة حوار منطقي»، كي «يتراجع الانفعال». واتفق لافروف وبلينكن، على أن تقدّم واشنطن «الأسبوع المقبل» ردّاً خطياً على المطالب الروسية، غير أنّ الوزير الأميركي لم يوضح إن كانت بلاده ستردّ على جميع بنود المطالب الروسية المفصلة. إلّا أنّه حذّر من أنّ واشنطن سترُدّ على أيّ هجوم روسي على أوكرانيا «حتى لو لم يكن عسكرياً».

ولخّص لافروف الأمر بالقول إنّه في ما يتعلق بجوهر المسألة «لا أعرف إن كنّا على الطريق الصحيح»، فيما صرح بلينكن قائلاً: «إنّنا الآن على الطريق الصحيح لفهم مخاوف ومواقف كلّ منا».

(أ ف ب)

تَقدّر المصادر الغربية الحشد العسكري الروسي بمائة ألف جندي (أ ف ب)

لندن - **سعيد محمد**

في أحدث دليل على تصدُّع جدار التحالف الغربي بشأن الأزمة الأوكرانية، أظهرت بيانات الطيران فوق أوروبا أن الطائرات البريطانية تتجنّب عبور المجال الجوّي الألماني في طريقها إلى أوكرانيا، وهي محمّلة بأسلحة وُصفت بعالية التقنيّة وقوّات لدعم القدرات الدفاعية للجيش الأوكراني، في مواجهة ضغوط روسية عسكرية مستمرّة منذ بعض الوقت. وبحسب المعلومات، فإن ألمانيا رفضت فتح مجالها الجوّي أمام الطائرات البريطانية المُتّجهة شرقاً، في إطار حرصها المتزايد على عدم إغْضاب موسكو، حفاظاً على إمدادات الطاقة عبر مسار «نورث ستريم 2». ولذا، تتمسّك الحكومة الألمانية – أقلّه حتى الآن - بسياسة الامتناع عن تزويد أوكرانيا بالسلاح، على رغم الضغوط الأميركية الممارَسة عليها في هذا الاتّجاه، مُكرّرة تعهُّدها، على لسان وزيرة خارجيتها أنالينا باربوك، المعروفة بعدائها لروسيا، «ببذل كلّ ما في وسعها لتجنُّب تصعيد الأزمة». وحذّرت باربوك، خلال زيارة إلى كييف، من أن «أيّ تصعيد آخر سيحمل بالضرورة ثمناً باهظاً للنظام الروسي اقتصادياً وسياسياً واستراتيجياً»، لكنّها سارعت إلى التشديد على الحاجة إلى مواصلة المفاوضات، قائلةً: «نحن مستعدّون لإجراء حوار جدّي مع روسيا، لأن الدبلوماسية ما تزال هي الطريقة الوحيدة لنزع فتيل هذا الوضع الخطير جدّاً».

في المقابل، وصلت إلى كييف طائرتا شحن جوّي بريطانيتان من طراز «سي -17»، تحملان أنظمة صواريخ متطوّرة ضدّ الطائرات تُطلَق من الكتف، وأطقم تدريب عسكرية على مواجهة الدبّابات تمركزت في قواعد للجيش الأوكراني. وبرّرت الحكومة البريطانية تلك الإمدادات بـ«تعزيز قدرات أوكرانيا الدفاعية» في مواجهة الحشد الروسي على حدودها، والذي تُقدّره المصادر الغربية بمائة ألف جندي. ولم يُكشف النقاب عن تعداد القوات البريطانية التي ستُرسَل إلى أوكرانيا لأسباب أمنية، لكن المملكة المتحدة كانت دَرّبت أكثر من 22000 جندي أوكراني منذ عام 2015، شارك كثيرون منهم في عمليات ضدّ «جمهورية دونستك» - التي أعلنت انفصالها عن أوكرانيا - وفي عام 2019، وسّعت لندن دعمها العسكري لكييف ليشمل التعاون البحري، بينما أعلنت العام الماضي أنها ستُقدّم لحليفتها سفينتَين لمكافحة الألغام. كما تمّ الاتفاق على أن تشتري أوكرانيا ما يصل إلى ثماني سفن جديدة مصنوعة في بريطانيا، ومجهَّزة بأنظمة أسلحة متطوّرة.

بالتوازي مع ذلك، هدّد وزير الدفاع البريطاني، بين والاس، روسيا بـ«حرب دموية جدّاً جدّاً»، إنْ هي أقدمت على «خطوة خاطئة»، لكنه طمأن إلى أن الأسلحة التي أُرسلت إلى أوكرانيا «دفاعيّة محض ولا يجب أن تشكّل أيّ تهديد لروسيا»، مضيفاً أنه «ما زال يأمل أن تسود الدبلوماسية بدل الصراع». وسبق هذا التهديدَ إبلاغ والاس أعضاء مجلس العموم البريطاني، الذي تسيطر عليه أغلبية يمينية ذات مزاج مُعادٍ لموسكو، بأن الحكومة البريطانية اتّخذت قراراً بتزويد كييف بأنظمة أسلحة دفاعية خفيفة ومضادّة للدروع، لكن جنود «جالاة الملكة» لن ينخرطوا مباشرة في أيّ قتال محتمَل، بالنظر إلى أن أوكرانيا ليست عضواً في حلف «الناتو». وكان رئيس الحكومة، بوريس جونسون، اتّفق مع الرئيس الأميركي، جو بايدن، على حزمة من العقوبات الاقتصادية (غير المسبوقة) ضدّ روسيا في حالة وقوع الحرب.

وتأتي هذه التطوّرات في وقت لا تزال فيه روسيا تُقلّل من أهمية المزاعم الغربية في شأن غزوها المحتمَل لأوكرانيا، مُدافِعةً بأن انتشار قواتها على الحدود بين البلدَين يتّخذ صفة التدريب والاستعداد لمواجهة أيّ محاولة من قِبَل «الناتو» للتوسُّع في اتّجاهها، مع أن هذا الحشد العسكري يُذكّر بالمشهد الذي سبق دخول روسيا شبه جزيرة القرم عام 2014. وفيما تبدو موسكو مُصمّمة على نَيْل مطالبها التي كانت تقدّمت بها إلى الجانب الأميركي، لا يَظهر أن لدى واشنطن وحلفائها لا الإرادة ولا القدرة على التورّط في أيّ مواجهة مباشرة مع الروس من أجل أوكرانيا؛ بالنظر إلى التفوّق الاستراتيجي - أقلّه جغرافياً - لمصلحة روسيا، واستحالة تطوُّر أيّ مواجهات عسكرية تقليدية إلى حرب نووية ستكون خسارة محتّمة للطرفين. وعليه، فإن خيارات الولايات المتحدة تظلّ محدودة في إطار الإزعاج والضغط، اللذين قد يدفعان بالكرملين في النهاية إلى تنفيذ غزو محدود للمناطق الشرقية من أوكرانيا، وضمّها بقوّة الأمر الواقع، على رغم أنه ليس لدى فلاديمير بوتين طموحٌ إلى استعادة السيطرة على أراضي الاتحاد السوفياتي السابق، لا سيّما وأنها مناطق فقيرة تعاني من اختلالات بنيوية ومشاكل اجتماعية كبرى ستكون عبئاً لا مكسباً. وليست أوكرانيا استثناءً من ذلك؛ إذ تحوّلت إلى ما يشبه دولة فاشلة، يحكمها متطرّفون نازيّو التوجّهات، وتعاني مشاكل اقتصادية هائلة ونقصاً في إمدادات الطاقة، وهو ما لا يبدو أنه يزعج بوتين، فيما تشكّل تداعياته حتماً مصدر إقلاق لأوروبا.

> **يبدو السلوك البريطاني حيال الأزمة الأوكرانية «مغامرة» لا طائل منها**

إزاء ما تَقدّم، يبدو السلوك البريطاني حيال الأزمة الأوكرانية «مغامرة» لا طائل منها، فيما يكاد المراقبون يُجمِعون على أن الحكومة الحالية وَجدت في قرع طبول الحرب وسيلة لالتقاط الأنفاس، في ظلّ تزايُد الضغوط عليها لتقديم استقالتها، بعد سلسلة من الفضائح والانتكاسات والأزمات. لكن ذلك لا يظهر غريباً على أداء النُّخبة الحاكمة اليمينية في لندن، والتي تحاول لعب دور أكبر بكثير من قدرتها الاستراتيجية.

تقرير

ليبيا تقلب صفحة الانتخابات: المطلوب دستورٌ محاصصة

طرابلس - **الأخبار**

كما كان متوقّعاً، لن تجري الانتخابات الرئاسية الليبية في موعدها الجديد المُحدّد في 24 كانون الثاني الحالي، بعدما توافقت الأطراف الداخلية والخارجية المعنيّة على تجميدها؛ لا لصعوبة تأمينها فقط، بل لأن الفائز فيها لن يتمكّن من ممارسة صلاحياته على الأراضي الليبية كافّة. ومن هنا، ينصبّ التركيز، اليوم، على كيفية إيجاد آلية لتقاسُم السلطة «بسلام»، ريثما يقتنع الليبيون بضرورة بدء صفحة جديدة لن تكون الانتخابات كفيلة بفتْحها، في ظلّ مخاوف من أن يتفرّد الفائز بالحُكم، ويعود معه شبح الحرب الأهلية، بالنظر إلى غياب الحدّ الأدنى من التوافق، إذ يَفرض رئيس الحكومة، عبد الحميد الدبيبة، ووزير الداخلية الأسبق فتحي باشاغا، نفوذاً لهما في طرابلس، لكن لا سلطة لهما عملياً في بنغازي - على سبيل المثال لا الحصر -، التي لم يستطع الدبيبة زيارتها من دون موافقة اللواء المتقاعد، خليفه حفتر، الذي يسيطر على قيادة الجيش. والأمر نفسه ينطبق على رئيس البرلمان، عقيلة صالح، الرجل القوي في بنغازي والذي يحظى بدعم دولي، من دون أن يكون قادراً على دخول طرابلس أو حتى الاقتراب منها. وهكذا، يبدو المشهد معقّداً ما بين شرق وغرب ووسط، وأطراف متضاربة لكلّ منها مصالحه، التي لن تكون عملية الاقتراع بذاتها قادرة على التوفيق في ما بينها.

وعليه، يبدو مفهوماً التوافُق المستجدّ على إرجاء العملية الانتخابية إلى أجل غير مسمّى، واستمرار الوضع الحالي باعتباره أفضل الحلول المكنة، خصوصاً أن ليبيا لم تَعُد أولوية على أجندة الاتحاد الأوروبي ودول الخليج، في ظلّ وجود قضايا أخرى أكثر إلحاحاً. وبالتالي، لم يَعُد ثمّة مَن يريد الرئاسيات إلّا المستشارة الخاصة للأمين العام المتحدة إلى ليبيا، ستيفاني وليامز، التي ترى في الانتخابات فرصة لإيجاد قيادة سياسية يمكن التفاوض معها، بما ينهي المراحل الانتقالية المتعاقبة التي تعيشها البلاد منذ الإطاحة بنظام معمر القذافي. ولذا، تُجري وليامز مفاوضات مكوكية مع مختلف الأطراف، من أجل الوصول إلى صيغة تضْمن إجراء الانتخابات بحلول الصيف المقبل، توازياً مع إعلان «المفوضية العليا للانتخابات» مراجعة كشوف أسماء المترشّحين، تمهيداً لإعلان القوائم النهائية التي حال تأخُّرها دون إنجاز الاستحقاق الشهر الماضي.

> **أصبحت صياغة دستور للبلاد مطلباً رئيساً تجري مناقشته بين الأطراف المعنيّة**

في غضون ذلك، أصبحت صياغة دستور للبلاد مطلباً رئيساً تجري مناقشته بين الأطراف المعنيّة، بهدف ضمان محاصصة مُرضية للجميع قبل التوجُّه إلى الانتخابات. لكن هذا الهدف الذي قد يستغرق تحقيقه عامين، يبدو حتى اللحظة صعب المنال، في ظلّ تمسُّك وليامز بإجراء الرئاسيات في أسرع وقت. وفي ظلّ هذه التعقيدات، تتّجه الأنظار إلى ما سيقرّره مجلس النواب عبر اللجنة التي شكّلها خلال الفترة الماضية لمناقشة سيناريوات ما بعد تعثُّر الانتخابات، وسط خلاف ما بين رئيسه الذي يريد إقصاء الدبيبة، منافسه في الانتخابات، وتشكيل حكومة جديدة للفترة الانتقالية المقبلة، وما بين وليامز التي تؤيّد تمديد مهمّة رئيس الحكومة الحالي. والظاهر أن مسألة بقاء الدبيبة من عدمه ستحسمها التوافقات السياسية ما بين المتحاربين السابقين، ولا سيما في ظلّ الضغوط التي يتعرّض لها صالح من أجل دعم الإسراع في المسار السياسي، وليس استنزاف مزيد من الوقت.

مفوضية الانتخابات تراجع كشوف أسماء المترشحين تمهيداً لإعلان القوائم النهائية (انترنت)

واشنطن تستعجل اتفاقاً مع طهران: الزمن لا يعمل لصالحنا

وليد شرارة

اللافت في مواقف الأطراف المشارِكة في المفاوضات حول البرنامج النووي الإيراني في فيينا، خلال الشهرين الأخيرين، هو التباين الواضح بينها عند تقييمها لسير هذه المفاوضات. فبينما تحرص إيران وروسيا والصين على التركيز على «النصف المتلئ من الكأس»، والتنويه بما يَتمّ تحقيقه من تقدّم في مسارها، تستمرّ الأطراف الغربية، في الآونة الأخيرة، في إظهار توتّرها من «بطئها» والتحذير من أنّ «الوقت ينفد». عبّر وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان عن هذا الرأي، في مقابلة مع قناة «بي أف أم»، عندما قال: «كنّا نسير في اتجاه إيجابي في الأيام القليلة الماضية، لكن الوقت عامل جوهري لأنّنا إذا لم نتوصّل إلى اتفاق بسرعة، فلن يكون هناك شيء نتفاوض عليه». القوى الغربية، في الواقع، لا تمتلك بديلاً عن خيار التفاوض مع إيران للتوصّل إلى تسوية تتيح العودة إلى الالتزام باتفاق عام 2015 النووي. قد يكون المسار التفاوضي أطول وأصعب ممّا تخيّله المسؤولون الغربيون، لكنّ أيّ حديث عن «خيارات أخرى»، للتلويح بإمكانية اللجوء إلى القوة العسكرية ضدّ طهران، يندرج في إطار التهويل العديم الصدقية بالنسبة للقيادة الإيرانية. الاستنتاج الأول الذي سيتوصّل إليه أيّ مراقب عادي للسياسة الدولية، هو أنّ المفاوضات بشأن النووي الإيراني تجري في سياق عالمي، وكذلك إقليمي، غير ملائم البتّة للولايات المتحدة وحلفائها الغربيين. شتّان بين هذا الأخير، وبين ذلك الذي ساد خلال المفاوضات التي أفضت إلى اتفاق عام 2015. الولايات المتحدة في خضم مواجهتَين استراتيجيّتَين مرشحتَين للاحتدام في الآن نفسه مع قوّتَين عظميين، أي روسيا والصين، والتطوّرات التي شهدتها منطقتنا، خلال السنوات الأخيرة، تُظهر تحوّلات جدّية ونوعية في موازين القوى لصالح محور المقاومة، وفي القلب منه إيران. بكلام آخر، ونتيجة للمتغيّرات الدولية الهائلة، وللمراكمة الكمّية والنوعية للقدرات العسكرية والصاروخية لديها ولدى حلفائها، وللإنجازات الميدانية في طول الإقليم وعرضه، إيران اليوم أقوى في مقابل واشنطن وحلفائها، ممّا كانت عليه في عام 2015. والأنكى بالنسبة للأخيرين، هو تعزيز الشراكة بين خصومهم الثلاثة والانتقال إلى مستوى أعلى من التنسيق السياسي والأمني والعسكري ومن تعظيم المصالح المشتركة. الوقت ينفد، وربما بنظر توني بلينكن وجان إيف لودريان، ولكن ليس بالنسبة لإيران.

> **«الوقت ينفد» بالنسبة لواشنطن وحلفائها**

> **يدرك المسؤولون الغربيون أنهم أمام احتمال خطير في أوكرانيا ستكون مفاعيله ثقيلة بالنسبة للقارة العجوز**

أول من يشعر بأنّ الوقت لا يعمل لصالحه، وأنّه يحتاج لإنجاز ما يحدّ من تدهور شعبيّته في داخل بلاده، ومكانته على النطاق الدولي، هو الرئيس الأميركي جو بايدن وفريقه. انعكس هذا الشعور بجلاء في الكلمة التي ألقاها لمناسبة مرور عام على تولّيه منصبه، واستعرض فيها سلسلة «التحدّيات» الخارجية والداخلية التي واجهت إدارته، وهي في الحقيقة مجموعة من الإخفاقات تعود بمجملها للسياسات التي اعتمدها. فمن الأزمة في أوكرانيا، الناجمة عن الإصرار على ضمّها، فعلياً لا رسمياً، إلى حلف «الناتو»، والرفض الروسي الحازم لذلك، مروراً بحرب اليمن، التي وعد بالسعي لوقفها عندما كان مرشّحاً، ولكنّه سرعان ما ابتلع وعده عندما أضحى رئيساً، وبالانسحاب المذلّ من أفغانستان، وصولاً إلى المفاوضات بشأن الاتفاق النووي مع إيران، التي ما كانت لتتمتّع زمنياً كما حصل منذ نيسان الماضي، لو التزم بتعهّداته، يوم كان مرشحاً، بالالتزام بموجبات هذا الاتفاق ورفع العقوبات التي فُرضت من قبل دونالد ترامب على طهران. هو تناول أيضاً المصاعب الداخلية الكبرى المتعلّقة بالجائحة وبتداعياتها الشديدة السلبية على الاقتصاد، بما فيها ارتفاع الأسعار. ومن الممكن أن نضيف إلى هذا المشهد الإجمالي رفعه لحدّة التوتّر مع الصين، وهو التوجه الوحيد المطابق لبرنامجه الانتخابي. الزمن السياسي والانتخابي يعمل ضدّ بايدن كما تشير استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة والتوقّعات بانتصار الجمهوريين في الانتخابات النصفية المقبلة، والذي سيكون بمثابة الكارثة السياسية بالنسبة لمستقبل إدارته. لم تحمل الأحداث، في الأسابيع الأخيرة، أية إيجابيات بالنسبة للملفّات المذكورة، وفي مقدمتها التوتّر مع روسيا حول أوكرانيا. فاللقاء الذي جمع وزيري الخارجية الروسي والأميركي في جنيف، يوم الجمعة 21 من هذا الشهر، انتهى قبل موعده المحدّد، أي لم يمتدّ لساعتين كما كان مقرّراً، ولم يُحرز أيّ تقدّم يُذكر لأنّ الطرفين متمسّكان بمواقفهما. وكان بلينكن قد أعرب من برلين، قبل هذا اللقاء، عن قناعته بأنّ نوايا فلاديمير بوتين واضحة، وأنّه «يهيّئ الأرضية لغزو أوكرانيا لأنّه لا يعتبرها دولة ذات سيادة». بقية المسؤولين الغربيين حالهم حال بلينكن: هم يدركون أنهم أمام احتمال خطير في أوكرانيا، ستكون مفاعيله ثقيلة على الاحتمال بالنسبة للقارّة العجوز. فيرفعون الصوت ضدّ طهران لحملها على التنازل عن ثوابتها المتعلّقة برفع جميع العقوبات المفروضة عليها والضمانات بالنسبة لديمومة الاتفاق. يتناسى هؤلاء جميعاً أنّ استعار التناقضات بين القوى الدولية المهيمنة، ولكن الهرمة، وتلك الصاعدة والفتية، هو سياق تستطيع إيران وغيرها من بلدان الجنوب المستقلّة توظيفه لصالحها.

طهران ليست مستعجلة

على الرغم من أنّ غالبية المسؤولين الغربيين تقرّ بفشل استراتيجية الضغوط القصوى التي اعتمدتها إدارة ترامب على حمل إيران على الإذعان لشروطها، فإنّها ما زالت تُراهن على أنّ المصاعب الاقتصادية والاجتماعية الداخلية فيها، والتي تسبّبت بها هذه الضغوط أساساً، ستدفعها إلى تقديم تنازلات في المسار التفاوضي. هي لا تعي أنّ الوضع الدولي، من منظور طهران والعديد من العواصم غير الغربية الأخرى، بما فيها موسكو وبكين، يظهر أنّ الزمن يعمل لصالحها لأنّ القوى المهيمنة تتراجع وتضعف. سال الكثير من الحبر للتعليق على زيارة الرئيس الإيراني، إبراهيم رئيسي، لموسكو وما تعنيه من تعزيز للشراكة الاستراتيجية بين البلدين، والأمر نفسه ينطبق على المناورات البحرية المشتركة الإيرانية-الروسية-الصينية، التي ستستمر لثلاثة أيام على مسافة 17000 كلم مربع في شمال المحيط الهندي، ومغزاها على المستوى الاستراتيجي، أي تحدّي السيطرة الحصرية لأساطيل الغرب على هذا المجال البحري الحيوي. وأتى قرار «حركة أنصار الله» بالرد على تصعيد وكلاء الإمارات المحلّيين في اليمن ضدّها، بتوجيه ضربات لأهداف في داخل أراضي الأولى، كمؤشّر على أنّ المفاوضات في فيينا لا تلزم حلفاء إيران بتقديم أية تنازلات على حساب أجندتهم المحلية، وهي بالنسبة لليمن وقف عدوان قوى التحالف عليه. وقد دفع هذا الهجوم المعلّق الصهيوني، يوني بن مناحيم، على موقع «نيوز 1» الإسرائيلي، إلى الإعراب عن يقينه بأنّ الحركة تمتلك القدرة على قصف الكيان. احتدام الأزمات الدولية وتعزيز العلاقات مع القوى غير الغربية الصاعدة، والتي بات بعضها، كالصين، قطباً اقتصادياً رئيسياً على الصعيد العالمي، والتحوّل التدريجي ولكن المستمر في موازين القوى الإقليمية، هي جميعها عوامل تزيد من ثقة إيران بأنّ موقفها التفاوضي ليس ضعيفاً، وأنّ الزمن لا يعمل ضدها.

سوريا نفّذ تنظيم «داعش»، أخيراً تهديداته بمهاجمة معتقلات «قسد» التي تحوي الآلاف من عناصره، في تطوّر كان متوقّعاً جرّاء حالة الغليان في السجون، وفشل المفاوضات ما بين «التحالف الدولي» والتنظيم، بخصوص مطالب الأخير. وإذ تُظهر الحادثة هشاشة قدرات «قسد» الأمنية، فهي ستشكّل على الأرجح مادّة خصبة لـ«الإدارة الذاتية» للمطالبة بمزيد من الدعم، بدعوى محاربة «داعش»

أزمة السجون تنفجر بوجه «قسد» غزوة «داعشية» في الحسكة

الحسكة - أيهم مرعي

استعاد سكان مدينة الحسكة، ليلة من ليالي الحرب والاشتباكات التي عاشوها قبل سنوات عدة. مساء أمس، جرى استهداف سجن الثانوية الصناعية جنوب المدينة، والذي يضمّ نحو 5 آلاف سجين، عبر تفجيرَين، وسرعان ما تحوّلت «الغزوة» إلى اشتباكات استُخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة، وصولاً إلى استهداف طائرات «التحالف الدولي» عدة مواقع في المنطقة، يُعتقد أن فيها عناصر من التنظيم. وبدأ «داعش» مخطّطه عبر تنفيذ عصيان داخل السجن، تلاه هجوم بسيارة مفخخة ودراجة نارية، طاول البوابة الرئيسة للمعتقل، ما أدّى إلى فتح ثغرة في سوره، ليندفع عناصر من التنظيم إلى داخله، ويتمكنوا من السيطرة على مبنى الإدارة قيد التجهيز في الجهة الشمالية، وهو ما خلق حالة من الفوضى العامة، فرّ تحت جناحها عدد من السجناء. وعقب ذلك، انتقلت الاشتباكات إلى محيط السجن، بين مسلحي «قسد» وعناصر من «داعش»، بعدما تمكّن عدد من السجناء الفارين من عبور البوابة الرئيسة والوصول إلى مناطق في حي الزهور المتاخم للمعتقل، ما دفع «التحالف» إلى استقدام طائرات حربية ومروحية ومسيّرة، لملاحقة واستهداف العناصر الفارين. مع هذا، نجح التنظيم، فجراً، في توسيع رقعة الاشتباكات، من خلال دخول عناصره الفارّين من السجن إلى مباني كلية الاقتصاد والحبوب ومخبز الباسل، لتمتدّ المواجهات إلى كامل هذه المناطق، وصولاً إلى مقبرة حيّ غويران.

وتسبّبت تلك التطورات المتسارعة بموجة نزوح واسعة لغالبية سكان أحياء غويران والزهور والأغاوات جنوب المدينة، بعد أنباء عن قيام عناصر «داعش» بتنفيذ عمليات قتل وذبح بحق عدد من المدنيين، راح ضحيّتها 5 على الأقل. وعلى إثر ذلك، سارعت القوات الأميركية إلى إصدار تصريح أكدت فيه أنه تمّ «مراقبة التطورات في سجن غويران جنوب مدينة الحسكة، والذي يضمّ نحو خمسة آلاف معتقل من تنظيم داعش، وذلك بعد أخبار عن فرار العشرات من السجناء، إثر هجوم بالعربات المفخخة واشتباكات مسلحة». من جهتها، سجّلت وسائل الإعلام التابعة لـ«قسد» تضارباً كبيراً في المعلومات، وهو ما يظهر حالة الإرباك في التعاطي مع الحدث، ما بين إصرار «قسد» على نفي فرار أيّ عنصر من «داعش» من داخل السجن، وتأكيد مواقع إعلامية مقربة منها، نقلاً عما وصفته بـ«المصدر الأمني»، فرار ما لا يقلّ عن 20 من معتقلي التنظيم. لكن مقاطع الفيديو التي انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي، أكدت حصول عمليات هروب جماعية، مع ظهور عناصر مجهزين بحقائب وأسلحة، ما يثبت وجود تخطيط مسبق لعمليات الهجوم والفرار.

وتكشف هذه الهجمات عن هشاشة قدرات «قسد» الأمنية والعسكرية، وعجزها عن ضبط الأمن في السجون والمخيمات، كما تطرح تساؤلات كثيرة حول كيفية تمكّن عناصر «داعش» من الوصول بمفخّخاتهم إلى منطقة تضرب فيها «قسد» طوقاً أمنياً مشدّداً، فضلاً عن تمكّن الفارّين لتوّهم، من الحصول على أسلحة واستخدامها في الاشتباكات. وهنا، توضح مصادر أمنية في الحسكة، لـ«الأخبار»، أن «ما لا يقلّ عن 50 من المعتقلين في سجن الصناعة، تمكّنوا من الفرار بعد الرعب الذي أحدثه تفجير اليدَين مفخختَين على بوابة السجن»، مبيّنة أن «اتساع رقعة الاشتباكات سببها اجتماع عناصر التنظيم من خارج السجن، ومن داخله، ما شتّت قدرات التحالف وقسد». ويرى المصادر أنه «من الممكن أن عدداً من قادة التنظيم تمكنوا من الفرار من كامل المنطقة، وباتوا بعيدين من مسرح الاشتباكات»، لكن ذلك «لا يعني أن للتنظيم قدرة على شن عمليات واسعة، لعدم امتلاكه أسلحة متوسطة وثقيلة، وعدم توافر قدرات بشرية كافية».

> تكشف هذه الهجمات عن هشاشة قدرات «قسد» الأمنية والعسكرية وعجزها عن ضبط الأمن في السجون والمخيمات

بدورها، تصف مصادر ميدانية ما حصل بأنه «قنبلة موقوتة في السجون، وقد انفجرت كما هو متوقع». وتعتبر أن للأحداث الأخيرة «ارتدادات كثيرة، بخاصة أنها عرّت رواية الولايات المتحدة حول قدرتها على ضبط معتقلات داعش»، مضيفة أن «ما حصل وإن كان يشكّل ضربة أمنية لقسد والتحالف، لكنه في الوقت عينه سيمثل مادة للاستثمار من قِبَلهما، لجهة إثبات قدرة التنظيم على شنّ عمليات واسعة، وضرورة تلقّي قسد مزيداً من الدعم لضبط أمن السجون، وأهمية أن تحافظ واشنطن على وجودها، لمنع التنظيم من إعادة بناء قدرات هجومية مجدداً». وتلفت المصادر إلى أن «التطورات التي وقعت تراكمية، بدأت بحوادث أمنية في الهول، لتصل إلى ثاني أخطر سجون داعش في المنطقة»، كاشفة أن السبب الرئيس خلفها هو «فشل مفاوضات كان يجريها التحالف مع قادة من داعش، للحصول على ضمانات بعدم إحداث أيّ إرباك أمني في السجون أو المخيمات». وتتابع أن «عدم تلبية التحالف مطالب قيادات داعش بوقف نقل اللاجئين العراقيين وتسليمهم لحكومتهم، وعدم نقل أي من السجناء إلى أي جهة أخرى، إلا بالتنسيق معهم، مع استعجال تقديمهم للمحاكمات، هو ما يقف بشكل أساسي وراء التطورات الأخيرة».

صورة مادة سوريا - ايهم نصف مصادر ميدانية ما حصل بانه «قنبلة موقوتة في السجون وقد انفجرت كما هو متوقع» (أ ف ب)

عودة مشروع الربط السككيّ: دمشق متفائلة بنتائج قريبة

بعد إعلانه، مطلع العام الحالي، من العراق، أن العمل بمشروع الربط السككي ما بين الأخير وسوريا وإيران سيبدأ قريباً، بحث وزير النقل السوري، رستم قاسمي، مع نظيره السوري، زهير خزيم، قبل أيام، تفاصيل هذا المشروع، الذي تبدي دمشق حماسة كبيرة له، كونه سيعود عليها بفوائد اقتصادية كبيرة. وفقَ ما يؤكد خزيم لـ«الأخبار»

دمشق - محمود عبد اللطيف

قبل حوالى ثلاثة أسابيع، أعلن وزير النقل الإيراني، رستم قاسمي، من بغداد، بدء الخطوات العملية لتنفيذ مشروع الربط السككي ما بين إيران وسوريا والعراق، كاشفاً أن خبراء إيرانيين سيصلون إلى العراق قريباً من أجل متابعة «تطهير مسار الخطّ السككي بين البلدين»، والذي يُفترض أن ينجز خلال 6 أشهر. وتوقّع قاسمي إنجاز المشروع الثنائي في غضون عامَين بتكلفة تبلغ حوالى 120 مليون دولار بالتناصف بين البلدين، لافتاً إلى أن الخطّ سيمتدّ مستقبلاً إلى سواحل البحر المتوسّط عبر سوريا. وفي منتصف الشهر الحالي، حطّ قاسمي في دمشق، حيث بحث تفاصيل خطّة الربط، أيضاً، مع وزير النقل السوري، زهير خزيم، الذي يأمل، في حديث إلى «الأخبار»، بأن هذه الخطّة «ستؤمّن تنشيطاً لحركة التجارة ودخول المنتجات السورية إلى أسواق الدول المجاورة بتكاليف أقلّ، كما ستؤدي إلى زيادة الإنتاج في المدن الصناعية نتيجة انخفاض تكاليف النقل للمواد الأولية التي يتمّ نقلها عبر شبكة الخطوط الحديدية، فضلاً عن زيادة تدفّق الحمولات من وإلى العراق وإيران، لكون المرافئ ستكون مرتبطة سككياً على معظم أرصفة التفريغ والتحميل فيها، عدا أنها ستسهم في تنشيط القطاع الخدمي السوري لتحقيق عملية النقل السككي، وتدفع بعجلة التنمية الاقتصادية قُدُماً»، مع ما سيكون من دور للقطاع الخاص في كلّ هذه العملية. ويضيف خزيم أن «ربط المرافئ السورية والمدن الصناعية السورية في كلّ من حسياء في حمص، والشيخ نجار في حلب، وعدرا في دمشق، مع العراق وإيران، سينعكس اقتصادياً على سوريا، وذلك من حيث الإيرادات الكبيرة المتوقّعة بالعملة الأجنبية لمصلحة خزينة الدولة نتيجة النقل بالترانزيت».

من جهته، يلفت مدير الخطوط الحديدية السورية، نجيب فارس، في تصريح إلى «الأخبار»، إلى أن «المشروع كان قد بدأ العمل عليه في الأراضي السورية قبل الحرب، إلّا أن الظروف التي مرّت بها البلاد أوقفت العمل به، بعد أن كانت دمشق قد مدّت حوالى 38 كم من السكك الحديدية من دير الزور باتجاه البوكمال». ومع التوقيع على محضر الاتفاق في نيسان 2019 بين الدول الثلاث، عاد الحديث عن المشروع الذي أشارت التقديرات الأوّلية إلى أنه سيتيح نقْل 20 مليون طنّ من المواد، قابلة للزيادة خلال السنوات الأولى من التشغيل، مع إمكانية تطويره مستقبلاً ليشمل شقّ طرقات سريعة وتحسين ظروف تجارة الترانزيت. وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن الخطّ الذي سيمرّ في سوريا، سيكون ممتدّاً من المرافئ السورية على البحر المتوسّط في اللاذقية وطرطوس، نحو مناجم الفوسفات في حمص أولاً، ومنها إلى مدينة البوكمال بشكل مباشر. ولا تواجه الحكومة السورية صعوبات كبرى في هذا المسار لناحية وقوع الأراضي المذكورة تحت سيطرتها (خلافاً لما هو الحال في المسار الثاني الذي كان مقترحاً، حيث يتّجه الخطّ من دير الزور إلى البوكمال، من خلال المرور بمناطق تقع حالياً تحت سيطرة «قوات سورية الديموقراطية»)، فضلاً عن البنية التحتية للمشروع قائمة هناك منذ ما قبل الحرب، ولذا، فإن البحث حالياً يدور حول حجم الأضرار التي لحقت بالجسور والمحطّات التي أنشئت من أجل تشييد الخطّ، تمهيداً لإصلاحها، علماً أنه لم يتمّ، إلى الآن، التوافق على موعد محدّد من أجل بدء ذلك، بحسب معلومات «الأخبار»، كما يتناول البحث الكلفة التقديرية اللازمة لإنجاز العمل.

> يدور البحث حالياً حول حجم الأضرار التي لحقت بالجسور والمحطّات التي أنشئت من أجل تشييد الخطّ

يُذكر أن المشروع الذي أعادت إيران طرحه في عام 2019، يقوم على الربط ما بين مدينة شلمجة الإيرانية على الحدود مع العراق، وميناء البصرة العراقي، وصولاً إلى الموانئ السورية. وقد أنجزت سوريا قبيل الحرب، وفق المعلومات، أكثر من 95% من حصّتها من السكك الخاصة بهذا المشروع، فيما لم تتجاوز المسافة المنجَزة في العراق آنذاك الكيلومترين. واليوم، يتجدّد الحديث عن خطوات عملية للتسريع بإنجاز خطة الربط، التي تستهدف إيجاد بدائل برّية من المنافذ البحرية التي يسيطر عليها الأميركيون، وسط آمال سورية كبيرة مُعلّقة عليها.

حول العالم

شعبية بايدن تهبط إلى أدنى مستوياتها

أظهر أحدث استطلاع للرأي أجرته «رويترز/ إبسوس»، أنّ شعبيّة الرئيس الأميركي، جو بايدن، هبطت هذا الأسبوع إلى أدنى مستوى خلال فترة رئاسته، مع تأثّر معنويات الأميركيين بجائحة «كوفيد-19»، وما ترتّب عليها من آثار اقتصادية.

وأظهر الاستطلاع، الذي أُجري على مستوى البلاد، يومَي 19 و20 كانون الثاني، أنّ 43% من الأميركيين يؤيّدون أسلوب بايدن في الحكم، بينما يرفضه 52%، فيما لم يعبّر الباقون عن موقفهم.

وبعدما ظلّت شعبية بايدن أعلى من 50% في الأشهر الخمسة الأولى من رئاسته، بدأت في الهبوط في منتصف آب، عقب ارتفاع أعداد الوفيات الناجمة عن الإصابة بالوباء في أنحاء البلاد، وسقوط الحكومة الأفغانية التي تدعمها الولايات المتحدة.

ويدقّ هبوط شعبية بايدن ناقوس خطر في حزبه، إذ يخشى الديموقراطيون أن يؤدّي الاستياء من أدائه إلى فقدانهم الأغلبية في مجلسَي الكونغرس، خلال الانتخابات المقرّرة في الثامن من تشرين الثاني المقبل.

(الأخبار)

لوكاشينكو يحدد موعد الاستفتاء على الدستور الجديد

تعهّد الرئيس البيلاروسي، ألكسندر لوكاشينكو، عدم استخدام القوة للبقاء في السلطة، مؤكّداً أنّ الانتخابات هي السبيل الوحيد لضمان انتقال السلطة.

وأشار لوكاشينكو، في حديث للصحافيين، أمس، إلى أنّ الاستفتاء على الدستور الجديد للبلاد سيجرى أواخر شباط المقبل.

ومن التغييرات التي طُرحت للتعديل في الدستور الجديد، توفير حصانة قانونية مدى الحياة للرؤساء السابقين، وتحديد مدة الولايات الرئاسية باثنتين فقط، لكنّ تحديد الولايات سيتمّ تطبيقه عندما يتولّى رئيس جديد السلطة، ما سيسمح لألكسندر لوكاشينكو بالبقاء في السلطة، حتى عام 2035، إذا أعيد انتخابه في عام 2025.

وفي النسخة المعدّلة من الدستور، لا توجد مادة تنصّ على التزام بيلاروس بالبقاء «منطقة خالية من الأسلحة النووية»، بل استُبدلت بمادة أخرى «تستبعد العدوان العسكري من أراضي» بيلاروس.

(الأخبار)

مفاوضات إيرانية ــ روسية لتوسيع محطة بوشهر النووية

أعلن المتحدث باسم منظمة الطاقة الذرية الإيرانية، بهروز كمالوندي، أنّ إيران تجري حالياً مفاوضات مع روسيا لبناء وحدتين جديدتين من الإنتاج في محطة الطاقة النووية الوحيدة في البلاد.

وقال كمالوندي: «تجرى مفاوضات بين طهران وموسكو لبناء الوحدتين 2 و3 في محطة بوشهر جنوب البلاد، بحسب خطة الجمهورية الإسلامية، الهادفة إلى إنتاج 10 آلاف ميغاواط من الكهرباء على الأقل باستخدام الطاقة الذرية»، مشيراً إلى أنّ «عملية تنفيذ المشروع تتم من دون تأخير، رغم تأخّر الدفع»، وفق ما نقل موقع الحكومة.

وأكد أنّ «تعزيز وتطوير التعاون النووي بين البلدين» من بين «المواضيع المهمة» التي تطرق إليها الرئيسان، إذ جاء هذا التصريح بعد زيارة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى موسكو، والتي استمرت يومين، وأكد خلالها عزمه على تعزيز العلاقات مع روسيا.

وكانت موسكو قد بنت محطة بوشهر المزودة بمفاعل من ألف ميغاواط وسلمتها رسمياً للإيرانيين في أيلول من عام 2013، بعد سنوات من التأخير.

(الأخبار)

استراحة

كلمات متقاطعة 3939

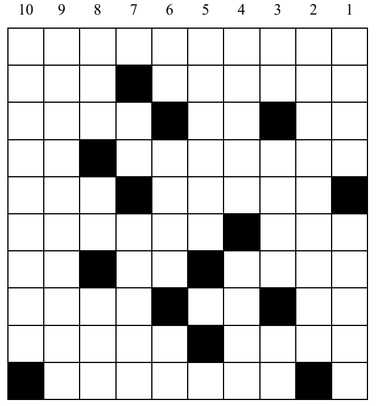

أفقيا

1- عشيق الباليدي ديانا – 2- عاصمة أوقيانية – ثعبان ضخم – 3- أمر فظيع – منخفض بالأجنبية -لا يُشاع – 4- ملك إنكليزي لقب بقلب الأسد – نوتة موسيقية – 5- مجاري الماء – من أصنام العرب في الجاهلية – 6- صلب – تطرحين سؤالاً – 7- رزانة – تعب وأعيا – تعب – 8- هرب – بحر – عاصمة آذربيجان – 9- يصبح غير صالح للأكل – بحر تركي – 10- أكبر مرفأ بحري في القارة الأوروبية

عمودياً

1- عاصمة أفريقية – عاصمة أوروبية – 2- منخفض في لبنان تجتازه طريق بيروت دمشق – 3- وعاء الخمر – دولة أميركية – أصل – 4- خرّباه – ماركة سيّارات – 5- جبل في أرمينيا التركية – 6- نوتة موسيقية – واجبك المدرسي – طعم الحنظل – 7- أصل البناء – ماء الغمام المتجمد – 8- جمال ونوق – للإستفهام – أداة شرط وتوكيد – 9- زعيم لبنان اشتهر ببسالته في مُقاومة الحكم العثماني – 10- موضع كانت قريش في جاهليّتها تجتمع فيه للمشاورة

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- الكومبكون – 2- الخس – ريّس – 3- ألبي – نمّ – را – 4- دورام – لحوم – 5- رميم – يني – 6- يا – زرافة – 7- أنف – بحر – رج – 8- لسع – سويم – 9- ينفر – سافوا – 10- كولومبيا

عمودياً

1- الادرياتيك – 2- لو مان – نو – 3- كابري – فلفل – 4- وليامز – سرو – 5- مخ – ربع – 6- يسن – تاح – سبّ – 7- ملّ – فرساي – 8- ور – حية – وفا – 9- تيرون – ريو – 10- سامية جمال

3939 sudoku

2				5		9		6
		6	1				3	
5	9				3	1		
9					5	6	1	
4	5			1		7		
		3	9				5	
		7			4	3		
3				2			8	
	2		8		7			9

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3938

2	7	6	9	3	4	8	5	1
9	1	4	6	8	5	7	2	3
3	5	8	2	1	7	4	9	6
5	2	3	7	4	1	9	6	8
8	4	9	5	6	3	2	1	7
7	6	1	8	9	2	5	3	4
6	9	5	3	7	8	1	4	2
4	3	7	1	2	9	6	8	5
1	8	2	4	5	6	3	7	9

مشاهير 3939

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

طبيب وإقتصادي فرنسي (1694-1778). يُعتبر زعيم المدرسة الطبيعية التي تأسست قبل الثورة الفرنسية بوقت قليل في القرن الثامن عشر

2+1+3+2+6+4 = دولة أوروبية ■ 9+5+7+5+8+10 = ماركة أجهزة هاتفية ■ 3+11 = عملة آسيوية

حل الشبكة الماضية: **عبدالله حمصي**

إعداد
نعوم مسعود

وفيات

بمزيد من الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره ننعى إليكم فقيدتنا الغالية المرحومة بإذن الله تعالى
الحاجة سناء فؤاد حلاوي
حرم الحاج عبد المطلب درويش الظريف
(مدير بنك البحر المتوسط سابقاً)
والدتها: المرحومة الحاجة أمينة فاخوري
أبناؤها: درويش، المهندس بشار، المهندس فؤاد وسليم
ابنتها: تانيا زوجة المهندس نبيل عباس
شقيقاها: الحاج محمود حلاوي (نائب رئيس بلدية صور سابقاً) والمرحوم أحمد حلاوي
شقيقاتها: المرحومة رجاء، المرحومة منى والمرحومة رافت ومهى
وبهذه المناسبة الأليمة تتقبل العائلة التعازي للنساء والرجال غداً الأحد 23 كانون الثاني 2022 في مجمع الخضرا الديني في صور من الساعة 10 صباحاً وحتى الساعة 12 ظهراً ومن الساعة 2 بعد الظهر وحتى الخامسة مساءً.
وعبر الهاتف:
عبد المطلب: 03/760018 - درويش: 70/945976 – بشار: 03/933344 – محمود حلاوي: 03/740123 – فؤاد: 76/405050 – سليم: 03/971699 – تانيا: 00971502900947 – نبيل عباس: 00971565065717 – مهى حلاوي: 001313903392.
الأسفون: ال الظريف، حلاوي، فاخوري، بركات، الرز، عباس، دغمي، عبدالله، صفي الدين وأنسباؤهم وعموم أهالي صيدا وصور

إعلانات رسمية

إعلان
صادر عن دائرة تنفيذ بيروت
غرفة الرئيس فيصل مكي
يبلغ إلى المنفذ عليه: شركة بوليلاندز ش.م.م.
عملاً بأحكام المادة 409 أصول محاكمات مدنية تعلمكم دائرة تنفيذ بيروت بأن لديها في المعاملة التنفيذية رقم 2019/2683 إنذاراً تنفيذياً موجهاً إليكم من طالب التنفيذ بنك التمويل ش.م.ل وناتجاً عن طلب تنفيذ عقد قرض بقيمة 174,859,334/ل.ل. وعليه تدعوكم هذه الدائرة للحضور إليها شخصياً أو بواسطة وكيل قانوني لإستلام الإنذار التنفيذي والأوراق المرفقة به، علماً بأن التبليغ يتم قانوناً بانقضاء مهلة عشرين يوماً على نشر هذا الإعلان، وعلى تعليق نسخة عنه وعن الإنذار المذكور على لوحة الإعلانات لدى دائرة تنفيذ بيروت، ويُصار بعد انقضاء هذه المهلة ومهلة الإنذار التنفيذي البالغة عشرة أيام، إلى متابعة التنفيذ بحقكم أصولاً حتى الدرجة الأخيرة.
في 2022/1/19
مأمور تنفيذ بيروت
أحمد كلوت

إعلان من أمانة السجل العقاري في راشيا
طلب هادي اشرف مغامس لكنج حسن مغامس شهادة قيد بدل عن ضائع بالعقار 134 كوكبا.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في راشيا
نور أبو سعد

إعلان من أمانة السجل العقاري في راشيا
طلب هايل كنج مغامس لنفسه شهادة قيد بدل ضائع بالعقار 376 كوكبا
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في راشيا
نور أبو سعد

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 كانون الثاني 2022 العدد 4542

بيروت الزمن الصعب

محمد المغربي... المثقّف المتشرّد خسر بقايا الحلم

زينب نعمة

لم تكن ليلة أول من أمس عاديّة لدى الرجل الثمانينيّ اللبناني محمد المغربي. المسنّ الذي ينحدر من مرتفعات كفرشوبا (جنوبيّ لبنان)، كان يقطن تحت «جسر الفيات» في منطقة كورنيش النهر في بيروت. لكنه في دقائق، خسر «منزله» المفترض ومكتبته التي أمضى عمره في تأسيسها منذ شبابه وصولاً إلى خريف العمر الذي فاجأه بما لم يكن في الحسبان، وخذله في أصعب مرحلة من حياة الإنسان. هكذا، احترقت «المملكة الخاصّة» التي كان الرجل يعيش فيها وبينها... كأنّ الحياة لم تشبع من فنون القسوة التي مارستها بحقّه طوال سنوات عمره، لكي يأتي الحريق ويذري ما بقي من أمل.

تتلخّص الحادثة في روايتين: الأولى قيام مجهول بإشعال النيران في مكتبة الرجل، لتلتهم كتب ومقتنيات المغربي التي هي مكتبة تضمّ مئات الكتب والمنشورات، إلى جانب راديو قديم وسرير متهالك وبعض الملابس وحاجات أخرى. الرواية الثانية للحادثة ينقلها «شاهد عيان» هو جار المغربي.

(نبيل اسماعيل)

عجوز يقطن أيضاً تحت «جسر الفيات» يُدعى يوسف البيطار. في حديث لـ «الأخبار»، شرح البيطار كيف أنه استيقظ عند الواحدة بعد منتصف الليل على رائحة الحريق الذي التهم مكتبة المغربي. وقد دوّت أصوات مجموعة انفجارات صغيرة متلاحقة (حوالى 3) نتيجة احتراق الماكينات التابعة لإدارة السير والتحكّم المروري التي تغذي إشارات المرور وكاميرات المراقبة في المنطقة.

وعلى الفور، اتصل البيطار بالدفاع المدني الذي أتى بسرعة لإخماد الحريق قبل أن يمتدّ إلى المناطق والبنايات المجاورة للجسر. يرجّح البيطار وهو متشرّد يعيش تحت جسر الفيات منذ مدّة، أن يكون الحريق ناتجاً عن النار التي يُوقدها المغربي للتدفئة كل مساء بسبب البرد الشديد، بخاصّة في فترة الليل. وقد يكون الحريق نجم عن الهواء الذي هبّ ليلاً، وجعل الموقدة تشتعل أكثر وتُحرق كل ما بقربها.

وقد رفض المغربي الذهاب مع الصليب الأحمر اللبناني الذي قصد المنطقة من أجل الاطمئنان على صحته بعد الحريق، بخاصّة أنه غاب عن الوعي لبضع دقائق ربما بسبب استنشاق الغازات السّامّة الناتجة عن احتراق الكتب وباقي المقتنيات. وفي صباح اليوم التالي، ذهب المغربي إلى مخفر منطقة الأشرفية لتقديم شكوى، إلى جانب التحقيق معه من أجل معرفة ملابسات الحادثة. وكانت قصّة الرجل المتشرّد انتشرت على السوشال ميديا، بعدما تحدّثت عنه الفنانة ريتا باروتا في جلسة ونشرت صورها معه، لتتفاعل حكايته الحزينة أكثر على مواقع التواصل ويتحوّل إلى «نجم»... قبل أن تأتي نيران العوز والفقر على «جنى» العمر.

«العصفورة» التركية في مرمى الإسلامويّين!

محمد نورالدين

خلال الأيام الماضية، شهدت تركيا حدثَين يتعلّقان بمطربتين تُعتبران من رموز الأغنية التركية الكلاسيكية والحديثة. الأولى هي سيزين آقصو، والثانية بولنت إرصوي. تحوّلت قضيّتاهما إلى المادة الأولى في السجالات المحلية، مطيحة بالأزمة الاقتصادية الخانقة «كأنه لم يعد هناك ما يشغل الأتراك عن مشكلات التضخم والغلاء وزيادة الضرائب سوى آقصوي وإرصوي» كما عنونت صحيفة «سوزجي» يوم الأربعاء الماضي.

كانت سيزين آقصو (68 عاماً)، الملقّبة بـ «العصفورة الصغيرة»، قد قدّمت أغنية «أن تعيش شيئاً رائعاً» (تأليف سيزين آقصو . ألحان الموسيقار المعروف ياشار غاغا) في 2017. ومع أنّ أربع سنوات مرّت على الأغنية، إلا أنّ أحمد محمود أونلو - أحد رجال الدين المعروفين في تركيا باسم «أحمد خوجا ذو الجبة» . شنّ حملةً عنيفةً على الأغنية، متّهماً إياها بـ «تحقير الدين الإسلامي». يقول المقطع الذي اعترض عليه خوجا: «بألمها وحلاوتها/ يا له من شيء رائع لتعيشه/ أن تصل إلى القاع وأن تقف منتصباً/ ألف عذر، ألف لعبة/ نحن في فأل/ نحن ذاهبون إلى القيامة/ قل سلاماً لهذين الجاهلين/ حواء وآدم».

ومع أنّ أحداً لم يثر أيّ ردة فعل عندما خرجت الأغنية في 2017، إلا أنّه عندما بُثّت مجدداً على قناة على اليوتيوب كتحيّة للعام الجديد، قامت القيامة، خصوصاً من جانب جماعات إسلامية ومنهم رجال دين، فانطلق فوراً هاشتاغ «سيزين آقصو الزمي حدّك». واستتبع ذلك تجمّع حوالى 20 شخصاً يوم الثلاثاء الماضي أمام منزل آقصو في منطقة بايكوز في إسطنبول. الأشخاص ينتمون إلى «حركة المصير الوطني» المعروفة بقربها من «حزب العدالة والتنمية» الإسلامي. ثم تجمّع هؤلاء في «ميدان قالينجه» وأدلى مراد شاهين باسم المجموعة بتصريح جاء فيه: «لقد جئنا إلى هنا لنكون الصوت الصحيح لهذه الأمة ولنصرخ للأصدقاء والأعداء أن هذه القلعة هي آخر معقل للإسلام». وتقدّم بعض المحامين بادّعاء ضد آقصو بحجّة أنّ «ما ورد في الأغنية هو تحقير للإنسان الأول النبي آدم وحواء». في المقابل، دافع فنانون تعرّضوا سابقاً لحملات من متشدّدين دينيّين عن المغنية، فيما كتب محمود تشينار في صحيفة «غازيتيه دوار» مقالة بعنوان «قضية سيزين آقصو: هل تقطع الشريعة هذا الإصبع؟»، قائلاً: «إنّ حركة طالبان تحرق الآلات الموسيقية (...) وبذريعة «الحساسيات الدينية»، تتحول الحياة إلى ظلام وتكمّ الأفواه. حتى الأعمال الفنية المتعلقة بالدين تُمنع». وحذّر من قمع الحريات قائلاً إن «النموذج الأفغاني أمامنا». وأمس، توج الرئيس التركي رجب طيب اردوغان الحملة على آقصو بالتهديد بقطع الألسن. اذ صرح بعد الخروج من صلاة الجمعة: «لن نسمح للألسن بالتطاول على سيدنا آدم ووالدتنا حواء. قطع هذه الألسن هي مهمتنا وعلى هؤلاء ان يلزموا حدهم».

في سياق غير منفصل، أثارت حادثة المطربة الشهيرة بولنت إرصوي (69 عاماً) وزيارتها ضريح أتاتورك في أنقرة ضجةً غريبة. فالفنانة أبلغت وزارة الثقافة مسبقاً عن الزيارة. وفيما كانت تهمّ بدخول الضريح على كرسي نقّال لصعوبات في المشي، تساقط المطر. فسارع رئيس حرس الضريح العقيد حاقان عثمان سرت، الذي كان في استقبالها، إلى فتح مظلته لها. وما إن انتشرت صورة العقيد مع بولنت حتى ضجّت بعض المواقع بالخبر. وما لبثت قيادة أركان الجيش أن فصلت العقيد من منصبه وعيّنته عقاباً له في منطقة حاقاري على الحدود العراقية الإيرانية.

تذرّعت قيادة الأركان أنّ سرت خالف التقاليد العسكرية. لكن البيان لم يقنع كثيرين، حتى أولئك المؤيدين لـ «حزب العدالة والتنمية». الصحافية المعروفة نيغيهان ألتشي القريبة من السلطة كتبت في صحيفة «خبر تورك» أنّ سبب الحملة هو أنّ إرصوي دعت قبل أكثر من عشر سنوات إلى إيجاد حلّ للمشكلة الكردية تحت شعار: «أريد حلاً لا موتاً»، وأن التيار القومي المتشدد انتظر الفرصة لينتقم من موقف إرصوي الذي اعتبروه مسيئاً للجيش الذي يرسل الجنود ليموتوا في مواجهة الأكراد. كما رجّحت ألتشي أن يكون تحوّل إرصوي في 1981 من رجل إلى امرأة سبباً للحملة عليها، فـ«الظروف المتّصلة بعملية التحول الجنسي لا تزال غير مقبولة في مجتمعنا».

دونا والرفاق: جاز في الأشرفية

تضرب الفنانة دونا خليفة (غناء . الصورة) موعداً جديداً مع الجمهور، غداً الأحد، في «أونوماتوبيا . الملتقى الموسيقي». في هذا الفضاء البيروتي، تحيي عازفة الكونترباص والمؤلّفة الموسيقيّة اللبنانية حفلة برفقة العازفَيْن خاتشاتور سافزيان (دوبل باص) والياس المعلّم (ساكسوفون). على أن تحلّ المغنية ريما أبو عون ضيفة على السهرة التي يعود ريعها كما جرت العادة لدعم برنامج «أونوماتوبيا» لتطوير المهارات الموسيقية.

حفلة دونا خليفة والياس المعلّم وخاتشاتور سافزيان: الأحد 23 كانون الثاني (يناير) الحالي . الساعة السابعة والنصف مساءً . «أونوماتوبيا . الملتقى الموسيقي» (السيوفي . الأشرفية). للاستعلام: 01/398986

الـ«هشّك بشّك» هو الحلّ

يوم الجمعة المقبل، سيكون الجمهور على موعد مع عرض جديد من «هشّك بشّك» في «مترو المدينة». يُحاكي العمل أغنيات وموسيقى الأفراح والكباريهات التي كانت منتشرة في مصر في النصف الأوّل من القرن الماضي. أربع لوحات تتضمّن أغنيات، يؤدّيها فنانون يأخذون الحاضرين في رحلة إلى تلك الحقبة. يشارك في السهرة: زياد الأحمدية (غناء وعود)، ياسمينا فايد (غناء)، زياد جعفر (كمنجة، غناء)، بهاء ضو (إيقاع، غناء)، ضياء حمزة (أكورديون)، أحمد الخطيب (غناء)، رندا مخول (رقص)، هشام جابر (غناء) ولينا سحاب (غناء).

«هشّك بشّك شو»: الجمعة 28 كانون الثاني (يناير) الحالي . س: 21:00 . «مترو المدينة» (الحمرا . بيروت). للاستعلام: 76/309363

«علّوا الصوت»... نبيل عيّوش مطبّع

مع الإعلان عن وصول فيلم «علّي صوتك» (101 د) للمخرج المغربي نبيل عيّوش إلى الصالات اللبنانية، أصدرت حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان بياناً دعت فيه الجمهور اللبناني إلى مقاطعة الشريط الذي اختير ضمن المسابقة الرسمية لـ «مهرجان كان السينمائي الدولي»، على خلفية مشاركته في «مهرجان حيفا السينمائي» في الأراضي المحتلة. وسبق لـ «الحملة المغربية للمقاطعة الأكاديميّة والثقافية لإسرائيل» أن أعلنت، أنّه رغم التذرّع بأنّ ملكية الأفلام تعود للموزّعين الدوليين، إلا أنّ «المخرجين يبقون مسؤولين فكرياً» عن مشاركة أفلامهم ضمن مهرجانات سينمائية في الكيان المحتل. وأشار البيان أيضاً إلى أنّها «ليست المرّة الأولى التي يتورط فيها المخرج المذكور في نشاط تطبيعي». وفيما أعلنت عن تأييدها لبيان حملة المقاطعة المغربية، شدّدت «حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان» على رؤيتها وموقفها الثابتين بأنّ كل مشاركة فنية أو رياضية أو ثقافية في الكيان المحتل، تعدّ مساهمة فعلية في تلميع صورته وجعله جزءاً من نسيج المنطقة المحيطة. وبالتالي فإن كل مشاركة من هذا النوع، تعتبر خطوة مباشرة على طريق التطبيع. تجدر الإشارة إلى أنّ أحداث «علّي صوتك» تدور في حيّ سيدي مومن الهامشي في الدار البيضاء، ويتناول مجموعة من المراهقين المهووسين بثقافة الـ «هيب هوب»، لديهم أشياء كثيرة يودّون قولها «من دون أن يمتلكوا أدوات التعبير».

دعت حملة مقاطعة «إسرائيل» إلى عدم مشاهدة الفيلم الذي طرح في الصالات اللبنانية

تريو رافي مانداليان: نكهة عصريّة

في إطار أنشطته المنوّعة، يحتضن «صالون بيروت» (كليمنصو)، اليوم السبت حفلة يحييها ثلاثي رافي مانداليان (الصورة)، مخصّصة لمحبّي الجاز. إلى جانب مانداليان الذي سيعزف على غيتاره، يشارك في السهرة الفنانان آرثر ساتيان على الأورغن وفؤاد عفرة على الدرامز. في الموعد المرتقب، سيقدّم الثلاثي أعمالاً معروفة لأسماء ذائعة الصيت، من بينها جورج بنسون وويس مونتغمري ودجانغو وايلز ديفيس وهوراس سيلفر، لكن بتوزيع موسيقي جديد يعبّر عن رؤية الأعضاء الفنية المعاصرة.

حفلة تريو رافي مانداليان: اليوم السبت . الساعة الثامنة والنصف مساءً . «صالون بيروت» (شارع محمد عبد الباقي . كليمنصو/ بيروت). للاستعلام والحجز: 01/739317

الأخبار
al-akhbar

السبت 22 كانون الثاني 2022
العدد 4542 السنة الخامسة عشرة
Samedi 22 Janvier 2022 nº 4542 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

أنطونان أرتو

نبيّ «مسرح القسوة» ينبعث في القاهرة

محمد ناصر الدين

بعد حوالى نصف قرن على صدور الطبعة العربية الأولى من كتاب «المسرح وقرينه» (دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ 1973) للشاعر والمسرحي الفرنسي أنطونان أرتو (1896-1948)، أعادت «الهيئة المصريّة لقصور الثقافة» طباعة الكتاب/ المانيفستو بترجمة سامية أسعد. إنّه بلا شك أشهر أعمال أرتو، ضمّ مجموعة من النّصوص النّقدية والنظريّة التي نُشرت عام 1938. يمكن اعتبار أرتو رومانسي المسرح الفرنسي، ليس في معنى الانتماء إلى مدرسة فنيّة أو أدبية، لكن في العلاقة التثويرية مع المسرح وضرورة إقحامه في الحداثة وكسر مركزيّة النّظرة الغربية إليه. علاقة في توتّرتها وقابليتها للاستلهام والتطبيق من الأجيال اللّاحقة، شبيهة بتلك التي قامت بين لوتريامون أو رامبو مع الأدب. وضع أرتو إطاراً لنظرية مسرح القسوة عند تقييمه تجربة مسرح ألفريد جاري السوريالي، وأراد أن يعرّف المسرح فيها تحت علامة «الشعر في الفضاء». شيء أقرب إلى السحر أو العرافة، يسعى إلى ابتكار «نوع من اللغة الفريدة في منتصف الطريق بين الإيماءة والفكر».

اكتشف أرتو مسرح بالي الأندونيسي عام 1931 أثناء فعاليات «المعرض الاستعماري الدولي» في باريس، غير آبه بدعوات رفاقه السورياليين لمقاطعة الفعالية «الاستعمارية» في فينسين. في تلك اللحظة، اكتمل تصوره للثقافة الغربية، كثقافة مثقلة بالمادية وإيديولوجيا التطور التقني. ترافق هذا التصور مع شعور عارم بالسخط وعدم الرضى: هذه الأزمة الروحية لحضارة مادية عظيمة هي بالضبط ما أطلق عليه أرتو اسم «اليأس المعاصر». اكتملت وقتئذ رؤيته الثورية في «المسرح وقرينه» التي تعتزم إعادة تأهيل لغة جسد الممثل الذي سيصقل بالأصوات والأنفاس المنتظمة والتشنجات والترويج للاستخدام الموسيقي والتشكيلي لساحة المسرح. لا ملائكية على الخشبة عند صاحب «فان غوغ منتحر المجتمع»: المسرح مثل الطاعون، يسحق الأعضاء الحيوية، يكسر مفاصل الجسد، ويعيد إليه هذه الحركات المفككة والزاوية التي تنشر في فضاء المسرح «العمارة الروحية» للغة.

هذا هو السبب الذي يجعل المسرح الحقيقي دوماً مسرحاً للقسوة: هو لا يلامس العاطفة والموت فحسب، بل يقيس نفسه قبل أي شيء في مقابل واقع الإنسان ذاته، ويتجاوزه. في مواجهة المسرح النفسي الذي كان لأرتو بمثابة الآفة المزعجة، وفكرة مسرح الترفيه التي مقتها هي الأخرى، ومحتجّاً على طحن الكلمة الأدبية والشعرية وفصلها عن مجال تأثيرها الحيوي عند ترويضها مسرحياً وبالتالي ضياع المقدّس، يجعلنا أرتو نكتشف قوة المسرح الذي يجد تجسيداً له في كل طاقة الأساطير التأسيسية أو التراجيديات القديمة. هكذا يصبح المسرح مرة أخرى «حقيقة يمكن للمرء أن يؤمن بها». قرأت فرنسا أرتو عند صدور «المسرح وقرينه»، لكنها اقتاتت على بريخت. استجاب الأخير لبرامج المسرحيّين المنخرطين سياسياً وغيّر معطيات العمل المسرحي في الوقت ذاته. إن كانت ثمة عقلانية سياسية في أعمال بريخت، مستندة إلى الماركسية التي بدت حينها قادرة على الاستجابة لآفاق التحول الاجتماعي، فقد أفلت أرتو من الانتماء الايديولوجي والالتزام بنهج سياسي واضح. حَذرُه من حصره في زاوية إيديولوجية أو أدبية، كان السبب في أن طرده بروتون من الحركة السريالية. سيصير أرتو الرومانسي المنبوذ... ولن توضع أفكاره النظرية قيد التطبيق إلا عندما عبرت الحدود إلى بلدان أوروبا الشرقية السابقة على خلفية خيبة الأمل السياسية من الاشتراكية. كان لقاء غروتوفسكي الحاسم مع شعرية أرتو إحدى المساهمات الرئيسة في تحوّل المسرح الحديث. الهزّة التي انطلقت من تلاقي رؤية العملاقين، ستكون لها ارتدادات عظيمة وراء «الستار الحديدي». حثّ نبي مسرح القسوة على تخريب الجماليات الرسمية، وكذلك على رفض التفاؤل التاريخي الذي نشأ في دين الدولة. ارتدادات تلقّفتها الحركة الهيبية الأميركية التي وجدت في رؤية أرتو للمسرح طريقة للتواصل السحري بين الممثل والمشاهد عبر اللّجوء إلى «الممارسات المقدسة» واختراع جسد جديد وعرض قائم على المناولة لا الفصل. كل قوة أرتو كانت في فعل الكسر، هو الذي بشّر بـ «المسرح الذي لا يتسمّر في اللغة والأشكال، يهدم الظلال الزائفة، لكنه يمهّد طريق ولادة أخرى لظلال يجتمع حولها المشهد الحقيقي للحياة. أن نكسر اللغة لنلامس الحياة، هو أن نصنع أو نُعيد صناعة المسرح؛ والمهم أن لا نعتقد أن فعل الكسر يجب أن يبقى مقدّساً أو محظوراً».

ملف

شهد الشمري تحرّر «مجنونات» الرواية

تستحضر الكاتبة والباحثة الكويتية شهد الشمري أرواح شخصيات نسوية تنطوي على حالات جنون وإعاقة، بمراجعة نصوص كاتبات من الضفتين بقصد التشكيك في فصل المدوّنة السردية في الغرب عن مثيلتها في الشرق، وفقاً لتفكيك هذه النصوص، تسعى الشمري في كتابها «خطاب الجنون والأدب» الصادر بالإنكليزية تحت عنوان Literary Madness in British, Postcolonial, and Bedouin Women›s Writing إلى كشف زيف هذه الرؤية الانفصالية. هكذا تلتقي مجنونات ايميلي وشارلوت برونتي في «مرتفعات وذرينغ»، و«جين آير»، وأورونداتي روي في «إله الأشياء الصغيرة»، وفاديا الفقير في «أعمدة الملح»، وميرال الطحاوي في «الخباء»، في فضاء واحد، بصرف النظر عن الجغرافيا الأصلية للكاتبة، كما تتشابه الحبكات في رسم مصائر الشخصيات، سواء أكانت تنتمي إلى الحقبة الفيكتورية أو ما بعد الاستعمار، أو الفضاء البدوي. يظهر الجنون والموت كاستراتيجيّتين نصيّتين لإعطاء صوت للمرأة المهمَّشة والمكتومة، بعد أن تصاب الشخصيّات بالجنون، أو تُباد، أو تموت، في عليّة أو مصح عقلي أو خيمة بدوية، إذ تؤسس هذه الكتابة لتمرد واحتجاج ومقاومة من نوع ما على أنظمة الاضطهاد المتشابكة: السلطة الأبوية والاستعمار وعلاقات القوة الاستعمارية الجديدة، وتالياً التأكيد على التلازم الذي لا ينفصم بين الإمبراطورية وأيديولوجيات السلطة الأبويّة، والسياسات العرقية والجنسانية. تتحاور النصوص الأربعة وتتعالق في مسألة الجنون من جهةٍ، وأيديولوجيات القمع الأبوي/ الاستعماري، من جهةٍ ثانية. في مرآة أخرى، يسبق التدهور العقلي التدهور الجسدي والموت باستدعاء الحالات العقلية المضطربة والأجساد المعوقة والتشوّه. وسنجد في رواية الهندية أورنداتي روي حالات من التبعية والجنون عن طريق تصادم الحيوات الخاصة مع المجال العام. فالجنون هنا انتجته المستعمرات في المقام الأول، مما يقود الشخصيات المجنونة إلى الطرد والانتهاك والصدمة. بخصوص تموضع الشخصية البدوية في الرواية العربية، سنقع على نماذج من حالات الإخصاء، تبعاً لرسوخ القيم المحلية المتطرفة، لتنتهي مجنونات فاديا الفقير إلى مصحّة عقلية بسبب هيمنة السلطتين الأبوية والاستعمارية، من جهتها، تضيء ميرال الطحاوي في «الخباء» مناطق بكراً في سرد البداوة لتتقاطع قسوة الواقع مع اتساع الأسطورة، بتنظيم وضبط جسد الأنثى، وتقاطع الإعاقة والجنون. هنا مقاطع من الكتاب الذي ترجمته إلى لغة الضاد عهد صبيحة، على أن يصدر قريباً عن «دار نينوى».

تقديم **خليل صويلح**

أورونداتي روي

اقترح نقاد ما بعد الاستعمار أنّ تداعيات الاستعمار لا تزال متأصّلة بعمق في نفسيّة المستعمَر. يظهر أثر الضرر الذي لحق بالأرض في الضرر الشخصي الذي لحق بالمستعمَرين: نفسيًّات وهُويّات وأجساد متصدّعة متعدّدة. يكرّر التشويه نفسه ويعيد تأكيد آثاره المدمّرة من خلال إلحاق الضرر بالمجالين الخاص والعام، والجانبين الشخصي والسياسي، والذهن والجسد، والأهم من ذلك بالفرد والجماعة. رواية أورونداتي روي «إله الأشياء الصغيرة»، هي رواية تحتجّ بصوت عالٍ، نصّ ينعي المستعمَر، ويحتفي به على حدٍّ سواء، ويقدّم صورة الهند بحسبانها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمرأة الهندّية المستعمَرة. في مواجهة الاستعمار والعنصريّة والتمييز على أساس الجنس. التي يكاد ليس لديها أي فرصة للنجاة والمقاومة. إنّ رواية روي قويّة في عواطفها الخام، وملاحظتها الدقيقة للتلازم الذي لا ينفصل بين السياسي والشخصي، وشكلها العدواني والحبكة والشخصيات. إنّ النصّ بوصفه نصاً «مجنوناً» أو مشوّشاً، زاخر بثغرات الذاكرة، الارتباك والتخبّط، والصدمة بلا شك. في «إله الأشياء الصغيرة»، يعدّ الجنون والاستعمار وعواقبهما علامات مهمّة للذهن والجسد المستعمَرين. وكذلك النظر في الجنون في الدّولة المستعمِرة، الجنون بحسبانه نتيجة للاستعمار، والتّلاعب الإمبراطوريّ بالسلطة الأبويّة للشعوب الأصليّة، والجنون بحسبانه تجاوزاً تمكينيّاً تنطوي من خلاله قدرة الشخصيات النسائيّة «المجنونة» المفترَضة على تحدّي السياسة العامّة من خلال حيواتهنّ الخاصة، وأفعالهنّ البسيطة. «إله الأشياء الصغيرة» عنوان يشير إلى إلهٍ جنسه ذكر، وعلى الرّغم من ذلك، تشغله على نحو أساسيّ شبكة من الشخصيّات النسائيّة والتابعة، اللواتي تنعكس حيواتهنّ الخاصّة في تدهور الأمّة.

إنّ رواية روي ليست قصّة واحدة منفردة عن الأمّة، بل تعرض العديد من القصص لأفراد يحكم حيواتهم ماضٍ استعماري مستمر. على نحو أكثر تحديداً، يركّز النص على قصص نساء هندّيات مختلفات، أذهانهن وأجسادهن، ووجودهن في مجتمع تحكمه التأثيرات الاستعمارية، والنظام الطبقي، والسلطة الأبوية، والدولة. ولأنّ الشخصية الأنثوية المستعمَرة تمثّل الأرض المستعمَرة والمُغتصَبة، فإنّ التطابقات واضحة. وليس من المفاجئ إذاً، أن تخلق روي شخصيات نسائية في حالة حرب داخلية وخارجية على حد سواء، مع العالمين العام والخاص. لا يقتصر دور روي على تصوير الشخصيات المضطربة والمرتبكة فحسب، ما يعكس حالة الأمّة، بل تستخدم أيضاً النصّ نفسه كقصّةٍ رمزيّة أخرى. إنّ النصّ مجزّأ، جامح وغير مروّض ومتمرّد. يهدّد الحدود والثنائيّات والتعاريف والفئات، ويقاوم المفاهيم المؤيّدة لما يشكّل الأدب الإنكليزيّ وقواعد اللغة الإنكليزيّة والتّهجئة والقواعد النحويّة. إنّ الجنون الذي يلوّث ثقافة الشعب بأكملها، وإحساسهم بالذات، واضحٌ في جميع أنحاء النص، وأسمّي هذه الحالة «جنون الاندماج». جنون الاندماج هنا هو نتيجة الضغط للاندماج، لتزييف هويّة مختلفة تماماً، هويّة ترضي مجتمع السلطة الأبويّة وتوقّعات المستعمِر. يخلق جنون الاندماج انقساماً عن الماضي والهويّة الأصليّة للفرد، والهويّة الجديدة أو الحديثة التي يشعر المرء بالضغط لتبنّيها. من خلال فعل ذلك، يضمن المستعمِر تفاني المستعمَر واندماجه مع قيم وثقافة المستعمِر، بما في ذلك التقليل من قيمة ثقافة الفرد الخاصّة، وتالياً الذات.

تكشف الرواية قبل أي شيء أعمال الجنون في سياق ما بعد الاستعمار. لكنّ التركيز هذه المرّة، لم يكن على امرأة مجنونة في العلّيّة (رواية «جين اير» لشارلوت برونتي) أو في مصحة عقلية (رواية «أعمدة الملح» لفادية الفقير) أو في خيمة (رواية «الخباء» لميرال الطحاوي). لا يقتصر الجنون على مساحة معيّنة، ولا يصيب شخصاً واحداً أو امرأة واحدة، بل الجنون موجود في كلّ مكان وفي الأبويّة والاستعمار. إذاً، إنّ «إله الأشياء الصغيرة» يعالج الجنون في سياق أوسع، ويتعامل مع الجنون بحسبانه ظاهرة اجتماعية وسياسية، وليس مجرّد حالة فرديّة. تعالج الرواية الجنون على مستويات متعدّدة، وتستكشف كيف يمكن أن يتأثر الأفراد بالجنون، وكيف يمكن أن يؤثر الجنون على المجتمع ككل. تستكشف الرواية أيضاً كيف يمكن أن يكون الجنون بمثابة استجابة للصدمة، وكيف يمكن أن يكون بمثابة وسيلة للمقاومة. تستكشف الرواية أيضاً كيف يمكن أن يكون الجنون بمثابة وسيلة للتواصل، وكيف يمكن أن يكون بمثابة وسيلة للعزلة. تستكشف الرواية أيضاً كيف يمكن أن يكون الجنون بمثابة وسيلة للتغيير، وكيف يمكن أن يكون بمثابة وسيلة للحفاظ على الوضع الراهن.

فاديا الفقير

رغم أنّ «أعمدة الملح» لفاديا الفقير تستجوب بعض الافتراضات الثقافية والأيديولوجية والاستشراقية المتعلّقة بالسلطة الأبوية، حتى اللغوية، إلّا أنّ بطلتيها لا تنجحان في الهرب من الضغوط التي أدّت إلى نفيهما وفنائهما. إنّهما مطرودتان من المجتمع فقط لدخول المصحّ العقليّ الذي يعكس المجتمع الخارجي. تعمل المؤسّسات العامّة، والمجال العام، ضدهما لتدمير وتشويه حياتيهما الخاصة.

يدير الطبيب الإنكليزي العقوبة الجسديّة في المصحّة العقلية، حيث تُنفّذ أساليب التعامل هذه مع المجانين من الإمبراطورية. إنّ المصحّة العقليّة «إله الأشياء الصغيرة»، تؤثّر القصص بنسيان الصدمة الأولية للإمبراطوريّة والاستعمار.

إنّ رواية «إله الأشياء الصغيرة»، هي بمنزلة عملية مستمرة للتعمق في القرية السيميائية، وتخلق مكاناً جديداً بين الجنون/ والعقل، النصّ الأصليّ/ والظاهريّ، الغرب/ والشرق، اللّغة الإنكليزية/ والمحلية، الشخصي/ والأخر. شخصيات مجنونة، بالطريقة عينها التي يؤكّد بها النصّ نفسه كنصّ مجنون، وهو نصّ يتعدّى دائماً على الحدود والحواجز، نصّ يحاول إحداث ثورة في اللغة والمعنى. هناك دائماً جنونٌ يحوم حوله، «كان ثمّة جنون ذلك الصباح... لم يكن ذلك مجرّد استعراض. تمكّن كلّ من إستا وراحيل من تعرّفه». يصبح الجنون هنا موقعاً للثورة النصيّة، لتفكيك أنماط التفكير الغربيّة ثنائيّة التفرّع، وللتغيير على المستويين الشخصيّ والسياسيّ، للفرد والجماعة. على عكس البطلة الفيكتورية المجنونة، يجب أن تثور البطلة المجنونة في مرحلة ما بعد الاستعمار بالضرورة ضدّ كلّ من الشخصيّ والسياسيّ معاً. يجب عليها إعادة التأكيد ليس فقط على ذاتيّتها، وإنّما أيضاً على هويّتها «الأصليّة»، هناك عمليّة إنهاء استعمار مزدوج. في هي اختراع حديث، الأدوية والأدوات المستخدمة للسيطرة الجسديّة وإسكات النساء المجنونات. فالطبيب الإنكليزي، والممرّضة سلام، والبوّاب كوكش، جميعهم يعملون كقوى تأديبيّة تهدف إلى إسكات النساء المجنونات وإخضاعهنّ. تروي مها روتين حلق رؤوسهنّ، الذي يستخدمه الطبيب الإنكليزيّ إلى جانب الممرّضة، وبمساعدة من البوّاب:

«هذا ما يفعلونه للسيطرة علينا... لمّا توقّف أزيز الأداة، ولمّا أغلق الباب، ولمّا تنهّدت أمّ سعد أخيراً تنهّدةً طويلة، أدرت رأسي وفتحت عيني. مرّرت يديها على رأسها الأصلع. قفزتْ من السرير، ودفعت يديها بعيداً، والتقطت الحجاب الورديّ ثمّ ربطته حول رأسها، مع التأكّد من أنّني غطّيت الجمجمة الصلعاء تماماً... بدأت تبكي مثل مبارك عندما كان يبلغ من العمر أسبوعاً، حين كان مختونًا للتوّ... وضعتُ رأسها على صدري وتناثرت حرارة دموعها... تقلّصت حلمتاي. كنت أرغب في إرضاع ابني».

إنّ الحداثة والاستعمار هما اللذان أبقيا الحيازة على هذه المؤسّسة العقليّة، وهذه هي الأداة التي لا تفهمها مها، الأداة التي تصدر صوت «أزيز»، التي تُستخدم لحلق رؤوسهنّ، وتركهنّ مجرّدات من الإنسانيّة، ومجرّدات من الأنوثة قدر الإمكان. في البداية، ترفض أمّ سعد خلع حجابها، لأنّ الرجال يجب ألّا يروها، هذا جزء من تراثها ودينها. في مواجهة الحداثة، يُنبذ التراث، يجري التنصّل منه ورفضه، ويمتلك فرصة ضئيلة لمقاومة الوضع الراهن المهيمن، وقوّة التحديث والعولمة. ما الذي يمكن فعله غير توسيع التضامن الأخوي، شفاء الآخر، والعودة إلى الأمومة؟ لا تجد مها وأمّ سعد الراحة إلّا إحداهما مع الأخرى، في التضامن النسائي، وفي الأمومة. وصلت فاعليّة مها الاجتماعية والسياسية إلى أعلى مستوياتها وأعمقها في أثناء إقامتها في مصحّة الأمراض العقليّة. تتواصل مع أمّ سعد، محتضنة إيّاها كما يفعل المرء بغية تهدئة طفل، وتكتسب القوّة من دون قصد من الأمومة، من سيميائيّة جوليا كريستيفا. يظهر هذا التمزّق في النظام الرمزي وقوانين السلطة الأبويّة للمجتمع والمؤسّسات والاستعمار، في أوضح صوره، في الفقرة المذكورة أعلاه. تمكّنت مها وأمّ سعد من فهم فوضى النظامين العالمي والرمزي، وهيمنة السلطتين الأبويّة والاستعماريّة، اللتين تسودان عليهما، فقط عندما تتقبّل إحداهما الأخرى، وقوّة الأمومة. إذاً، إنّ جنونهما يهدّد كلاً من داعمي السلطة الأبويّة في الوطن، والمستعمرين. إنّ بناء البطلتين، مها وأمّ سعد، اللتين تنحدران من خلفيّتين مختلفتين، هو أمرٌ ضروريٌ لنقاش القواسم المشتركة والأخويّة في النضال ضد السلطة الأبوية والاستعمار. إنّ مها وأمّ سعد، كلتيهما، مجنونتان تعملان كعوامل تجسيد للمقاومة السياسية والثقافية، وتستطيعان إيجاد القوة من خلال الأمومة والأنوثة. إنّ جنونهما مدمّر في وجوده، وفي قدرته على إثارة الخوف وإهانة كلّ من المستعمر وداعمي السلطة الأبويّة.

نوبيوشي اراكي ــ «67 اطلاقة نار» (طباعة سيانكوم فنتادج ــ 50,8 × 61 سنتم ــ 2007)

النص كاملاً على موقعنا

حوار

أحمد الفخراني: الرواية باتت وصفة جاهزة

الكتابة بالنسبة إلى أحمد الفخراني (1981) حرفة تقتضي «الاستماع الجيّد لصوت الحكاية وإدراك شكلها وبنيتها الفريدة». ليست وصفة مجرّبة يتّكئ عليها؛ هكذا تتفتّح الرواية أمامه كطريق/ مغامرة يكتب ويُعيد الكتابة حتّى يصل إلى الشّكل الأمثل. خرّج الروائي المصري من كليّة الصيدلة، لكنّه قرّر دخول عالم الكتابة من بوّابة الصّحافة في 2007؛ العام نفسه الذي أصدر فيه مجموعته الأولى في شعر العامية «ديكورات بسيطة»، ثم هرب سريعاً من الشعر إلى كتابة البورتريه «في كلّ قلب حكاية» (2009). منذ عشر سنوات، قرّر أن «يفتح باب الخيال»، ليصدر مجموعته القصصيّة الأولى «مملكة من عصير التفاح» (دار نهضة مصر . 2011) تضمّنت قصّة حملت اسم روايته الأولى «ماندورلا» (2013)؛ كانت هذه البداية الحقيقيّة لتجربته الروائية التي تتضمّن حتى الآن: «سيرة سيد الباشا» (بيت الياسمين . 2016)، «عائلة جادو: نص النصوص» (العين . 2017)، «بياصة الشوام» (العين . 2019) وأخيراً «إخضاع الكلب» (الشروق . 2021). اعتمدت عوالم رواياته الأربع الأولى على الفانتازيا والخيال، لكن في «إخضاع الكلب» نجد للواقع مساحة أكبر، فهل تُرجع ذلك للخبرة أم أنه تمرّد على مشروعه ومحاولة للخروج من الثيمة التي تسم الكثير من الروايات الجديدة؟ هذا السؤال وغيره يشكّل محور لقائنا بالكاتب المصري.

تقديم وحوار **عبد الله رامي**

■ حكاية رجل وكلب... كيف تشكّلت فكرة «إخضاع الكلب» في رأسك؟

ـ تكوّنت الرواية من طبقات كثيرة، آخرها ظهور صورة الكلب في رأسي. على مدار سنة، كنت أكتب عن فكرة تشغلني حول طبيعة العلاقة مع الآخر والشرّ وكيفية التعامل معه. ظهرت تلك الأسئلة مبعثرة في نصوص أو مسوّدات غير مكتملة. كما كتبت قصة قصيرة بعنوان «الرجل الذي محا الشر» محمّلة بتلك الأفكار، لكن كلّ ذلك لم يكن كافياً لكتابة رواية. كنت أحوم حول الفكرة إلى أن ظهرت في رأسي صورة لرجل يضرب كلباً للمرة الأولى، وكانت هذه اللّحظة التي قرّرت فيها كتابة الرواية، ولا أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك. لكنني أدركت أن هذه الصورة كانت بمثابة الحجر الناقص.

■ يعني أنّك تفاجأ بكثير من أحداث روايتك؟

ـ هناك الكثير من الجمل التي لا أعرف كيف كتبتها. فاجأني أثناء التّحرير مثلاً إحساس البطل بغياب ثقته بجسده كأثر للخيانة، ولحظات وصف شعوره عندما قرّر ضرب الكلب والتحوّل الذي يحدث داخله. وعندما كتبت «الكلبة البيضاء المرقطة»، كنت أسير خلف حدسي دون معرفة إلى أين سيقودني. أثناء الكتابة أيضاً، لم أكن أعرف ماذا يمثّل الكلب، كنت في مرحلة أن أختار الحكاية أولاً. وأظن أن الأهم من الأفكار بالنسبة للرواية هو الحكاية. أما الدّلالات فتتكوّن من الإخلاص في هذه الحكاية. تفاجأت بأفكار تدور في رأسي تُضيف أبعاداً للبطل كونه مصوّراً «رجل يسعى لتصوير الشر»، أيضاً حذفت الأجزاء الخاصة بالعائلة، وقرّرت إبقاء الكلب بدلاً من الصديق. جميعها كانت مفاجآت لخدمة الحكاية بشكل أفضل. عموماً الوعي واللاوعي منطقة مراوغة في الكتابة.

■ سؤال الشرّ واختيار المبادئ حاضر في الرواية. لماذا اخترت الخيانة كخطيئة حاضرة تنوب عن كل الشرور؟

ـ لم أختر أي نوع من الخيانة، فالخيانة الزوجية مع صديق تجمع الكثير في دلالتها سواء في الحب أو الصداقة أو الأبوّة. والكلب في الناحية الأخرى معادل لهما.

لكن الأشياء لا تأتي بهذا الشكل المنطقي المرتّب، أكتشف ذلك أثناء الكتابة. ومع التّحرير أختبر صحّة خياراتي. لا أخطّط للعمل قبل الكتابة، ولكنّني أخطّط أثناء عملية الكتابة نفسها، وهذا ما تعلّمته من تجربتي في «بياصة الشوام»؛ فأنا أكتب وأعيد الكتابة، ما يجعلني أستعيد الخطة في ذهني وأعدل الطريق بينما لا يزال يتشكّل عبر مئات من القرارات الصغيرة السابقة على عملية تحرير المسوّدة الأولى.

■ عندما نضع رواياتك جوار بعضها، نجد أنه بجانب هواجسك الشخصية وأسئلتك التي تطرحها خلالها، فإن طريقة تناول الحكاية وشكلها يشغلانك دائماً

ـ في كلّ عمل، أشعر باختبار الكتابة وسؤال الشّكل للمرة الأولى، حتى يتولّد الشكل من الحكاية نفسها وبنية النص وتشكّل الشخصيات. وفي رأيي أن أزمة الرواية في العالم كلّه أنها أصبحت وصفة محفوظة لأنها أكثر شيء تمّ شرحه. وهذه الوصفة يمكن أن تخرج منها رواية ناجحة. لكن الأمر مخيف. الجمهور يذهب الآن إلى رواية سهلة وغير متعبة، وصارت هناك جوائز لهذا النوع من الروايات. فكيف سنتّجه أدباً جيداً وسط كل هذه المعايير والوصفات الجاهزة؟

■ لكنك مشغول بالكتابة كـ«صنعة» وهو ما ظهر أخيراً من حلقات «استكشاف النمط الفريد» التي تنشرها على موقع «مدى مصر». ألا يمكننا اعتبار ذلك استحضاراً لوصفة أو تأثيراً على تلقائية الكتابة؟

ـ أكتب سلسلة من المقالات عن فنّ القصة القصيرة، والغرض منها ليس القول بأنّ هناك قواعد للكتابة؛ لكنّ كي أظهر أنّ لكل قصة نمطاً خاصّاً بها. كيف أكتشف ذلك النمط وأتعلّم منه عندما أحتاج؟ وكيف أخلق النمط الخاص بي؟ هذا عكس استحضار وصفة بعينها للكتابة باعتبارها الأكثر نجاحاً وانتشاراً بين الجمهور. وبالمناسبة الحرفة عكس الوصفة، فالحرفة هي الاستماع الجيّد لصوت الحكاية وإدراك شكلها وبنيتها الفريدة. وليس إدخال نظريات عنوة على النص من دون أن تتولد من داخله. منذ روايتي الأولى «ماندورلا»، تولّدت لديّ أسئلة عن كيفية تجسيد ذلك العالم بشكل أوضح وأفضل، وكانت الحرفة هي الإجابة. والحرفة هنا تتحوّل إلى عملية أشبه بالصلاة؛ نوع من الطقوس الذي يساعدك على اكتشاف نفسك بشكل أفضل.

■ بالحديث عن الرواية التي يحبّها القارئ، ماذا عن تصوّرك لقارئك أثناء الكتابة؟

ـ أنا فنّان، هدفي الأساسي تقديم حكاية مرويدة بشكل جيّد مقنع وممتع للقارئ. أما اكتشاف طبقات وأفكار العمل، فهذا أمر يختلف من شخص إلى آخر. وأتخيّل أنّ قارئ الأدب ذكيّ، يقرأ بهدوء. ولثقتي فيه، لا يُمكن أن أقدّم له معنى الرواية بالكامل. وفي ظنّي أنّ الكاتب الذي ليس لديه شيء يُخفيه يستهين بالقارئ.

■ الفلسفة جزء مهم وحاضر بقوة في مشروعك. تختار دوماً حكاية تختبر من خلالها الأفكار الكبرى وتسخر منها وتتهكّم عليها أحياناً.

ـ الفلسفة بالنسبة إليّ محرّك مهمّ وأحد روافد الكتابة لديّ. لكن الأفكار لا توضع في النص بلّي ذراعها. كتبت أخيراً مقالات عن الفلسفة واكتشفتُ أنني غير مستمتع لأنني لا أستطيع اللّعب مع تلك الأفكار أثناء عرضها في قالب المقال. الإبداع يعطيني مساحة اللّعب والمناورة مع تلك الأفكار. الفلسفة في رواياتي مصدر وليست غرضاً، أداة تساعدني على الرؤية.

■ في مجموعتك القصصية «مملكة من عصير التفاح»، كان الخيال والفانتازيا حاضرين بقوة، لكن توظيفهما اختلف عندما اتجهت إلى الرواية. حين تحوّلت قصتك «ماندورلا» إلى رواية، صار الخيال وسيلةً تطرح من خلالها أسئلتك، ولم تعد خيالاً خالصاً. هل كان ذلك نتيجة اختلاف القالب؟

ـ معك حق. في «مملكة من عصير التفاح»، كنت أفتح باب الخيال فقط. أكتب النصوص بشكل يومي ولم أكن محمّلاً وقتها بأسئلة كبيرة أو هواجس واضحة. وأظن أن الغرض من تلك المجموعة القصصيّة كان فقط فتح تلك البوابة داخلي بدون رقيب، وأفدت منها لاحقاً في «ماندورلا»، اختلف الأمر، لكنها لم تكن لتُكتب إلا بهذا الترتيب. ورواياتي التالية أفادت من ذلك كثيراً، كأنني أدخل طريقاً اكتسب خلاله خبرات إيجابية وسلبية «بنصلح أخطاء ونرتكب أخطاء جديدة».

أحمد الفخراني: أرجع دوماً إلى «دون كيشوت». أجد فيها التقنية بشكلها البدائي والأساسي

■ في «ماندورلا» وصفت الكتابة في سياق ساخر بأنّها «الفعل الأكثر وقاحةً في العالم لا يجيده إلا السفلة والغرباء». ماذا عن تطور مفهوم الكتابة بالنسبة إليك عبر أعمالك المختلفة؟

أظنّه نَضَج. فمعنى الجملة أن الكتابة تحتاج عملية من الشكّ، والنّشر جزء منه وقاحة. لكنّنا نحاول أن نكون أقل وقاحة من خلال إعادة الكتابة والتحرير. لا أتذكر الظروف التي أنتجت فيها هذه الجملة؛ لكنني من وقت إلى آخر أعود لـ«ماندورلا» بكل ما بها من مزايا وعيوب، فاكتشف أنها النص الذي يحمل أغلب أسئلتي

الكتابة تأتي من الجزء غير الناضج فينا، ومن الفضول الذي يحمله تجاه العالم

وهواجسي الرئيسة التي أعمل عليها حتى رغم تطورها وتقديمها بشكل أفضل في الأعمال التالية.

■ كيف تتعامل مع السؤال الذي طرحته في النص نفسه: «ماذا تعرف عن العالم لتضيف إليه الكلمات؟»

ـ الكتابة تأتي ممّا لا نعرف وليس ما نعرف. وقتها لم تكن هذه إجابتي، والسؤال لم يكن له إجابة أصلاً. لكنني أكتشف أن الكتابة تأتي من الجزء غير الناضج فينا، ومن الفضول الذي يحمله تجاه العالم، وليس الجزء الذي يحمل معرفة مسبقة. هناك جملة أخرى في «بياصة الشوام» تحمل ذلك الصدى: «قلبي مجروح، هذا كل ما أعرفه عن العالم».

■ تقول إنك بالرّجوع لروايتك الأولى، تجدها محملة بالكثير من أسئلتك وبالفعل تلاحظ أنّ هناك الكثير من الأسئلة المشتركة بين رواياتك الخمس.. هل تقتنع بمقولة إنّ «الكاتب يكتب نصاً واحداً بأشكال مختلفة»؟

ـ أقصد أن الرواية الأولى تفاجئني عندما أظن أن هناك أسئلة اكتسبتها من الثقافة، فأجدها كانت أسئلتي الأولى، ودور الثقافة والخبرة هو تعميق تلك الأسئلة. وفي رأيي هناك الكثير من الجمل المتعلقة بالكتابة والتعميمية بالذات هي جمل كبتشية. لا أظن أنه نص واحد أعيد كتابته، يمكن أن يحدث ذلك لبعض الحالات وتعميمها هو المشكلة.

يكون عندي هاجس أو سؤال حول الشكل والحكاية، فأكتب مثلاً «إخضاع الكلب» فلا أجدها مشبعة لأسئلتي أو أشعر بأنني لم أجب على السؤال بالشكل الأمثل وبالتالي يمكن أن أعيد السؤال نفسه بشكل آخر. نجيب محفوظ مثلاً كتب حكاية السقوط من الجنة بطرق كثيرة وفي صور مختلفة، فـ «الحرافيش» لا يمكن أن تُكتب من دون ما حدث مع «أولاد حارتنا»، وهما روايتان مختلفتان تماماً، لكن سؤال الشكل مشترك: الواقعية أم الرمزية. فنجد أن شخصية عاشور الناجي خرجت في صورة تمزج بين عدد من الأنبياء بدون أن يكون غرضه إظهار أنه نبي، إذ أفاد من المرات الأولى والهواجس الأولى. أحياناً يكون السؤال في داخلك غير مكتمل، يعني أنا أحاول في روايتي القادمة الإجابة على سؤال الشكل غير المكتمل في «سيرة سيد الباشا» لأنني ما زال عندي قلق تجاه ذلك الشكل من الكتابة وعندي أمل أن أطوّره. لكن يظل كل نصّ مغامرة مختلفة.

■ ماذا عن تفاصيل روايتك القادمة؟

ـ حكاية تدور في بار انتهيت من مسودتها الأولى تحت اسم «بار ليالينا»، وأتمنى أن تكون جاهزة للنشر في أيار (مايو) المقبل. يمكنني أن أصفها الآن بأنها أكثر خفّة من «إخضاع الكلب» و«بياصة الشوام» على مستوى اللغة والبنية وطريقة السرد.

■ من الواضح أن الكتابة جزء مهم من يومك، فهل لك روتين أو طقوس معينة؟

ـ يومي الطبيعي قراءة وكتابة، هكذا أحس أنه مشبع بالنسبة إليّ. أكتب الكثير من المسودات والأفكار العشوائية يومياً. أفضل الكتابة في الليل لأنه الوقت الذي أشعر فيه بصفاء ذهني وأقدر أن أكتب بشكل أفضل. وهذا ما أحاول الحفاظ عليه في أغلب الوقت.

■ انتقلتَ أخيراً إلى مدينة ذهب، جنوب سيناء، وهي مكان حكاية «إخضاع الكلب». كيف تتعامل مع البُعد عن القاهرة، خصوصاً أنك تعتبرها مدينتك الملهمة؟

لا تزال القاهرة مدينتي الملهمة، وأرى ذهب من عين القاهرة كأنها مراة لها. النسبة الأغلب من السكان هنا قادمون من المدن الكبرى، ويتحركون حاملين نفس أزمات تلك المدن من دون التخلص منها. كانني قادر على رؤية القاهرة بشكل مكثف وواضح، خصوصاً الأنماط الأولى من العلاقات لصغر المدينة. لم أكن أنوي أن تكون حكاية «إخضاع الكلب» في ذهب، لكنني رأيت هارون كانعكاس لابن مدينة كبرى. أما قرار الانتقال، فسببه الرئيس هو أن تعيش عائلتي بشكل أفضل.

■ لا يمكن تجاهل مشوارك في الصحافة وتأثيره على مشروعك الروائي.

ـ اخترت العمل بوعي لأن له علاقة بالكتابة، ونجحت سريعاً في الصحافة ما جعلني أعمل في مناصب إدارية فيها، أو أن أكون مشغولاً بفكرة ما طوال اليوم ولا أستطيع أن أقوم بشيء آخر، وبالتالي لم يكن العمل في الصحافة مقتصراً على كتابة نص فقط، إذ تداخلت الكثير من المهام الأخرى التي تعطلني عن القراءة والتطوير في الكتابة. ساعتها قرّرت التراجع لكنني ما زلت إلى الآن أنشر مقالات مختلفة. فهي في النهاية جزء من عملية الكتابة.

■ كرواني ومشتغل في الصحافة. كيف تقيم الصحافة الثقافية في مصر الآن؟

الصحافة الثقافية تحتاج لمساحات أكبر في المواقع والصحف لأنها أثبتت نجاحات كبيرة على مستوى الكتب. نجد أنّ «سيرة الرواية المحرمة» لمحمد شعير حقّقت نجاحاً وانتشاراً، فضلاً عن كتب أحمد خير الدين، وتحقيقات الصحافي محمد رياض، وكتاب «محمود درويش في مصر. المتن المجهول» لسيد محمود أو «حرز مكمكم» لـ أحمد ناجي، وجميعها أعمال خارجة من قلب الصحافة الثقافية وقادرة على الاشتباك مع المجتمع والسياسة بطرق سرد جديدة. بالتالي الصحافة الثقافية تحتاج إلى إعادة نظر من رؤساء تحرير الصحف والمواقع واختيار صحافيّين أفضل، لأنها في ظنّي أحد الحلول لنجاة الصحافة من أزماتها.

■ ماذا تقرأ الآن وما الكتب التي ترجع إليها بشكل دائم؟

ـ أرجع دوماً إلى «دون كيشوت». أجد فيها التقنية بشكلها البدائي والأساسي، بالإضافة إلى «المعلم ومارغريتا» لميخائيل بولغاكوف، و«فاوست» لغوته. حالياً أقرأ «لو أن مسافراً في ليلة شتاء» لإيتالو كالفينو للمرة الثالثة وأظن أنه سيكون نصاً أرجع إليه كثيراً، إلى جانب «إفلات الأصابع» لمحمد خير.

ترجمة

ب.ك فاراكادفو (*): قصص قصيرة جداً

ترجمة **عن اللغة الميالمية (**): محمد رافع (***)**

1- حلم

الحياة حلم يراه الموتى

2- صاحب

عندما نشر يسوع العشاء الأخير على الفايسبوك، كان يهوذا أوّل من قام بالإعجاب بتلك المنشورة

3- زهرة

علت قهقهة بذرة من تحت الأرض إذا ببرعم الزّهرة رفع رأسه على النبت

4- غطرسة

لا تنحنِي الشجرة عندما ترى الأخرى احتراماً مثلما لا ينحني الإنسان

5- قطرة مطر

بينما أمشي منفرداً في العتمة عانقت قطرة مطر على جبيني. فزمجر البحر المحيط بداخلي.

6- صمت

ندعو المخبأ الذي تلوذ به الكلمات بحذافيرها «الصمت»

(*) ب.ك فاراكادفوا كاتب وقاصّ وشاعر هنديّ وُلد في ولاية كيرالا جنوب الهند سنة 1952. ذاع صيته أخيراً بقصص قصيرة جداً. أصدر مؤلّفات عدة ترجم بعضها إلى لغات مختلفة. كما حصل على جوائز محليّة ودوليّة تقديراً لجهوده المبذولة في مجال الإبداع.

(**) اللّغة الميالمية لغة ينطق بها أهل كيرالا

(***) محمد رافع باحث وكاتب ومترجم في اللّغة العربية في «جامعة معدن الثقافة الإسلامية» في ولاية كيرالا

قصائد

الحياةُ أكبر

غويين ذاهنغ ــ «غيم في غيم 1» (ورنيش على كانفاس ــ 88,9 × 157,5 سنتم ــ 2017»

قادي جودة *

1- اصابعنا دلتا

فوقنا سحاب، تحتنا سحاب
وهل يفنى ريشُ كوكبنا، ما هو حقُّ لنا وحقّ علينا،
عِهنٌ دوار وصفيح ساخن؟

إن عشقتَ العسل
كن نحلةً لا دبًا ولا ذبابة،
والسحابُ الفوقُ أشياء

لا اسمَ لها وإن سمّيناها: وجهُ الله
بيتُ هارون الرشيد
حدائقُ أوليمبس المعمّدة
أخطبوطٌ ينفثُ حبره
رأساً لوعل محنّط
كان رشيقاً على حواف الجبال، ولكن
ماذا
عن السحاب التحت
نسيجُ الذرات الملتهب، أيزول بعد
ألف سنة
كمن كان بحيرةً وصار هجرة
في خاصرة الإعصار عبر المحيط؟

تفاحةٌ عليا وتفاحة سفلى
لم تعد الأشجار تموت واقفة
ولم تبقَ بعد موبي دك
حيتان تبلعنا
لتلفظ أحلامنا في الفردوس

2- بين العُقاب ويميني

هو يبصرُ هيئة الاحتضار وأنا كذلك
يصنعُ من الموت وليمةً وأنا كذلك
لا يأكلُ موتاه
إلاّ في المجاعات
ويعشقُ النباتيّين لحماً وأنا كذلك
له وجهٌ مقنّع
لا شعرَ لرأسي ولا ريش لرأسه
وفي مصر له معبدٌ
ولي في مصر معبد
وله حموضةٌ في المعدة
وغلايةٌ في تيارات السماء
ولجنةٌ على الأرض في كلّ عزاء
لكنه أخرس

بلا حبالٍ تشدّ الهواء أو ترخيه

حيث ليس للتأمل
أنا أقربُ المقرّبين إلى عمري
وصديق حياتي
اليدُ التي تخرج من الحجر
لتغرسَ رسغها في الرّيح يدي،
اليمنى التي تحتضنُ كوبَ القهوة الساخن
في بخار الشتاء، اليسرى التي تقلّب الصفحات
والبدان حين يشتدُّ الضحك
ويدقُّ كعبيّ الأرض
لأنصب خيمة حضوري
قبل أن أغادر البهجة إلى السكون
حيث ليس للتأمل
بسمةٌ ولا عبسةٌ
أتفكّك نحو الحقيقة
كالنور لا كتلة لي
هيئتي الأشياءُ التي بها أرتطم
الحياةُ أكبر

عثرنا على التكاثر والعكسُ صحيح
هل نحن سرطان الأرض؟
تتراجع المذيعة عن سؤالها
لكنّ الأرض ستبقى بعدنا
نحن جرثومة تكبح نفسها
تُنهك الأرض قليلاً، تُصفرنها
تخطف لونها، تهديها حمّى
وقد يكون هناك فيءٌ وسوائل أخرى،
لكنّنا من ذوات الفصل الأخير
عشقاً بالضجر أو التّصفير
وتبقى الأرض ليس عليها
حرجٌ أن تستمر بلانا...
ليس ضرورياً أن نبكي ما نُعدي
مصرّين أن خاتمتنا نحن العابرون
خاتمتُه، أنّنا قتلةٌ كبار
بحجم كوكب. لسنا الكوكب
وقد نُسدلُ الستار
سويةً إذا ما انتهى الكون
أو طاش النيزكُ ونعلم أن يوم القيامة
إذا أتى لا قيامة فيه،
أن النهايات نشوةٌ
الحب الذي لا يذر...
نحنُ أصغر من الحياة، تكبرنا
الحياةُ أكبر

* فلسطين/ الولايات المتحدة

سرد

لم نستعمل كتالوغ الحرب

لَيْث نَجم *

كنت أقول دائماً إن بيروت مدينة عادية، لا يمكن أن تغيّر فينا شيئاً. لكن هذه كَذبتي الأكبر في الحياة. الكذبة التي لم أتكبّد عناء جعلها قابلة للتّصديق أو قريبة من الحقيقة حتّى. بيروت لم تكن يوماً مدينتي، لم أملك حتّى القدرة على أن أمونَ عليها. لا يمكنني مدحها أو ذمّها أو توصيتها بالرأفة بنا، نحن الذين همنا فيها بلا خطٍ للرجعة، بلا حساب لأول حب تحت المطر في الحمرا، وأوّل شتيمة تسمعها أمام النّصب التذكاري على مستديرة السفارة الكويتية.

كنت في العشرين حين أتيت إلى هنا للمرة الأولى. لم تلدني الدّنيا هنا في بيروت. حين ذهبت للمرة الأولى إلى عين المريسة، قالت لي آية: صارت بيروت مدينتنا. كانت فرحة بأنّها صارت تملك موطناً هنا. صار يمكنها القول «أنا من بيروت». أنا لا أقول لبيروت: «أنا بحبوبك يا بيروت». أترك الحب لها وحدها. على بيروت أن تحبنا بنفسها، أن تحضرنا إليها، أن تخترع لنا صوتاً نتبعه لنمشي نحوها.

ولكن في 4 آب ركضت ليلى. ركضت ولم تجلس في كوريدور منزلها البيروتي الضيّق، ولم تنزل إلى القبو، ولم تقرأ آيات السدّ ولم تحاول ترك القران مفتوحاً عليها، قبل أن تترك المنزل مستسلماً للقصف. أي لم تستعمل كتالوغ الحرب اللّبناني. ولكنّها ركضت، ولم تترك أملاً للعودة خلفها. تركت كلّ الكتب مغلقة ولم تفكّر بالنجاة.

ليلى جدّتي السّبعينية التي لم تحسب حساب كل ذلك. عاشت في المدينة، والحاج علي كركي لفّ شاربه في أرض المدينة ورجال المنطقة كذلك. انقسمت الشيّاح إلى قسمين بعد الحرب، أعلى وأسفل. في الأسفل هناك وقعت الحرب وما سبقها وما أتى بعدها. هناك أعطت أسمهان طفلها إلى أسعد في القبو، ومرّر عمران طابة الفوتبول إلى أصدقائه أعلى المدينة، في الواجهة وصرخ «غـــووول يـــا xxxك». هناك حشروا المتاريس. ووضعوا بعدها للشيّاح أفخم أنواع الزّجاج على مبانيها العالية، واحدة تنطح الأخرى. زيّنوا شرفاتنا بأحدث أنواع الورد الأزرق، كي يتلهّى المارّة بزرقة بيروت الواضحة، فيتناسوا المجزرة التي وقعت في الأسفل.

الحروب تحدث هكذا أساساً في أسفل الأرض بينما يتلهّى أصحاب المساكن ببناء أجمل مساكن الأرض أعلاها، فلا تبقى للحرب ذاكرة سوى الستائر المخطّطة التي ظلّت مفتوحة على وسعها، والجدران التي تركت عليها الحرب ثقوباً هائلة. من الخارج تبدو مثل لوحة هادئة. وقف فيها الزمن. ولكن من الداخل هي ليست سوى فلاش باك للمجزرة برمّتها. بعد هذا كلّه، بعدما حشروا الموت في الشيّاح، لم يبقَ سوى يد عمران وهي تُشير إلى مكان ما في السّماء، من فوق أكياس الإسفلت المكوّمة لإعمار أعلى الشيّاح بأجمل البيوت البيروتيّة التي لم يعرف زجاجها المترف كيف يعكس الموت المحشور داخله.

في كلّ مرّة أنظر فيها إلى صور الضحايا، ينتابني شعور بأنّني أعرف وجوههم جميعاً. كما لو أنّ أحدهم مرّ في ذاكرتي أو التقيت بهم دفعةً واحدة في زمنٍ آخر. كما لو أنّ كل ما حدث هو تكرار لقصة واقعة مسبقاً بيننا، ولذكراها المهولة لم ننسها. في كلّ مرّة أنظر فيها إلى صور الضحايا لا أرى إلا تكراراً للتاريخ. هذا ما لا يُنسى أبداً. لم يبقَ شيء في ذاكرتي من ذلك النّهار غير ذلك. لم أعد أذكر المشاهد جيّداً، غباش يسود على ذاكرة المجزرة.

بعد الانفجار بساعات، بدأت الأصوات تُمحى من رأسي. لم أعد أسمع البكاء الذي أتى من مستشفى الخوري، ولا صوت الطائرة التي راحت تحوم حول المرفأ في دوائر وكأنّها تقوم بمراسم التّطهير الاعتيادية. ترشّ الماء على الضحايا رشّاً. ولم أعد أسمع صوت انهدام كنيسة الجميزة، وقف المسيح بلا يده في الكنيسة، حملها عامل البناء مثل عبءٍ ضائع. كل شيء بدا ضائعاً في بيروت، ليس فقط الأماكن بل النّاس أيضاً. ولا أعرف، صدقاً لا أعرف كيف كانت لنا هذه القدرة الهائلة على تحمّل كلّ هذا الألم. حتّى الضور والمشاهد صارت غباشاً. إلّا صورة واحدة أرسلها لي صديق من أمام «مسرح المدينة». كانت يد في الأرض، على زاوية مدخل المسرح. أرسلها مسرعاً، وكتب لي عليها «يد عمران».

إذا فكّرنا في البلد وفي حالنا، سنصل إلى نتيجة واحدة، أننا ورثنا الحرب والموت والهزائم وأن الأزمان كرّرت ذاتها بذاتها. لا شيء تغيّر. سنعيد الخسائر ذاتها ولكن بهيئة الوقت والزمن الذي نعيش فيه. الحرب في 1975، ثورة 15 مارس، اتفاقات الهدنة في مصر عام 1949، غزو 2003 في العراق، حتّى الأنظمة التي أسقطناها وتلك التي كبرت على حسابنا ستعاود حالها. أشاهد بيروت في «همسات» الفيلم الذي أخرجه مارون بغدادي عام 1980، وأنظر إلى بيروت الآن. لا فرق في المشاهد والدّمار. هذا تكرار مخيف للأحداث، وتكرار لذات النّظام. النّظام الذي قتلنا واحداً تلو الآخر، قتل آباءنا وصنع منهم زهوراً، لنعبر فوقهم بخفة ونعيد الكرّة.

منذ أن لم يسقط النّظام بعد الحرب الأهليّة، كان علينا توقّع كل الحاصل. ومنذ أن لم يسقط النظام بعد انفجار المرفأ، كان علينا توقّع كلّ الحاصل والمجازر الآتية بعد. بيروت مدينة الفانتازيا، ليست مدينة عاديّة بالمرّة. هذا صدقي الأكبر في الحياة. صارت بيروت مدينتنا يا آية. لذا، بالأمليّة يا مدينة ارأفي بنا.

الآن، بعد مرور سنة صرت أتذكّر الأشياء دفعة واحدة. كان كل شيء تروما مؤجّلة. الحمرا، الشيّاح، حديقة الضنايع. أتذكّر الشوارع التي لفقتها في ليالي الخميس وكل الزجاجات التي تركناها فارغة على رصيف الجميزة. أتذكّر الحبّ الذي وقعت فيه في بيروت ولم يحدث مثله في مكان آخر. أتذكّر الآن كل شيء دفعةً واحدة، وأصدّق أن بيروت لم تعد صالحة لكل هذا. بيروت فقط، لتكرّر الأزمان الرديئة.

* بيروت/ لبنان

ارا أوشاغان ــ «مشروم ذاكرة بيروت 56» (طباعة صبغة ارشيفية على ورق فني ناعم ــ 50,8 × 71,1 سنتم ــ 2018 ــ 2021)

ترجمة

ماتياس إينار في قلب «فرنسا العميقة»

باسك مهدي

في روايته الأخيرة «المأدبة السنوية لأخوية حفّاري القبور» الصادرة عن «دار أكت سود» الباريسية (2020) والمترجمة أخيراً إلى العربية عن «منشورات الجمل» (2022، ترجمة الزميل محمد ناصر الدين)، يأخذنا الروائي الفرنسي ماتياس إينار (1972) إلى قلب «فرنسا العميقة»، فرنسا الداخلية التي قلّما يعرفها السياح لبيت الفوضى المبهجة في ريف مقاطعة الدو. سيفر المنسي. العمل يشبه إلى حد ما الوجه الخفي لماتياس إينار، الروائي الأكاديمي وأستاذ ومترجم اللغة العربية، الحائز جائزة «غونكور» عن روايته «بوصلة» عام 2015. بعدما حملنا بين محطات التاريخ العاصف لحوض المتوسط والمسكون بدوامات العنف المتعاقبة في «زون» (2008)، ثم انتقل بنا إلى أجواء القسطنطينية في القرن السادس عشر في رواية «حدّثهم عن المعارك والملوك والفيلة» (2010)، وإلى أجواء الربيع العربي وتداعياته من المغرب إلى برشلونة في «شارع اللصوص» (2012)، يعود إينار في عمله الروائي السابع إلى «المنزل» إذاً جاز التعبير. نوع من العودة إلى الجذور للكاتب الذي ولد ونشأ في هذه المنطقة من غرب فرنسا: «لأنها منطقة تركتها قبل ثلاثين عاماً وكل كتبي تتحدث عن وجهة ما بعيدة، أردت أن أعود إلى هناك من باب الأدب، وبعد ذلك أدركت كروائي أنه حقّاً مكان شديد الغرابة، منطقة ذات جغرافيا غير متوقعة ومتمثلة بقصص مزارعين اسم «الفكر البري» في إحالة إلى كتاب شتراوس الشهير. ويركب دراجة بخارية قديمة متهالكة يجوب بها الريف، ويبدأ التواصل مع السكان لإجراء مقابلات أطروحته انطلاقاً من «مقهى الصيد»، المتجر الوحيد في القرية، حيث يلتقي عمدة القرية ومتعهد الموتى فيها، وهي المهنة التي يصفها الراوي بأنها الأقدم في التاريخ «حتى قبل المهنة الأخرى»، إلى جانب زوجين من الإنكليز المتقاعدين، ورسام بمخيلة جنسية شبقة، وبستانية مناضلة من أجل البيئة ومناهضة لخطط الحكومة لإنشاء السدود الاصطناعية في الناحية المليئة بالمستنقعات الطبيعية. يتعرف مازون إذن إلى جيرانه وعاداتهم في الصيد ولعب الورق (يفرد صفحات كاملة لتفاصيل لعبة البيلوت بين رواد المقهى) والمعيشة والترفيه، لتبدأ المركزية الباريسية الباعثة على الاعتداد بالتراجع في داخله. يترك عالم الإناسة موضوعه الأكاديمي شيئاً فشيئاً حين لم يعد ينجح في الحفاظ على مسافة الحياد الضرورية الخاصة بأي دراسة ميدانية، وتدفعه المغامرة إلى تغيير علاقته بالعالم والطبيعة ومشاريع حياته وتتحول إقامته الدراسية إلى تجربة تمهيدية ستتخذ شكل العودة إلى الأرض.

نادراً ما نعثر في الأدب الحديث على كتاب مبهج حول الموت

أسلوبياً، لم يلتزم إينار بالشكل التقليدي للرواية من تمهيد لحبكة تتصاعد فصولها وتنحل شيئاً فشيئاً في نهايتها. لكن يمكن تقسيم الرواية إلى محطات ثلاث، تبدأ بمذكرات مازون حول محاولات تأقلمه مع بيئته الجديدة والمنطقة الريفية ومراسلاته الإلكترونية الإيروسية مع صديقته الباريسية. والمحطة الوسطى هي المأدبة السنوية لأخوية حفاري القبور التي يتولى عمدة القرية تنظيمها هذا العام في الدير الذي سكنه رابليه لفترة من حياته. يتنادى كل متعهدي دفن الموتى في فرنسا إلى وليمة مادية عامرة بكل أنواع اللحوم والأسماك والمقبلات والحلويات والفطائر والخمور، بحيث يمكن اشتقاق معجم إيثيمولوجي فعلي من الرواية لكل نوع منها، لكنها كذلك مأدبة وفكرية. إذ يتوجب على وجهاء الحفارين استحضار الموت كمادة للضحك والحب والحداثة ولبيئة وحقوق النساء في الإنتساب للأخوية والفكاهة والفلسفة كخطابات مطولة في أيام المأدبة الثلاثة حيث تُعقد هدنة مع الموت، «راعي الأخوية وشفيعها».

المحطة الثالثة والأخيرة هي وقوع مازون في غرام المناضلة البيئية وهجره لصديقته الباريسية للانتقال مع «لوسي» لاستثمار ملكية مهملة لوالدتها ومشاركتها إنتاج بقول وفواكه ومنتجات عضوية صديقة للبيئة. في ثنايا السرد، يعود ماتياس إينار ـ وأحياناً عبر لوحات منفصلة يطلق على كل واحدة منها عنوان «أغنية» ـ إلى التاريخ المضطرب والمتضارب للمنطقة، من خلال تصوير قصص الفروسية في الماضي البعيد، مروراً بمذابح الكاثوليك والبروتستانت والمعارك مع عبد الرحمن الغافقي، وصولاً إلى جرائم الشرف والمذابح النازية.

ضربة المعلم التي استخدمها إينار للسفر في الزمن بسلاسة في ثنايا الرواية، تتمثل في توظيف مسألة التقمص أو الاستنساخ التي يسميها «العجلة». يقول في أحد حواراته إنه اطّلع عليها من الفكر الشرقي القديم واحتكاكه ببعض الموحدين الدروز في سوريا. إذ عندما تترك «الروح» جسداً عند الموت، تجد على الفور «وعاءً» آخر، في الحاضر أو الماضي، في الإنسان أو الحيوان أو الحشرات التي يراها مازون في حوض الاستحمام في منزله. وهو ما يمكّنه من الانتقال بسلاسة في الرواية تقديماً وترجيعاً بين الشخصيات والأحداث، وما يسمح باستعراض تاريخ المنطقة على مدى القرون الخمسة الماضية، كما لو كنا نفتح كتيباً رائعاً أمام أعيننا ولا يفوتنا أن نعثر في خلفية العمل على روح الدعابة والذكاء للكاتب. نرى الظلال الصغيرة لأسلاف من يلتقيهم، وهم ينزلقون بالتناسخ كخنزير أو قطة أو كبقّة الفراش التي تغرز إبرتها، في الأول من تموز (يوليو) عام 1815 في ساق نابليون بونابرت في فندق «في تيور». هذا التلاعب بالزمن قد يجبر القارئ أحياناً على التنازل عن ردود أفعاله كقارئ عقلاني، إلا أن الرواية تظل حتى السطر الأخير مشحونة بالمعنى والمتعة: من الملاحظات الساخرة حول التضاد بين الحياة المركزية الباريسية والأنماط الريفية الاجتماعية والثقافية، مروراً بالعمق التاريخي الذي يغني القارئ، انتهاءً بالمرح والعمق الفلسفي في تشريح الموت على مادية حفاري القبور السنوية. النقطة الأخيرة هي ما تعطي رواية إينار كل فرادتها: إذ نادراً ما نعثر في الأدب الحديث - في السنوات الأخيرة على الأقل - على كتاب مبهج حول الموت. لذلك يستثمر إينار كثيراً في التراث الأدبي الإغريقي واللاتيني والفرنسي القديم، من أدب سينيكا وخطابات بوثيوس وأدب الحروب الصليبية وشعر فرانسوا فيلون وأنشودة رولان، إلى قصص الكرنڤال التي تقاوم الألم الموت من خلال الاحتفال بالضحك والحياة، إضافة إلى استحضار فانتازيا غارغانتوا التي يوظفها أحد الحفارين في خطابه في فرحة فاضحة ومجون فاقع في وجه محدودية الإنسان عندما ننظر إلى هذا الكون من مسافة كافية للتأمل، يمكننا أن نرى بوضوح كم فقدنا رؤية الروحية، والعلاقة مع الطبيعة، والانتباه إلى التنوع البيئي والحيواني. بعدما عشت في المدينة لبقية حياتي، نسيت أن هذه الأرياف لديها أيضاً قصص تروى، وكلما نقبت في تاريخها وحاضرها، قلت لنفسي إنها كانت أرضاً رومانسية بشكل لا يصدق».

نجح إينار إذن في العودة إلى جذوره من رواية تختلط فيها المتعة بالأدب ولو من باب الموت الذي يبدو أبيقاً حين يردد الحفارون مثلاً، في أحد طقوس المأدبة، أسماءه التسعة وتسعين في قالب طريف للغاية. لكن الموت في المقاطع التي يعطيها الكاتب عنوان «أغنية» يخرج أحياناً من تجريديته ويغرز خنجره في القلب، كما في قصة إستير التي تعود بعد سنوات من الحرب الثانية لزيارة القبو الذي أعدم فيه النازيون أطفالها الثلاثة: «لم تقدر إستير أن تمنع نفسها من أن تتبع الشاب إلى داخل المسلخ. مربّعان قديمان وقذران من الخزف، أرض محدّبة من الأسمنت، مع أخاديد وبوابة شبك صغيرة. عوارض من معدن، وحواجز كما في السيرك أو الملعب. رأت بما فيه الكفاية. تريد الخروج. تختنق. ما من هواء هنا. ما من ضوء. صرخات فرح. هتافات فرح. ماما، ماما، وجسمها فجأة ممسوك بستّ أيادٍ، ستّ أذرعة، ثلاثة وجوه تتلصق إزاءها، الحرارة الخانقة للسعادة، المتعة البسيطة للمستحيل في وضوح المعجزة، الأول الذي يقول، ماما، لقد نمتُ جيداً، والآخر الذي يضيف، ماما أنا أيضاً نمتُ جيداً، ظننتُ أنّي في الفردوس، همس الثالث، وما أجملها وإستير تبكي، تبكي من الفرح، وكيانها كله هو الذي يبكي من الفرح في هذا المسلخ المتحول بفعل حضور نيكولا، بفعل النور العظيم للحاضر. بالطبع لم تعد تسمع شيئاً آخر، لم تعد تسمع ما في الخارج، لم تعد تسمع الجندي، لم تعد تسمع الطبيب، وراسها اصطدم بشجرة الكستناء بقوة جعلتها تقضي على الفور، لم تعد تسمع الجندي، لقد كنت محظوظة بأن سقطت فوق العشب، لم تعد تسمع المزارع الممزق بالزجاج الأمامي المتداعي، نعم، محظوظة، هي لا تسمع، ولا تتكلّم؛ وجدوا في جيب قميصها صورة شمسية بقياس خمسة سنتيمترات، بحواف مدببة، منقوشة الخلفية بكتابات طفولية. لا أحد على الإطلاق يموت من زملائي مزارعين أو رعاة.

رواية

جزوالدو بوفالينو: دروس على مشارف المقصلة

سارة سليم

الإعدام! يا لها من كلمة مريعة! هل فكّرت يوماً كيف سيكون شعورك قبل ساعاتٍ من إعدامك؟ وما هي المشاعر التي يُمكن أن تخالجك في لحظاتٍ حرجة تتأرجح فيها روحك ما بين الموت كسراب والحياة كحقيقة، ما بين الوجود كفكرةٍ لا يمكن القبض على تفاصيلها والعدم كفكرةٍ لا وجود لها؟

في تلك اللّحظات، تتوحّد المشاعر لتستدعي شريط حياةٍ بكاملها سينتهي عند المقصلة. حفر الإيطاليُّ جزوالدو بوفالينو (1920-1996) في روايته «أكاذيب الليل» (1991) مشهد ترقّب الإعدام عميقاً في الذّاكرة، وبرع في ذلك... تلك البراعة القصوى التي لا تتأتّى بإجادة الأشياء بعد محاولاتٍ عدّة، بل بإجادة وصف ما تجهله، حتى إنّه خلق في الموت روحاً تترقّب النّهاية بكل ما أوتيت من حياة. لا شكّ في أنّ الموت سيظلّ موتاً، ولكن أن تعرف ميقاته، استعداداً له، سيخلق رهبة وشعوراً لا يمكن القبض على تفاصيله ولا شرح كُنهه: «هُناك نحنُ الذين نحسبُ أنفسنا أبطالاً، وهُناك أنت الذي تُفاخِر بالرّضا عن كلّ تجربةٍ غير مألوفة، مع أنّ الموت تجربةٌ بستطيعُ حتّى العاجزُ منّا القيام بها». بلغةٍ فريدةٍ ووصفٍ غير اعتياديٍّ، فلسف جزوالدو بوفالينو فكرة الموت والوجود ومؤغلة في التّراث، لكنّها في الوقت نفسه تحمل هموم الحياة الرّاهنة، فهي تجدّد نفسها بنفسها، وتستكشف أفكارها في كلّ مرّةٍ تعبّر فيها عن زمن ما. ربّما هنا، وفي هذه الرّواية بالتّحديد، يمكن القول والتّسليم بادب عالميٍّ ورواية عالميّة، لأنّ عالميّة الأدب تُبرز في مدى قدرته على التّعاطي مع أيّ زمانٍ ومكانٍ دون أيّ صعوبة.

برع جزوالدو في الاقتراب من شخوصه وفي وصف تكوينهم النّفسيّ وصفاً يكاد يكون تشريحيّاً، كما أنّه حين تطرّق إلى الجنس، ارتقى بالصّورة في ذهن المتلقّي كفعل يمرّ ضمن أفعال طبيعيّةٍ كثيرة ولا ينزلقُ إلى الابتذال أو استدرار الإثارة.

حكى جزوالدو على ألسنتهم مصائرهم وتفاصيل حياتهم، مع أنّه من المستحيل أن يناقش الإنسان وهو على مشارف الموت مسألة الوجود والعدم، بل سيسيطر عليه الخوف وتتجمّد كلّ مشاعره في ذلك الخوف، لكن راح كلّ واحد من أبطاله يحكي للبقيّة قصّة حياته بلغةٍ صادقةٍ تشبه تلك الأوقات التي نختلي فيها بأنفسنا، كي نخبرها عنّا بكلّ ما يمكن أن نحمله من فظاعةٍ نستحي تقاسمها مع الآخرين. لكنّنا في المقابل نصوغ لأنفسنا الكثير من المبرّرات التي قد تكون موضوعيّةً من وجهة نظرنا، ولكنّها ليست أكثر من وهم يقود في النّهاية إلى المقصلة. تقول الرّواية: «شكراً يا ترنّشيرو على تذكيرنا بالحُبّ والموسيقى وضوء القمر؛ وعلى أنّنا... مع أنّ بعضنا ربّما كان يبحث، في هذه اللّحظات الأخيرة، عن أفكار أكثر جدّيّة». إنّ مضامين هذ الرّواية تسبر أغوار المعاني كلّها، وتجعلك تبحث ما بين السّطور كي تستبين توريّاتها. في عبارةٍ ترد في هذا العمل، عبارة راسخة الجمال، يصف الكاتب المشاعر التي يمكن أن يختبرها الإنسان في أوّل تجربة حبّ، تلك التّجربة التي يدوم وقعها حتى آخر لحظةٍ في حياة الإنسان. يقول متحدّثاً عن محكوم بالإعدام منهم نسي كلّ النّساء اللّواتي عرفهنّ وتذكّر فقط أوّل امرأةٍ عرف معها معنى الحبّ: «وقعتُ، بعد ذلك، في حُبّ أخريات؛ وفي مرّاتٍ أخرى، وأكثر ممّا في تلك المرّة، أذهلتني وفرةُ سعاداتي. ولكن تلك فحسب، وليس ليالٍ أخرى، ساتذكّرها بعد أربع ساعات، تحت شفرة المقصلة».

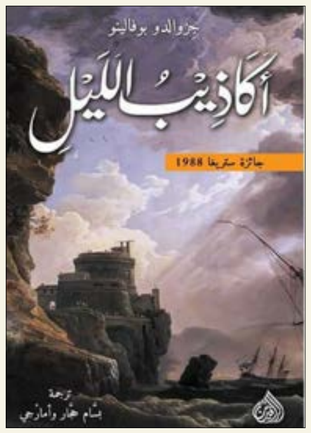

لغة موغلة في التّراث، لكنّها تحمل هموم الحياة الراهنة

ومع أنّ النّصّ يغوص في فلسفة الوجود إلّا أنّه يشبه قصيدةً شعريّةً عصيّة، قصيدةً لا يمكن أن تمنح الغازها لكلّ عابر من أوّل قراءةٍ بسيطة، ويمكن القول بأمانةٍ إنّ المترجمَين، الشّاعر اللّبنانيّ الراحل بسّام حجّار (1955-2009) والشّاعر السّوري أمارجي، قد حوّلا النّصّ إلى تحفةٍ أدبيّةٍ تعيدك بسحر بلاغتها وفرادة لغتها إلى نصوص التّراث. إذ شرع حجّار في نَقْل هذا العمل إلى العربيّة عن الفرنسيّة، ولمّا كان المخطوط الذي عُثر عليه بين أوراقه غير مكتمل، زُهاء ربع الكتاب فحسب، تولّى أمارجي إكمال ترجمة الرّواية عن لغتها الأصليّة. تعامل كلّ من أمارجي وحجّار مع النّص الأصل بحرفيّةٍ عالية وبحساسيّةٍ شعريّةٍ قلّ مثيلها. ومن حظّ القارئ العربيّ أن هذا النّصّ وقع بين يديهما قبل أن يقع بين يدي مترجم آخر، ربما كان سيشوّهه بلغةٍ ركيكةٍ ومستهلكةٍ وبعباراتٍ مفكّكة لكثرة استخدامها ما عادت تقول شيئاً.

لقد جمعت هذه الرّواية المترجمة بشكل مذهل فرادة الشّعر وقوّة التّرجمة اللّتين تستحقّهما عبقريّة جزوالدو بوفالينو في تقديمه دروساً في الحياة على مشارف المقصلة.

نقد

سلمان زين الدّين في مهبّ الرّواية العربية

عبد المجيد زراقط

صدر للشاعر والنّاقد سلمان زين الدين كتابان نقديّان هما: «في الرواية العالمية» و«في الرواية العربية» (دار الفارابي للعلوم ناشرون ـ بيروت). يتضمّن كلّ منهما خمسين مقالة نقدية لخمسين رواية صدرت أخيراً عن دور نشر لبنانية وعربية. يمثّل هذان الكتابان، من نحو أول، وثيقة تاريخية، تقدّم معرفة، أولاً، بواقع الرواية العربية وواقع الترجمة الروائية في الوطن العربي، وثانياً، بمئة روائي عربي وعالمي وبإنتاج كلّ منهم؛ إذ إنّ المؤلّف بدأ مقالته، بتعريف موجز بصاحب الرّواية وإنتاجه.

يمثّل هذان الكتابان، من نحو ثانٍ، أنموذجاً للنقد الأدبي الصحافي، المتمثّل في مقالة قصيرة يتّسع لها الحيّز الذي تُتيحه الصحيفة اليومية للنقد الأدبي.

في ما يأتي، نحاول تقديم معرفة بهذه المقالة، في أحد الكتابين، وهو «في الرواية العربية»، هو الكتاب الثامن للمؤلّف في النقد الروائي. بهذا الكتاب يكون مجموع الروايات المقروءة في الكتب الثمانية ثلاثمئة وستين رواية (ص 9). وهذا رقم يدلّ على سعة معرفة زين الدين بالرّواية العربية والعالمية، ومدى تتبّعه لتطوّر الحياة الروائية العربية والعالمية. ومن الأدلّة على ذلك، تنشر، على سبيل المثال، إلى حديثه عن خمس عشرة رواية عربية تستلهم الأسطورة، لدى تمهيده للكلام على رواية سليم بركات «ميدوسا لا تسرح شعرها» (ص 172و173). كما نُشير إلى تصنيف الروائيّين، وفاقاً للقضية المركزية في رواياتهم، كقوله «مي منسّى روائية الوجع بامتياز» (ص 184).

المقالة النّقديّة الصحافية، في هذا الكتاب، كما قلنا قصيرة، لغتها سهلة، معجمها معجم اللّغة المتداولة، عباراتها قصيرة، بسيطة التّركيب، تبدأ بتعريف موجز بالروائي وإنتاجه، وموقع الرواية موضوع المقالة في هذا الإنتاج. وتدخل إلى نقد الرواية من عتباتها، من العنوان، فعنوان رواية «اختفاء السيد لا أحد» لأحمد طيباوي، على سبيل المثال، دالٌ على قضية الرواية المركزية، وهي «عالم مرجعي يقطنه المهمّشون... » (ص 19). وعنوان رواية «الباشاكاتب» لأمين الزاوي، دالّ على «قدم البنات الحكم» (ص 60)... ويُثير العنوان، في مقالات، سؤالاً تكون إجابته موضوع «العجالة» (ص 199)، ما يشوّق القارئ إلى متابعة القراءة، وكثيراً ما يبدأ النّقد بمثل هذا السؤال المشوّق. ويتوقّف الناقد لدى عتبات أخرى، ومن نماذج ذلك، الإهداء في رواية «مدينة أبي» لكفى الزعبي، وهو: «إلى ناهض حتر وآخرين...» فيقول: «نستنتج أن عتبة الإهداء تشكل مفتاحاً مناسباً للنص». كما أن التصدير، وهو لأدونيس، «يفضي إلى المدينة المقصودة» (ص 300 و301).

وإذ تبدأ المقالة بما يشوّق، يأتي العرض، ويشمل، كما يقول المؤلّف، التوامين «الحكاية والخطاب اللذين تشكّل منهما الرواية» (ص 8). ويبدو أنه يقصد بالحكاية أحداث الرواية وبالخطاب رؤيتها، فنقرأ على سبيل المثال قوله: «هذه المادة الروائية/ الحكائية يضعها حمادة في خطاب روائي يزاوج بين التقليد والتجديد... » (ص 225). وفي هذا السياق، نجده يستخدم مصطلحَي الأحداث الفعلية والأحداث النصية. وفي سبيل تحديد المصطلحات بدقّة، نقول: في المنهج السردي، مصطلح الحكاية يعني المادّة الأولية، ما يسمّيه هو الأحداث الفعلية، ومصطلح القصّة يعني الأحداث والشخصيات، ومصطلح الخطاب يعني المنظور الروائي والفضاء: الزمان والمكان.

وإذ يُتبَع العرض بنتهي إلى حكم، فيقول، على سبيل المثال: «انطلاقاً ممّا تقدّم... رواية جميلة تستحقّ القراءة...» ص(113) . ويقول في حكم آخر: «ما يجعل من الرواية شهادة فنية على مرحلة تاريخية... وما يجعل من الروائي، مؤرّخاً فنّياً بامتياز» (ص 39). غير أنّ بعض هذه الأحكام تبدو مطلقة، مثل قوله عن إحدى الروائيات في بداية المقالة: «هي شهرزاد الرواية العربية بلا منازع». وتتويجه لها في نهاية المقالة: «وتستحقّ أن تتوّج شهرزاد الرواية العربية بامتياز» (ص. 245 و253).

العرض وصفي يقدّم معرفة بالحكاية والقصّة والخطاب، ونقدي، فيسأل، على سبيل المثال، في ما يتعلّق ببناء الشخصية: «كيف يستقيم الموقف المتعاطف مع المظلوم مع حبّ الظالم والحماسة له». ويقول عن بناء الرواية: «ما يجعلنا إزاء حكايتين منفصلتين في الرواية الواحدة، لا يجمع بينهما سوى الحيّز الورقي...». وعن الحوار : أكبر من مرحلة الشخصيات الدراسية والعمرية، ويرى أنّ بعض الوحدات السردية من قبيل «لزوم ما لا يلزم» (ص337 و79 و191و37). ويصنّف الروايات في اتجاهات: حديثة، واقعية سحرية، غرائبية، تقليدية، نصّ متنوع... كما يرى إلى تميّز بعضها ببلغتها الشعرية، أو باعتمادها «كوكتيلاً لغوياً». ويُثير مسألة النوع الأدبي، فيناقش الفرق بين الرواية والسيرة، والعلاقة بين الرواية والأسطورة... ويرصد التناص، ويتبيّن، في مسار عملية النقد، القضايا المركزية التي تتمثّلها هذه الروايات من مرجعها، وتمثّلها نصاً روائياً كاشفاً ورائياً. من هذه القضايا نذكر: الواقع العربي المعيش وتحوّلاته ومشكلاته: المهمّشون، واقع المرأة، علاقة المثقّف بالسلطة، الاستبداد والفساد، ما أفضى إلى قيام ما سمّي بالربيع العربي. الحروب في الوطن العربي: في لبنان وسوريا والعراق، والهروب من جحيمها، وعيش الغربة المزدوجة في الوطن وفي المنفى، القضية الفلسطينية والمقاومة في الجنوب اللبناني، انتفاضة 17 تشرين اللبنانية، الوجود وجوداه، التاريخ العربي...

وهكذا، كما يُفيد ما سبق، يمثّل هذا الكتاب وثيقة أدبية ونقدية تاريخية، وأنموذجاً للمقالة النقدية الأدبية المتميّزة، فيليق، بهذا، حاجة ماسّة للحياة الأدبية العربية.

يناقش الفرق بين الرواية والسيرة، والعلاقة بين الرواية والأسطورة

لمحات

سيمون كريتشلي

ما الذي يجعل كرة القدم، دوناً عن كل الألعاب الجماعية الأخرى، جذّابة وشعبية إلى هذه الدرجة؟ هل ما تتضمّنه من معايير لها علاقة بالطبقة أو العرق أو الجنس؟ هل خلف ذلك علاقتها بالهُويات الوطنية أو الإقليمية أو القبلية؟ يعتقد الفيلسوف الإنكليزي سيمون كريتشلي أن وراء ذلك كل هذه الأمور وأكثر. في كتابه «فيمَ نفكر حين نفكر في كرة القدم؟» (2017) الصادر حديثاً بنسخته العربية عن «مدارات» (ترجمة محمود عبد الحليم)، يسعى كريتشلي إلى فهم ما هو جميل في اللعبة من منظور فلسفي. بعيد اكتشاف كرة القدم كلعبة اشتراكية تعبر عن روح الجماعة وتاريخها الطبقي، وكيف تمثّل اليوم أداة من أدوات الرأسمالية.

راند وحش

مجموعة جديدة صدرت للشاعر الفلسطيني راند وحش بعنوان «كتاب الذاهبين» (منشورات المتوسط). تقارب القصائد ثيمة الموت من عدة زوايا، وصورته في الدين والفن والأساطير.

المجموعة أقرب إلى بحثٍ شعريّ يتساءل حول إن كان للموت من جسد وملامح وشخصية. هل ثمة حقّاً سيناريو مرسوم سلفاً لرحلة الميّت إلى عالم آخر؟ تأتي كل هذه الأسئلة وغيرها من أجل الوصول إلى خلاصة ترى في الموت ليس مآل الأشياء، فحسب، بل أصلها، فكلّ ما يولد يأتي منه، مثلما أنّ كل ما يذهب يمضي إليه. وهكذا يغدو الموت صانعاً للحياة ومفتاح الوجود الأول والأكبر.

هايدن وايت

في كتابه «ما بعد التاريخ: الخيال التاريخي في أوروبا القرن التاسع عشر» (1973)، يحلّل المؤرخ الأميركي هايدن وايت البنية العميقة للخيال التاريخي للقارة العجوز في تلك الحقبة، بهدف تقديم منظور جديد حول الجدل القائم عن طبيعة ووظيفة المعرفة التاريخية. في الكتاب الذي صدرت ترجمته أخيراً عن «المشروع القومي للترجمة» (أنجزها أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر شريف يونس)، يرجع فيه المؤلف إلى تجارب ثمانية مؤرّخين من مدارس مختلفة من بينهم نورثروب فراي، وكارل مانهايم، وستيفن بيبر ورومان جاكبسون. ويدرس الخيال التاريخي من وجهات النظر الأناركية والراديكالية السياسية وكذلك السياسات المحافظة والليبرالية.

احمد حنيطي

«الحركة الطلابية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة» دراسة للباحث أحمد حنيطي، صدرت حديثاً عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية». يربط الكاتب هنا تراجُع الحركة الطلابية داخل فلسطين بتراجُع الأحزاب السياسية والحركة الوطنية الفلسطينية بصورة عامة، ويلقي الضوء على البنية الاجتماعية التي تعمل فيها الحركة الطالبية الحالية. الدراسة تمتد إلى تاريخ الحركة ما قبل أوسلو وحتى الوقت الحالي. في سبعة فصول، يتناول علاقة الحركة الطالبية بـ: مقاومة الاحتلال والانقسام الفلسطيني وعولمة الجامعات وخصخصة التعليم، ويخصص فصولاً لوضع المرأة، وآخر للحركة في جامعة بير زيت.

إيكا كورنياوان

يمكن وصف رواية «الرجل النمرة»، التي انتقلت أخيراً إلى العربية (الكتب خان ـ ترجمة أحمد شافعي) بأنها رواية جريمة. لكن ليس بالمعنى التقليدي، فالضحية والقاتل معروفان منذ البداية. تدور أحداث العمل في قرية على ساحل جاوة، وتبدأ مع القتل على يد الشاب ماريجو وهو صبي هادئ عادةً. اعترف عند استجوابه من قبل الشرطة بأنه فعل ذلك تحت تأثير الطاقة والاستحواذ على الشريحة الكبرى منه. يستشهد العمل بقضيّة شركة «أستوم» الفرنسية التي أُلقِيَ بيروتشي بسببها في السجن واتُّهم بالفساد، ما اضطرّه إلى التخلّي عنها وبيع أصولها لشركة «جنرال إلكتريك» الأميركية.

فريديريك بيبروتشي وماتيو أرون

في كتاب «الفخّ الأميركي» الصادر حديثاً عن «دار هاشيت أنطوان/ نوفل»، يروي المدير السابق لشركة ألستوم للطاقة فريديريك بيبروتشي والصحافي ماتيو آرون، قصة واحدة من أخطر قضايا الفساد التي هزّت الرأي العام في فرنسا. يعرض الكتاب الطرق التي اعتمدتها الإدارة الأميركية لإخضاع الشركات الأوروبية المتعدّدة الجنسيات بحجّة مكافحة الفساد، وكيف سعت إلى الهيمنة على قطاع الطاقة والاستحواذ على الشريحة الكبرى منه. يستشهد العمل بقضيّة شركة «ألستوم» الفرنسية التي أُلقِيَ بيروتشي بسببها في السجن واتُّهم بالفساد، ما اضطرّه إلى التخلّي عنها وبيع أصولها لشركة «جنرال إلكتريك» الأميركية.

أوراق

سنة الحيّة

زكريا محمد *

منذ ما يقرب من قرنين من الزمن، بدا للباحثين أن ثمّة دلائل ما على توقيت، أو على «صناعة وقت» ما في العصور الحجرية بدءاً من العصر الحجري القديم الأعلى (40 ألف سنة قبل الآن). فهناك تكرار لا يهدأ لمجموعات من الخطوط أو النقاط أو الأشكال التي توحي بتعداد وأرقام ما، بروزنامات ما. أي توحي بتقسيم ما للزمن بهدف السيطرة عليه.

وأهمية فهم توقيت مجتمعات بهذا البعد الزمني، تنبع من أنها تمثل نقطة البداية لفهم أفكار هذه المجتمعات ومعتقداتها. ذلك أن الروزنامات ليست مجرد تعداد شخصي للزمن الذي مرّ، أو الذي سيمرّ، بل تعكس توافقاً اجتماعياً على التعامل مع الزمن، وتقطيعه، من أجل السيطرة عليه. فليس هناك روزنامة شخصية لكل فرد، بل هناك روزنامات عامة يصطلح عليها الجميع، وتصلح لهم عموماً. ومن دون السيطرة على الزمن، يصعب الحديث عن مجتمع، وعن تنظيم، وعن مستقبل. فليس هناك مستقبل من دون الروزنامة. المستقبل هو الروزنامة. والماضي والحاضر هما الروزنامة أيضاً. بذا فالروزنامة، أي السيطرة على الزمن، هي أساس وجود مجتمع حقيقي.

بالتالي، ففهم نظام التوقيت الذي كان سائداً في تلك العصور والمجتمعات، هو نقطة البداية لفهمها وفهم معتقداتها الكبرى. وكتابي الذي أعرضه هنا «سنة الحية: روزنامات العصور الحجرية» محاولة لفك شيفرة الروزنامات التي نفترض وجودها. إنه كتاب روزنامات إذاً، لكنه كتاب معتقدات كذلك، فالروزنامات جوهر المعتقدات.

وقد بُذلت جهودٌ لم تنقطع لفهم التعدادات، لكن لم يجر حتى الآن تقديم فرض مناسب يتيح القول إنه قد حصل اختراق ما على هذه الجبهة. لكن يمكن القول إن القمر والشمس يهيمنان هيمنة شبه مطلقة على المحاولات التي جرت حتى الآن لفهم روزنامات العصر الحجري القديم الأعلى والأوسط. والحديث. وهو ما يعني أن جرى الافتراض أن توقيتنا نحن في العصور التاريخية هو الأساس الذي نفترضه لفهم توقيت مجتمعات العصر الحجري القديم الأعلى والأوسط والحديث.

لكنّ الاتجاه الأشد قوة يفترض أن التوقيت الشمسي لم يُطرح إلا مع الزراعة. فالزراعة هي التي تحوج الإنسان إلى معرفة الفصول وانقلاباتها، عبر متابعة حركة الشمس الظاهرية، كي يضبط زراعته على أساسها، حسب الفهم السائد. مع ذلك، فقد ظل هناك دوماً اتجاه يحارب بضراوة، كي يثبت أن التوقيت بالشمس كان هو السائد في هذه العصور.

والنتيجة المنطقية لطرد الشمس من قبل الغالبية من على خشبة مسرح صناعة الوقت فقد صار الافتراض أن القمر هو الأداة المتاحة الرئيسية، بل والوحيدة، أمام ناس تلك العصور لتقسيم الزمن والسيطرة عليه. ويمثل الأميركي ألكسندر مارشاك الأسطوري الاتجاه القمري أفضل تمثيل. فقد نصّب القمر ممثلاً وحيداً على خشبة هذه العصور، إذ هو بحركته المنتظمة الواضحة (روزنامة سماوية) على حد قول أحدهم، بل هو روزنامة الكون وساعته.

لكن فرضيتي المركزية في هذا الكتاب هي أن علينا، لكي نفهم روزنامات العصور الحجرية، أن نترك وراءنا صورة الكون كما عرفناها في العصور التاريخية. أي أن نتخلى عن الشمس والقمر، كأداتين مفترضتين للتزمين في تلك العصور. فالتمسك بهما يعني أننا لن نفهم الكتاب الضخم الذي خلّفته العصور الحجرية، ولن نستطيع التفاهم مع العقول التي خطّته لنا. صحيح أن القمر يبدو روزنامة واضحة وسهلة. لكن من المشكوك فيه أن القمر كان ينفع أداة توقيت رئيسية في العصر الحجري القديم الأعلى. فالتوقيت ليس تعداداً مجرداً للزمن الذي يمر، أو الزمن الذي سيأتي، بل هو تعداد مرتبط بالحياة، وباقتصادها على وجه الخصوص. وكيف سينفع القمر في اقتصاد صيادين وجامعي ثمار جوّالين؟ كيف سينفع القمر هؤلاء الصيادين في تحديد موعد هجرة سمك السلمون، وفي صيده من ثَم؟ وكيف سينفع في تحديد الحركة الموسمية للحيوانات والطيور التي يعتاشون عليها. ثم كيف سينفع في تحديد وقت شحّ المياه، أو تدفقها. وهل كان بإمكانه أن يعينه في تحديد فترة الدفء والبرد، وتحديد وقت اخضرار النبات وجفافه. والإجابة على هذه الأسئلة كلها: لا كبيرة واضحة.

لذا يجب البحث عن مرساة أخرى استندت إليها روزنامات العصور الحجرية غير القمر والشمس.

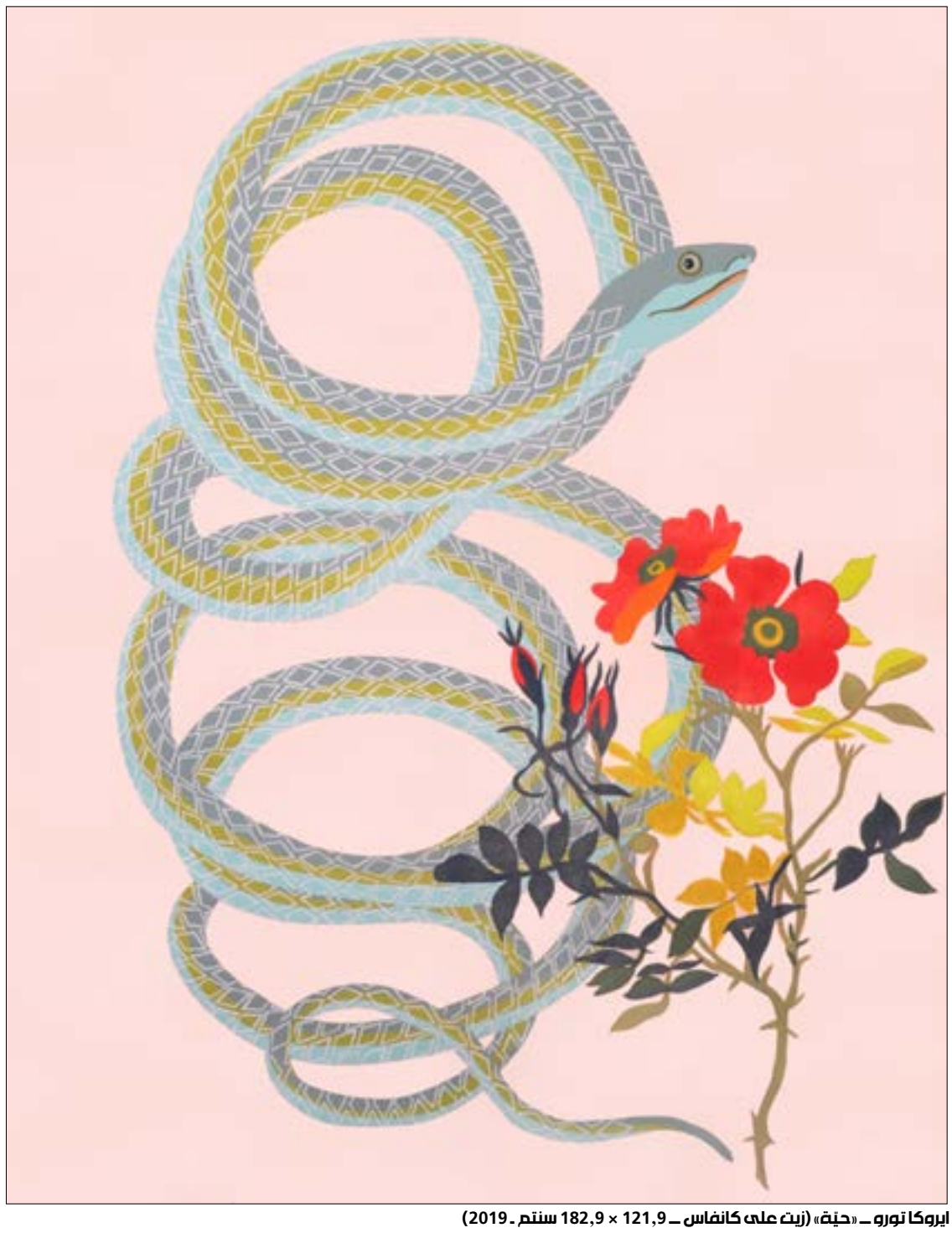

ايروكا تورو ــ «حيّة» (زيت على كانفاس ــ 121,9 × 182,9 سنتم ـ 2019)

> الحية كانت أقدم وأعظم استعارة في التاريخ البشري. إنها أمّ الاستعارات الأدبية والدينية كلها

وفرضيتي أن توقيت العصور الحجرية الثلاثة التي نتحدث عنها كان توقيتاً نجمياً- مائياً، إذ رأى أهل تلك العصور أن حركة النجوم كانت تسيطر على حركة الماء العذب في الكون، وعلى الأخص على حركة الماء السفلي. فظهور نجوم محددة كان يثير حركة الماء السفلي الكوني. فحين تظهر نجوم محددة، يخرج هذا الماء مندفعاً من الأعماق إلى سطح الأرض لكي يغذي الأنهار مثل نهر النيل ويجعلها تفيض ويجري ماؤها على وجه الأرض. لكن عندما تظهر نجوم أخرى غيرها، يعود هذا الماء من السطح، ويهبط من جديد إلى الأعماق، حيث يبيت هناك ويسكن من جديد. لذا، فللماء السفلي حركة مثل حركة الحية. فللحية فترة بيات شتوي، وفترة نشاط صيف دفء وصيف. في فترة البيات، تسكن الحية في شقوق الأرض، وفي فترة النشاط تصعد إلى سطح الأرض وتتموّج كما يتموّج الماء الصاعد إلى السطح.

لذا فقد وُعيت حركة الماء من خلال حركة الحية. استعيرت حركة الحية لتمثيل حركة الماء. عليه، يمكن القول إن أديان العصور الحجرية الثلاثة كانت ديانة استعارية لعبت فيها الحية الأهم على خشبة مسرح تلك العصور. وهو ما يعني أن الحية كانت أقدم وأعظم استعارة في التاريخ البشري. إنها أمّ الاستعارات الأدبية والدينية كلها. فقد جرى وعي حركة الكون من خلال الحية وحركتها. كما أن روزنامات تلك العصور بُنيت على غرار ما يمكن تسميته بروزنامة الحية، التي تنقسم إلى فترة بيات وفترة نشاط، أو خروج من البيات.

من أجل هذا، نجد أن الحية تهيمن على رسوم وحفائر العصور الحجرية. فالحيات في كل مكان. وهي تظهر على شكلين: حية متطوّية مترحّية متكعّكة تشير إلى فترة بيات الماء وسكونه في الأعماق، وحية منسابة متموّجة على سطح الأرض تشير إلى فترة صعود الماء من الأعماق إلى سطح الأرض، أي الفترة الفيضية.

وقد قُسمت سنة تلك العصور بناءً على ذلك إلى فترتين: فترة بيات، وفترة نشاط.

فترة البيات تساوي 243 يوماً، وفيها ينام الماء السفلي ويتطوّى ساكناً في الأعماق كما تتطوّى الحيات في بياتها الشتوي.

أما فترة النشاط، فتساوي 81 يصعد فيها الماء السفلي من الأعماق ويتدفق على وجه الأرض متموجاً كالحيات في فترة الدفء.

لذا فمجموع الفترتين يساوي 324 يوماً. لكنّ هناك شهراً آخر مشتركاً على الحدود بين الفترتين، ويساوي 40,5 يوماً. لذا فسنة تلك العصور تساوي 364,5 يوماً مقسومة إلى تسعة أشهر، في كل شهر 40,5 يوماً. وهي بذلك سنة تشبه السنة السلافية القديمة التي تتكون من تسعة أشهر في كل شهر منها 40 أو 41 يوماً.

إذاً، فسنة العصور الحجرية أقل بنصف يوم من سنتنا الشمسية المكوّنة من 365 يوماً. لكنها ليست سنة شمسية، بل سنة نجمية- مائية استعيرت الحية لتمثيل تحولاتها. لذا يمكن القول إنها «سنة الحية» لا سنة الشمس ولا سنة القمر.

وحين بدأتُ هذا الكتاب، فقد بدأت من قطعة محفورة من ناب الماموث عُثر عليها عام 1929 في قبر طفل في موقع مالتا Malta في سيبيريا، ويبدو أنها كانت معلقة في عنق الطفل، وتعود إلى فترة ما بين 20-23 ألف سنة من الآن.

على الوجه الأمامي للقطعة ثمانية لوالب، أو في الحقيقة ثماني حيات متطوّيات. الحية المركزية منها مشكّلة عبر 243 ثقباً، وهي تمثيل فترة بيات الماء. أما على الوجه الخلفي فهناك ثلاث حيات منسابات متموّجات تمثل فترة الانسياب والخروج من البيات.

عليه، فقطعة مالتا هذه مختصر مدهش لروزنامات العصور الحجرية الثلاثة ومعتقداتها. ويمكن القول إنها الإنجيل المختصر لتلك المعتقدات.

* شاعر فلسطيني

Samedi 22 Janvier 2022 no3 1ère année
السبت 22 كانون الثاني 2022 العدد الثالث السنة الأولى

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

نشرة أسبوعية مخصّصة للعدل والإنصاف

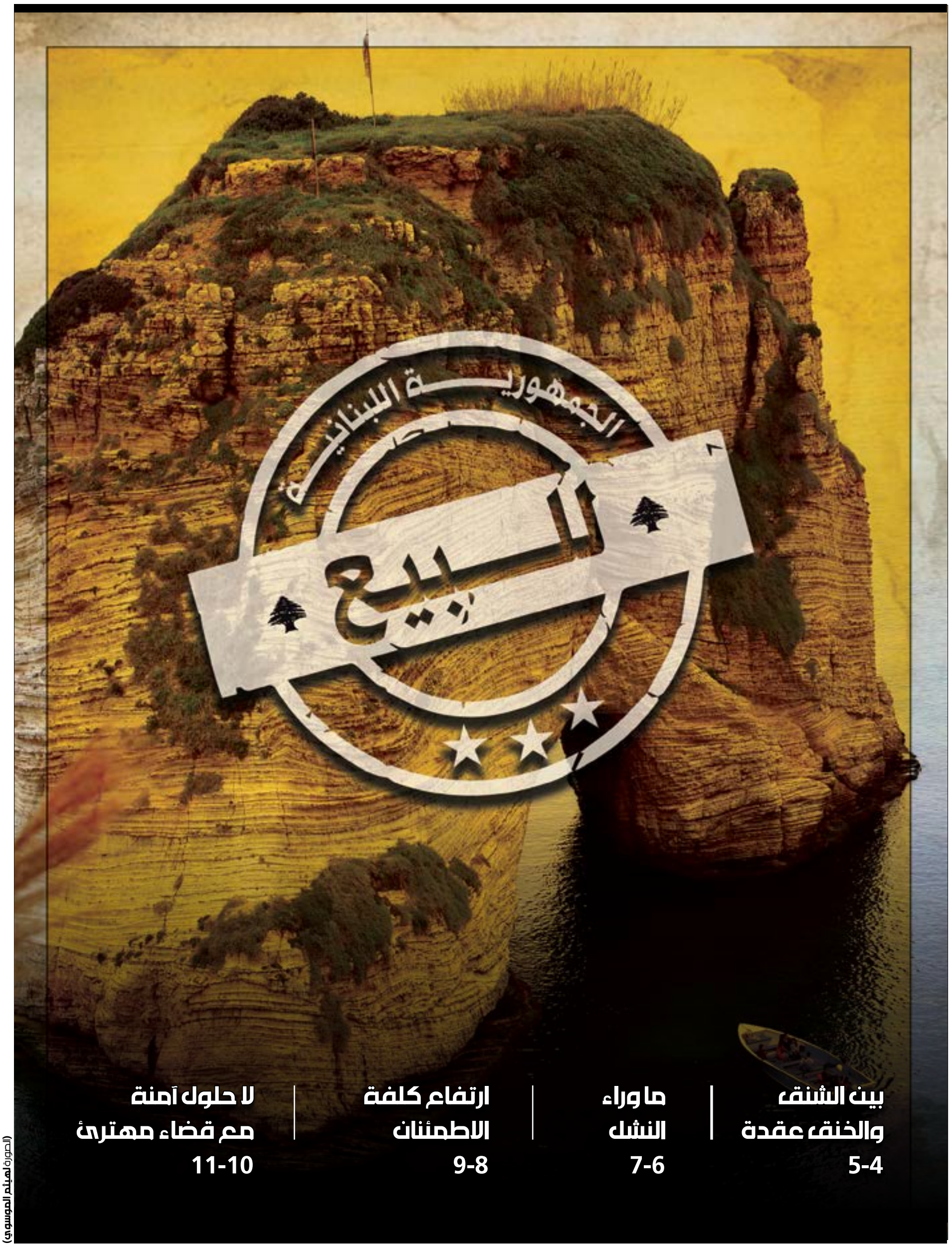

(الصورة لهيثم الموسوي)

بين الشنق والخنق عقدة 5-4
ما وراء النشل 7-6
ارتفاع كلفة الاطمئنان 9-8
لا حلول آمنة مع قضاء مهترئ 11-10

◆ سين جيم

الدستور اللبناني
89
لا يجوز منح أي التزام أو امتياز لاستغلال مورد من موارد ثروة البلاد الطبيعية أو مصلحة ذات منفعة عامة أو أي احتكار إلا بموجب قانون وإلى زمن محدود

إدارة الأملاك العامة واستثمارها
هل يمكن بيع الدولة؟

في ظل الأزمة النقدية والاقتصادية في لبنان، طالبت بعض الهيئات الاقتصادية وجمعية المصارف الدولة بـ«تحمّل مسؤوليّتها» من خلال بيع أصولها وأملاكها لسدّ خسائر المصارف الخاصّة ومصرف لبنان. وأثير موضوع إنشاء صندوق سيادي يدير هذه الأموال. فما الوضع القانوني للأملاك العامة وهل يمكن بيعها؟ ماذا يقول القانون؟ وهل سبق أن باعت الدولة جزءاً من أملاكها؟

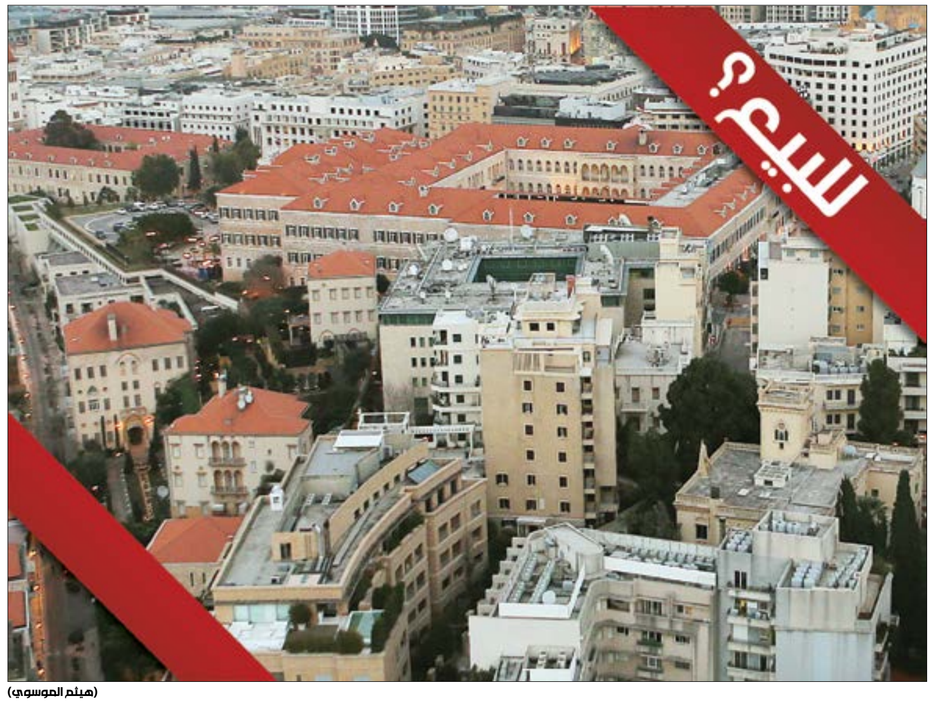

(هيثم الموسوي)

■ صادق علوية

إذا سلّمنا جدلاً بالنظرية القائلة إن الدولة تاجر واقتصادي فاشل، فهل من المنطق التسليم بأن الدولة الناجحة هي التي يستغلها تاجر سارق فيسلبها مالها وأملاكها تحت عنوان الخصخصة؟

حاول لبنان الدخول في نماذج من الخصخصة ولكنها كانت مجرد حصص طائفية ومذهبية لمجموعة من المنتفعين لم تراعِ في اختيارهم معايير المنافسة والشفافية. فمن يراقب عمليات الخصخصة ووضع دفاتر الشروط؟ لو استعرضنا أمثلة عن الخصخصة والشراكة بين القطاعين العام والخاص، سنجد أنها لم تعط النتيجة المرجوة لا للمواطن ولا لعائدات الدولة: سوليدير، ليبان بوست، ألفا وتاتش، سوكلين، المعاينة الميكانيكية وشركات مقدمي خدمات الكهرباء وغيرها. وحين قررت الدولة خصخصة تنظيف الإدارات العامة كانت الكلفة أكبر بنسبة 304%. وقد ورد في فذلكة موازنة العام 2020 أن الانتقال من نظام تنظيف الإدارات العامة عبر أجراء الدولة إلى نظام شركات متخصصة (عبر المناقصات) رفع الكلفة أضعافاً. لا نملك أرقام كلفة التنظيف بسبب غياب الموازنات طوال عشر سنوات، ولكنها كانت 4.6 مليار ليرة في العام 2006 (عبر أجراء الدولة)، وأصبحت 14 مليار ليرة في العام 2017 (بعد عشر سنوات من التعاقد مع الشركات الخاصة)، فطلبت وزارة المال آنذاك إيجاد سبل أخرى. وعندما أرادت الدولة اختراع مسمى عمّال غب الطلب لخصخصة استخدام اليد العاملة من المؤسسات العامة وإداراتها اخترعت أمراً شبيهاً بـ «وكيل أنفار» يبيع الدولة بشراً أو يبيع عمل البشر، بلا حقوق أو تقديمات اجتماعية.

في تسعينيات القرن الماضي قررت الحكومة حصر إقامة المعارض الدولية في معرض رشيد كرامي الدولي في طرابلس. قدّم عدد من المستثمرين المتضررين طعناً بالقرار أمام مجلس شورى الدولة الذي قرر بموجب قراره رقم: 459/1996 أن منح الاحتكار (monopole) إلى مؤسسة بعينها من المؤسسات الخاصة يشكّل مساساً أكيداً بالحريات الفردية، لأن منح الاحتكار يعود للمشترع وحده دون سواه. حصر إقامة المعارض الدولية في معرض رشيد كرامي في طرابلس يعني فعلياً منح المعرض المذكور احتكاراً حصرياً من دون أي منافس آخر.

استند قرار مجلس الشورى حينذاك إلى المادة 89 من الدستور التي تنص على ما يلي: «لا يجوز منح أي التزام أو امتياز لاستغلال مورد من موارد ثروة البلاد الطبيعية أو مصلحة ذات منفعة عامة أو أي احتكار إلا بموجب قانون وإلى زمن محدود». من ناحية ثانية، استثنت هيئة الاستشارات والتشريع بعض عقود الامتياز من ضرورة الاستحصال على الإجازة التشريعية فميزت في العام 2004 بين:

> الخصخصة والشراكة بين القطاعين العام والخاص لم تعط النتيجة المرجوة لا للمواطن ولا لعائدات الدولة
>
> تباع املاك الدولة الخاصة، باستثناء الذهب، بطريقة المزايدة العلنية على اساس تخمين تضعه لجنة خبراء ويمكن إجراء مقايضة على عقارات الدولة

1- امتياز المرفق العام الذي يرمي إلى استغلال مورد من موارد ثروة البلاد الطبيعية او مصلحة ذات منفعة عامة (concession de service public) الذي يحتاج إلى إجازة من السلطة التشريعية لمنحه، بالاستناد إلى المادة 89 من الدستور.

2- امتياز الأشغال العامة (concession de travaux publics) الذي يعد من العقود الإدارية التي تبرمها الإدارة وفقاً للقوانين والأنظمة المرعية دونما حاجة إلى إجازة من السلطة التشريعية.

تجدر الإشارة إلى أن مرسوم تنظيم المجلس الأعلى للخصخصة والشراكة رقم 5730/2020 قد صدر وجمع بين قانون تنظيم الخصخصة وقانون الشراكة بين القطاعين العام والخاص تنفيذاً للقانون، إلا أن هذا الأمر لن يحل المشكلة. فالنزاهة هي العنوان، لأن القوانين الرديئة بإمكانها أن تعطي نتائج مبهرة إذا كانت المبادئ سليمة.

1 هل يمكن بيع أملاك الدولة؟

أملاك الدولة العامة غير قابلة للبيع، أما أملاك الدولة الخاصة فقد حُدّدت أصول و تنظيم بيعها (مرسوم اشتراعي رقم 149 تاريخ 12/06/1959 المادة 77 وما يليها) بحيث تباع أملاك الدولة الخاصة، باستثناء الذهب، بطريقة المزايدة العلنية وفقاً للأصول المنصوص عليها في قانون المحاسبة العامة، وذلك على أساس تخمين تضعه لجنة خبراء. ويمكن إجراء مقايضة على عقارات الدولة، ولكن يجب أن يسبق عملية المقايضة كشف لجنة خبراء للتحقق من أن للدولة مصلحة في إجراء المقايضة، ولا يصبح عقد المقايضة صحيحاً إلا بعد تصديقه بمرسوم. ولكن إذا رأت الدولة مصلحة لها ببيع أحد أملاكها العامة فبإمكانها إسقاط العقار المراد بيعه من الملك العام إلى ملك الدولة الخاص، وبعد ذلك يمكنها اتباع أصول بيع ملكها الخاص. تجدر الإشارة إلى قانون صدر في العام 1986 يمنع بيع الموجودات الذهبية لدى مصرف لبنان إلا بنص تشريعي يصدر عن مجلس النواب، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة (القانون رقم 42 / 86 تاريخ 24 أيلول 1986).

2 من المسؤول عن أملاك الدولة؟

يتوجب على دائرة أملاك الدولة وعلى المأمور المكلف المحافظة على الأملاك العامة البرية والبحرية نفس الموجبات المترتبة على أصحاب الأملاك. خصّ القانون اللبناني أملاك الدولة بدائرة خاصة أسماها «دائرة أملاك الدولة»، وجعلها جزءاً من الدوائر العقارية، واعتبر أن دائرة أملاك الدولة مكلفة بإدارة أملاك الدولة الخاصة. تتألف هذه الدائرة من قلم مركزي في بيروت وأقلام معاونة في المحافظات ومن عمال وحراس في المحافظات التي يجب فيها إنشاء مثل هذه الوظائف، كما أن مأموري وحراس أملاك الدولة مكلفون تحت سلطة رئيس المكتب المعاون بأن يقوموا بأعمال الضابطة في أراضي أملاك الدولة بكل ما يخص منافع الأرض وأصحاب الحقوق فيها، وهم مكلفون أيضاً بأن يحرروا محضراً بالجرائم والمخالفات التي يتحققون حدوثها.

من جهة أخرى، تتولى دائرة أملاك الدولة الخاصة في وزارة المالية إدارة هذه الأملاك، وتقوم على الأخص بما يلي: تقييد الأملاك في سجلاتها الخاصة وتأمين استثمارها وتأجيرها وصيانتها والمحافظة عليها وملاحقة دعاويها أمام المحاكم وتمثيل الدولة في معاملات التحديد والتحرير وحق القرار وحفظ ملفاتها.

(ارشيف ـ مروان طحطح)

3 هل سبق أن باعت الدولة أملاكها؟

في العام 1964 قامت الدولة بتمليك القرى الأراضي المشاعية أو المتروكة المرفقة وقسماً من الغابات، بموجب قانون أجاز للحكومة أن تعهد إلى أحد أجهزة الدولة بإحصاء الغابات العائدة للدولة الوارد ذكرها في الفصل الأول من الباب الأول من قانون 7 كانون الأول سنة 1949، وكذلك الأراضي المشار إليها في المادة الثانية من القرار رقم 275 تاريخ 25 أيار سنة 1926 ما عدا تلك الوارد ذكرها في فقرتيها الأولى والثانية، ووضع التصاميم والخرائط اللازمة بقصد توزيع الأراضي المذكورة على القرى المتاخمة لها، وفقا لأحكام هذا القانون . وشُكّلت لجنة في العام 1949 مهمتها إجراء المعاملات اللازمة لبيع أملاك الدولة الخاصة في بيروت والأملاك المشتراة من الحكومة الفرنسية. وقد تشكلت اللجنة من: مدير المالية العام رئيساً، مدير الدوائر العقارية عضواً، مهندس الدوائر العقارية عضواً، ومهمتها إجراء المعاملات اللازمة لبيع أملاك الدولة الخاصة الواقعة في مدينة بيروت والأملاك المشتراة من الحكومة الفرنسية بموجب الاتفاقية النقدية المعقودة بين الحكومتين بتاريخ 24 كانون الثاني سنة 1949.

أنواع أملاك الدولة

أملاك الدولة وأصولها هي أموالها وعقاراتها المنقولة وغير المنقولة.

املاك الدولة العامة (publiques)

الأشياء المعدّة بسبب طبيعتها، لاستعمال الجميع أو لمصلحة عامة ومنها (شاطئ البحر، البحيرات والينابيع، مجاري المياه والمياه الجارية تحت الأرض، السدود البحرية أو النهرية، الأسلاك التلغرافية وإنشاءات التحصين والمراكز الحربية، الطرقات والشوارع والممرات والسكك الحديدية والترامويات وتوابعها، والمرافىء والخلجان والإنشاءات المشيدة للمنفعة العامة ولاستخدام القوى المائية ونقل القوة الكهربائية، وقعر وجوف المياه الإقليمية في الأملاك العامة البحرية ومنها الأملاك العامة البرية والبحرية.

املاك الدولة الخاصة (privées)

ملك الدولة بصفتها شخصاً معنوياً، أي هي ليست مخصّصة للمنفعة العامة: كالأملاك العقارية المسجلة باسم الدولة في السجلات الرسمية للإدارات العامة والعقارات الأميرية والذهب.

4 ما الفرق بين أملاك الدولة وأملاك المؤسسات العامة؟

في القانون اللبناني لا يسوغ للدولة التصرف بأملاك المؤسسات العامة، في حين تملك المؤسسات العامة صلاحية بيع أملاكها بقرار منها وعبر اتباع الأسس المنصوص عنها في قوانين ومراسيم إنشائها. ويمنح القانون مجلس إدارة المؤسسة العامة، بصورة خاصة، صلاحية «تملك الأموال المنقولة وغير المنقولة، وتعتبر الذمة المالية للمؤسسات العامة مستقلة عن الدولة، وإذا ما أرادت بيعها يكون عبر إسقاط الأملاك العامة للمؤسسة العامة إلى الأملاك الخاصة العائدة للشخص المعنوي ذي الصلة. وسبق أن أفتت هيئة التشريع والاستشارات بجواز إسقاط عقارات مؤسسة كهرباء لبنان القائم عليها معمل الزوق الحراري، من الملك العام للمؤسسة إلى الملك الخاص تمهيداً لبيعها بعد إعلان انتفاء الحاجة إليها.

5 هل تؤجّر أملاك الدولة؟

(طلال سلمان)

يمكن أن تُدار عقارات الدولة الخاصة وتُستثمر عبر عقود الإيجار التي تنقسم إلى ثلاثة أنواع: تأجير العقارات في المدن، تأجير الأراضي الزراعية، تأجير الأراضي البور والفسحات الخالية وأراضي الصيد في الأحراج. ولا يُرخَّص بالبيع أو الإيجار أو التبادل أو الاستغلال إلا وفق شروط وقواعد منصوص عليها قانوناً، غالباً ما تكون لها علاقة بضوابط المصلحة العامة، أما بالنسبة إلى منح الالتزام والامتياز لاستغلال الأملاك، فلا يجوز – بحسب الدستور - منح أي التزام أو امتياز لاستغلال مورد من موارد ثروة البلاد الطبيعية أو مصلحة ذات منفعة عامة أو أي احتكار إلا بموجب قانون وإلى زمن محدود. وقد عرف لبنان حسب هيئة التشريع والاستشارات في وزارة العدل نوعاً من العقود يسمى عقد امتياز الأشغال العامة، يتعهد متعاقد الإدارة فيه بأن يبني منشأة عامة وبأن يتولى صيانتها واستثمارها نظير عائدات يستوفيها مباشرة من مستعملي المنشأة العامة المنتفعين منها، وليس من المال العام. ولكن في كل الأحوال، تبقى أصول هذه المرافق العامة مملوكة للدولة. ومن أحدث القوانين في لبنان لتنظيم هذا الأمر قانون تنظيم الشراكة بين القطاعين العام والخاص الذي أجاز للشخص العام أن يضع بتصرف شركة المشروع العقارات العائدة للمشروع المشترك واللازمة لتنفيذه طيلة مدة عقد الشراكة. وإذا تطلّب تنفيذ المشروع المشترك استملاك عقارات خاصة، يمكن للمجلس أو لشركة المشروع أن يطلب من الشخص العام استملاك تلك العقارات، وتُسجَّل العقارات المستملكة في السجل العقاري باسم الشخص العام.

تحت القوس

سقط العدل

■ عمر نشابة

تزيد موجة الصقيع من معاناة من لا يقدر على تسديد كلفة التدفئة، خصوصاً في المناطق الجبلية. برد وعتمة في البيوت والمستشفيات والمدارس، وكذلك في المخافر والمحاكم والسجون والإدارات الرسمية.

رواتب القضاة والضباط وحرّاس السجون والموظفين لم تعد تكفيهم لتلبية حاجاتهم الأساسية. يتلكأ بعضهم في الحضور إلى مراكز عملهم، ويتقاعسون في تطبيق مهامهم وفي أداء واجباتهم الوظيفية.

كيف لا، وقد انهارت قيمة رواتبهم إلى أقل من ربعها. باتوا يعيشون في قلق دائم من عدم تغطية الضمان الصحّي كلفة العلاج الطبي لهم ولعائلاتهم، ومن عجزهم عن تسديد أقساط المدارس والجامعات لأولادهم، ومن نفاد أموالهم قبل حلول منتصف الشهر حيث تتراكم فواتير غير مدفوعة وتتعاظم الديون.

صحيح أن مؤسسات الدولة ما زالت تعمل بالحد الأدنى رغم تآكلها ومعاناتها، ولم ينهر كل شيء بعد. لكن ذلك قد لا يدوم طويلاً، إذا لم تُؤمَّن لملاك الدولة رواتب كافية وضمانات صحّية تبدّد القلق الدائم. فالقلق ونقص الموارد يُضعِفان أداء الشرطي والقاضي والمحقق والمحامي والموظف الإداري.

في المحاكم، كما في المخافر والسجون والمكاتب والبلديات وكافة إدارات الدولة، ظلام متقطّع وبطء في العمل وسمسرات متزايدة وقلق دائم.

ويبدو أن شروط سلامة الإجراءات وعدالة المحاكمات ليست من الأولويات. إذ يرجّح أن يكون القاضي منشغلاً بتدبير حاجاته وحاجات أسرته الأساسية أكثر من حرصه على إحقاق الحق للآخرين. ويبحث العديد من الضباط والمحققين والموظفين عن موارد دخل وعن وظائف إضافية، أو عن سبيل للهجرة.

ونظراً للظروف الخانقة، قد لا يكترث أحد لخطر تضارب المصالح. فلا خطر كبيراً من قيام شرطي بتعطيل السير إفساحاً لمجال مرور سيارة صاحب عمله الثاني، ولكن يختلف حجم الضرر عندما يتعلّق الأمر بقاضٍ يحكم، وضابط يحقّق، ومدير يقرّر، وحارس مؤتمن.

سقط العدل.

هل من يعيد رفع الميزان؟

◆ المباحث العلمية

في أحيان كثيرة، قد تكون علامات الرباط الدليل الوحيد المتاح في حالات الاختناق إما بسبب الشنق أو الخنق. لذلك، يلجأ الخبراء الجنائيون إلى فحص علامات الرباط وتحليل المعلومات المقدمة منها، للوصول إلى السبب الأكثر احتمالاً للوفاة. تقدّم هذه المعاينة الجنائية دليلاً تشخيصياً قوياً، وتعرض فحصاً تفصيلياً في ما يتعلق بمسار وعمق وعرض الحبل أو السلك أو المواد التي استُخدمت لأغراض الخنق أو الشنق

بين الشنق والخنق عقدة

■ جنان الخطيب

معلقة على جذع شجرة، على رؤوس أصابع قدميها، وجهها محتقن ومزرق، ماتت اختناقاً. على الفور، حضرت الأجهزة الأمنية إلى المسرح وباشرت التحقيق في الحادث. يبحث هؤلاء عن علامات وآثار الأربطة حول الرقبة ويلتقطون صوراً لها في مسرح الجريمة قبل أن ينظر إليها أخصائي علم الأنسجة (pathologist) بعمق أكبر في مرحلة التشريح.

عادة، تنتظر أنظار الخبراء الجنائيين إلى مسار الرباط واتجاه العقدة على عنق الضحية. هذه المعاينة تُمكّن الخبراء من تحديد ما إذا كان سبب الوفاة خنقاً أم شنقاً، في حين أنهم بحاجة إلى فحص المسرح بدقة وأخذ كل الأدلة الموجودة بعين الاعتبار لإبداء الرأي في ظروف الحادثة: فلحوادث الخنق والشنق ظروفها، إذ يمكن أن تكون انتحارية، أو جنائية، أو عرضية.

ولذلك، عند العثور على الضحية مشنوقاً أو مخنوقاً في البداية، يفحص الخبراء ثلاث فرضيات. يمكن أن تكون هذه الحادثة انتحاراً، أو جريمة قتل، أو موتاً عرضياً. ففي حين أن معظم قضايا الشنق حالات انتحار، نجد أيضاً حالات قتل مفبركة كالشنق الانتحاري. هذه الحالات نادرة جداً، وتكون الضحية عادةً عجوزاً، أو طفلاً رضيعاً، أو شخصاً تحت تأثير المخدر. في المقابل، معظم عمليات الخنق جرائم قتل، ولكن هناك أيضاً متوفون ماتوا انتحاراً بعد أن قاموا بشدّ الرباط ولفه عدة دورات حول العنق.

ولكشف حقيقة الحادثة وظروفها، يعتمد الخبير الجنائي في معاينته على فحص «علامات الرباط» الناتجة عن الحبل أو السلك أو المواد التي استُخدمت في تلك الحوادث. على الخبير أن يقوم بالفحص والتفسير المطول والدقيق لمسرح الجريمة والأدلة الموجودة وعلاقة بعضها ببعض، واستخدام المنطق الاستنتاجي العلمي الذي ينطوي على مقاربة شاملة ومكرسة للوصول إلى قرار نهائي وإيجاد التفسير الصحيح لكل الأضرار والآثار الموجودة.

> في لبنان، تُعطى الأهمية الكبرى أثناء التحقيقات إلى آثار العنف والكدمات على جسد الضحية للتفريق بين الموت الانتحاري والجنائي

«علامات الرباط» بوصفها دليلاً جنائياً

في كل من الخنق والشنق، تنتج علامات الرباط عن التلف الموضعي للجلد في الرقبة. تظهر هذه الآثار في أنماط وأحجام مختلفة عديدة تبعاً للمواد المستخدمة لأغراض الخنق أو الشنق. ويمكن أن تكون هذه العلامات فريدة من نوعها، كما في بعض الأقمشة والمواد، وهذا سبب أهميتها في التحقيقات الجنائية.

تظهر هذه العلامات على شكل «ثلم» على الجلد يُحدّد اتجاهه بواسطة العقدة (أو نقطة التعليق). يأخذ الثلم شكلاً يدل على طبيعة الأداة المستعملة: حزام صوفي، سلسلة معدنية، سلك كهربائي. أما أثناء الخنق اليدوي، فيمكن أن تكون علامات الأربطة هذه في بعض الأحيان بالشكل الدقيق للأصابع التي طبقت القوة على منطقة الرقبة على شكل جروح هلالية لأظافر الجاني. وقد يكون من الممكن في هذه الحالة استخراج عينات من الجلد لتحليل الحمض النووي. لهذه العلامات أهمية تشخيصية، وتتطلب فحصاً تفصيلياً في ما يخص مسارها وعمقها وعرضها.

ومع أن غضاريف الغدة الدرقية قد تنكسر في كل من الشنق والخنق، إلا أن موقع الكسور أو عددها ليس مهماً، بل المهم موقع الرباط بالنسبة إلى الكسر في سياق مشهد الوفاة. إذا لم تكن كسور الرقبة قريبة من ثلم الرباط وكانت هناك إصابات في أماكن أخرى من الجسم تشير إلى وجود صراع، فإن الحالة تكون أكثر اتساقاً مع جريمة قتل صُوّرت بكونها شنقاً انتحارياً. من ناحية أخرى، إذا لم تكن هناك إصابات أخرى في الجسم وكانت الكسور تتوافق مع موقع الثلم، فمن المحتمل أن تلك الهياكل العظمية قد تحطمت أثناء عملية الانتحار شنقاً.

الرباط يغيّر مسار التحقيق؟

توفّر معاينة الرباط والعلامات الناتجة عنه معلومات عمّا حدث عند ارتكاب الجريمة، وعمّا لم يحدث. كلّ ذلك باستخدام الأساليب العلمية، والأدلة المادية، والمنطق الاستنتاجي.

وما إن ينتهي الخبراء الجنائيون من استنتاجاتهم استناداً إلى هذا التحليل يُسلَّم التقرير إلى المحققين، ما قد يُغيّر مسار التحقيق بأكمله أحياناً. تُساعد هذه الاستنتاجات على تأييد إفادات الشهود أو حتّى دحضها، والأهم إدراج أو استبعاد الجناة المحتملين من التحقيق.

أمّا في لبنان، فتُعطى الأهمية الكبرى أثناء التحقيقات إلى آثار العنف والكدمات على جسد الضحية للتفريق بين الموت الانتحاري والجنائي، في حين تُهمَل المعاينة المجهرية الدقيقة للرباط وآثاره على عنق الضحية. في المقابل، من خلال المعاينة الجنائية لآثار الرباط يُمكننا كشف غموض حوادث انتحار مشبوهة عديدة حدثت في لبنان أخيراً، والتي سنقدم بعضها.

في 30 آذار الفائت، عُثر على السجين أحمد الكيّال معلّقاً بواسطة المنشفة القطنية الخاصة به. ومع أن التحقيق يجري بإشراف القضاء المختص، أصدرت الجهات الأمنية بياناً أوضحت فيه أنه بعد كشف الطبيب الشرعي على الجثة تبيّن أنها تخلو من أي آثار عنف أو جروح، ما يجعل الحالة متّسقة أكثر مع الانتحار.

تضاربت رواية الأجهزة الأمنية هذه مع رواية عائلة المتوفى. «جوزي ما انتحر» هذه الجملة التي ما تزال زوجة الكيّال تردها، ما جعل الحادثة أكثر غموضاً. في المقابل، من خلال المعاينة المجهرية الدقيقة لآثار المنشفة على عنق الضحية، وفحص المنشفة مجهرياً كان بإمكاننا على الأقل إبداء الرأي ما إذا كانت تلك العلامات معتادة للشنق الانتحاري، أو أكثر اتساقاً مع القتل الجنائي.

> لكشف حقيقة الحادثة وظروفها، يعتمد الخبير الجنائي في معاينته على فحص «علامات الرباط» الناتجة عن الحبل أو السلك أو المواد التي استُخدمت

أمّا الحادثة الثانية، فهي العثور على مائيو علاوي جثّة معلّقة في أحد المنازل في منطقة كسروان. تعددت الروايات حول سبب الوفاة بين الانتحار والقتل، فيما التحقيقات ما زالت مستمرة. في هذه الحالة، يجب معاينة ومراقبة مسرح الجريمة بدقة أكبر، بما في ذلك نقطة التعليق، وعدد حلقات السلك حول عنق الضحية، وموقع العقدة على العنق، وموقع السلك بالنسبة إلى الكسر، للتأكد ما إذا كانت الكسور في العنق تتوافق مع موقع الثلم. كل هذه المعلومات مهمة جداً للتأكد ما إذا كانت هذه المشاهدات تتسق مع الانتحار أو إذا ما تبع التعليق القتل خنقاً.

الطلاء يحلّ اللغز

ليس سهلاً دائماً على الخبير الجنائي التفريق بين الشنق قتلاً أو انتحاراً، خاصة إذا عُلّقت الضحية ثم خُنقت. لذلك يلجأ الخبراء أحياناً إلى البحث عن آثار أي مواد عالقة بالرباط يمكن أن تساعد في تحديد ظروف الحادثة. هذا ما حدث عندما بدأت الشكوك تحوم حول انتحار مسنّ في سريره في دار للعجزة. بعد التوسع في التحقيق، صرحت العاملة بأنه شنق نفسه حين علّق طرف الحزام على عارضة باب غرفته. لذلك، أجريت دراسة جنائية مجهرية للحزام والعارضة. جاءت النتائج العلمية كافية لاستبعاد الانتحار بالطريقة التي وُصفت: لا يوجد على الحزام أي آثار من الطلاء الموجود على عارضة الباب، ولم تُوثّق آثار لانزلاق الرباط. وكذلك، فإن مسار انحناء الألياف داخل الحزام يؤكد أن الرباط قد شُدّ بواسطة شخص آخر. هذه كلها تتسق مع القتل الجنائي!

◆ أحدث تقنيات التحقيق

كاميرا جنائية جديدة

ما خفي أعظم

هل يمكننا اكتشاف ضرر على جسد الضحية قبل أن يظهر على الجلد؟
نعم، أصبح هذا ممكناً بعد تطوير تقنيات التصوير الضوئية. يستخدم خبراء الأدلة الجنائيون هذه التقنية الجنائية الجديدة على جسد الضحية للبحث عن آثار الجروح وعلامات العض والكدمات، قبل أن تصبح ظاهرة على الجلد بالعين المجردة. تستخدم هذه التقنية الضوئية الضوء الأزرق والعدسات البرتقالية لمعرفة ما إذا كانت الآثار قد ظهرت تحت الجلد، في حين تساعد الأشعة فوق البنفسجية على تعزيز صورة الآثار تلك. في المقابل يُستخدم التصوير بالأشعة تحت الحمراء لإظهار الدماء التي يصعب رؤيتها على الجلد.

15 دقيقة

الوقت الذي تستغرقه الحشرة كي تكتشف وفاة شخص. تلك الجثة التي تشكل الحاضنة، والمخبأ، ومحطة التغذية للحشرة. كل ذلك في مكان واحد.

«نقطة التعليق»، السهو القاتل

في جرائم قتل مفبركة عديدة، يلجأ المجرم إلى فبركة مظاهر الشنق في محاولة منه لإخفاء معالم الجريمة. لتصوير الحادثة بوصفها شنقاً انتحارياً، يعلّق الجاني الضحية بعد خنقها، ويرتّب المكان لإخفاء أي مظاهر للعراك، وربما يكتب رسالة انتحار أيضاً، إلا أنه يقع في أخطاء عمليّة تظهر من خلال فحص مسرح الجريمة من الخبراء.

من تلك الأخطاء، نقطة التعليق. ففي حوادث الشنق الانتحاري، تستطيع يد المنتحر الوصول إلى نقطة التعليق مباشرة أو بالاستعانة بكرسي مثلاً. أما في بعض جرائم الشنق المفبركة، يعلّق الجاني الضحية تعليقاً تاماً، مع غياب أي منصة تساعدها للوصول إلى تلك النقطة.

◆ مختبر جناني

شهد لبنان بين عامي 2018 و2021 أكثر من 15136 جريمة سرقة ونشل، وأوقفت قوى إنفاذ القوانين 13064 شخصاً مشتبهاً بهم وأحالتهم إلى القضاء المختصّ. لكن يبقى كامل عدد مرتكبي جرائم السرقة والنشل مجهولاً ومن دون ملاحقة بسبب النقص في عديد وموارد الضابطة العدلية. ولا شك ان للأزمة الاقتصادية والصحّية أثر كبير على أداء المؤسسات الأمنية والقضائية يضعف عملها وقد يؤدي إلى زيادة نسب الجريمة في ظل تراجع القدرة على الرصد والمتابعة والتعقّب بدقّة

يد خفيفة وظروف ثقيلة
ما وراء النشل

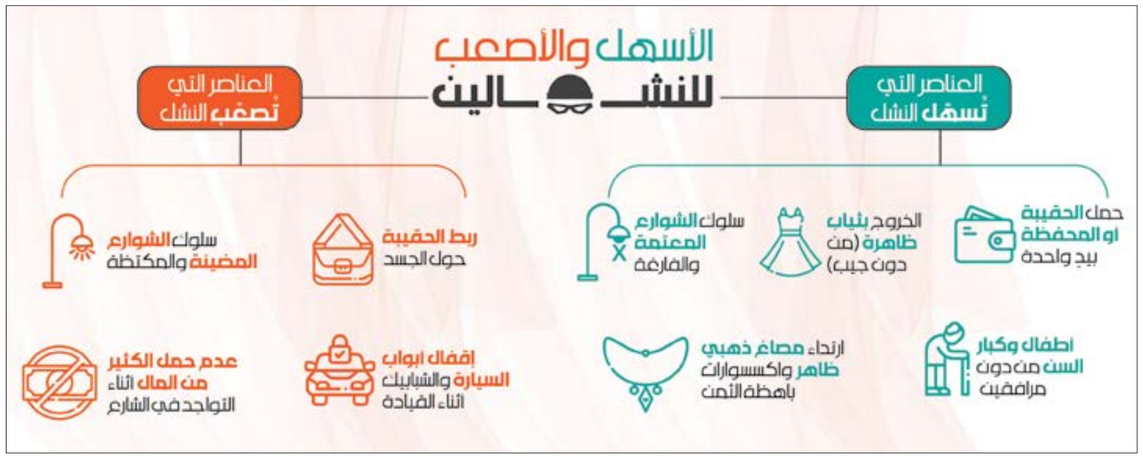

■ احمد مدلج

أين تذهب المضبوطات؟

عند إلقاء القبض على مجرم إرتكب جريمة السرقة وتُضبط بحوزته الأموال والمسروقات، تقوم الضابطة العدلية أولاً بإبلاغ الضحية إذا تطابقت مواصفات المسروقات مع ما أدلى به الضحية في الشكوى. وإذا تعذر على القوى الأمنية كشف هوية صاحب المسروقات، تقوم الضابطة بتسليمها إلى القضاء أي النيابة العامة التي تصدر تعميماً عن المضبوطات المسروقة في المخافر لكي يتم إبلاغ الضحايا عنها.
وتبقى هذه المسروقات في حوزة القضاء وتحديداً النيابة العامّة إلى حين عودتها إلى أصحابها من دون أن يتم تلفها أو مصادرتها.

أقنع داني صديقه أن يعيره دراجته النارية غير المسجّلة (في الدوائر الرسميّة) لقضاء مشوار مستعجل. سريعاً انطلق ابن الـ 27 عاماً من منطقته حي السلم إلى منطقة الجاموس المكتظة في الضاحية الجنوبية لبيروت. وعلى مدى ثلاثة أيام متتالية، أعاد الشاب هذا السيناريو في الوقت نفسه. كان يقصد المنطقة عند الساعة الثامنة مساء، ويقف على طرف أحد شوارع الجاموس الفرعية المعتّمة حيث يقع محل تجاري كبير لبيع المواد الغذائية. كان يراقب المارة. وقد اختار داني هذا الشارع بالذات لأنه معتم ونادراً ما تمرّ به دوريات الشرطة. ولم يتأخر في تحديد فريسته: سيدة أربعينيّة تحمل حقيبة مصنوعة من جلد أسود "أصلي"، تتردد إلى المحل وحدها بشكل متكرر. في اليوم الثالث، بينما كانت السيدة تحمل حقيبتها وعدة أكياس متوجهة إلى سيارتها، انقضّ عليها داني. هجم عليها بسرعة دراجته النارية وانتزع منها الحقيبة. تناثرت الأكياس والأغراض، وسقطت المرأة على الأرض وبدأت تصرخ وتطلب النجدة. أكمل داني سبيله نحو طريق فرعي وعاد ادراجه إلى منزله حيث أفرغ الحقيبة من محتواها ليجد 600 ألف ليرة لبنانية وهاتفاً خليوياً، بالإضافة إلى أوراق ثبوتية. أخذ الأموال والهاتف ووضع الأوراق الثبوتية في كيس رماه أمام أحد المباني في منطقة الصفير.
حدق داني في صور أطفال الضحية على شاشة الهاتف المسروق. شعر بالخجل. طاطا رأسه وسارع إلى إطفاء الهاتف والتخلص منه. وصار يجمع في ذهنه كل ما يمكن أن يبرّر فعله الجرمي. وهو يدرك تماماً أن لا علاقة للضحية بتلك المبررات.

وصار يجمع في ذهنه كل ما يمكن ان يبرّر فعله الجرمي. وهو يدرك تماماً أن لا علاقة للضحية بتلك المبررات

600 ألف ليرة تغطي جزءاً من كلفة اشتراك مولد الكهرباء أو من أقساط مدارس أولاده أو ثمن دواء لوالدته المريضة.
"ما حدا بيطلع فينا، لا دولة، لا نائب، ولا وزير، ما حدا..." ويتابع داني محاولات التبرير وكأنه غير مقتنع بها أصلاً. صرف الأموال ومضى، وهو يحاول أن ينسى ما حصل ويتمنى أن ينسى لكنه يقول "اني قاعد بلا شغل بلا شي .. شو بدك باني اعمل، عندي عائلة".
هذا أيضاً ما يكرره بلال الذي امتهن النشل خلال الأشهر الماضية من خلال تنقله على دراجته النارية المسروقة أصلاً. يقيم بلال في حي فقير في الأوزاعي ويقول إن غالبيّة ضحاياه في مناطق الروشة والحمرا والجميزة. للشاب "يد خفيفة" وفق ما يقول زملاؤه للإشارة إلى سرعته في تنفيذ الجريمة فور تحديد الضحية. يبحث عن الأغراض الثمينة داخل الحقائب المسروقة ويرمي ما لا حاجة له في مكب النفايات. بلال يتعاطى المخدرات ولا يشعر بالخجل، أو هو يتعاطى المخدرات كي لا يشعر بالخجل.
تحتل بيروت الصدارة في عدد جرائم النشل بحسب إحصاءات المديرية العامّة لقوى الأمن الداخلي. 1128 جريمة نشل في العاصمة بين الأعوام 2018 و2021. ويلي بيروت محافظة جبل لبنان حيث بلغ مجموع جرائم النشل 685. فيما لم تتعد هذه الحوادث 23 حادثة في البقاع والشمال والجنوب. وإذا كان معدّل جرائم النشل متوقعاً في بيروت حيث الأسواق الشعبيّة والأحياء المكتظّة، فإن انخفاض نسب هذه الحوادث خلال العام 2020 قد يكون ناتجاً عن الإغلاق العام ومنع التجول لمكافحة انتشار فيروس كوفيد 19 وما نتج عنه من تراجع الاكتظاظ في المحلات التجارية والأسواق والطرقات. وبالتالي ارتفعت نسب جرائم السرقة والنشل 144% خلال العام 2021 بسبب الفك التدريجي للإغلاق العام واشتداد الأزمة الاقتصاديّة. سجّلت الضابطة العدلية 210 جريمة نشل بين كانون الثاني وأيار 2021، أي بمعدّل 42 جريمة نشل في الشهر الواحد.
علماً أنّ نسبة كبيرة من المواطنين لا تعمد إلى التبليغ عن حوادث النشل لأسباب كثيرة، منها أن بعضهم يجزم أن التبليغ مضيعة للوقت بسبب اقتناعهم بعجز الأجهزة الأمنية عن استرجاع المسروق.
تُعدّ الدراجة النارية الصغيرة هي الأكثر استخداماً من قبل النشالين، لعدم حاجتها إلى أكثر من دقيقة لتنفيذ خطتهم والفرار من مسرح الجريمة. في حين أتت جائحة كورونا لصالح النشالين الذين بات بعضهم يستخدمون الكمامات لتغطية أفواههم، بالإضافة إلى ارتدائهم للقبعات أو الخوذات مما يُصعب أيضاً من التعرف على وجوههم في حال تمّ رصدهم عبر الكاميرات الموجودة في المكان.
أمّا أبرز أنواع الأغراض "المنشولة"، فهي الحقائب والهواتف والمصاغ الذهبي: سُجّلت سرقة 814 حقيبة و735 هاتفاً و228 محفظة و39 مصاغاً ذهبياً بين الأعوام 2018 و2021 بحسب إحصاءات قوى الأمن الداخلي. وتنحصر غالبيّة السرقات في بيروت وتحديداً في منطقة بيروت الأولى (الأشرفية، الرميل، المدور والصيفي) وبيروت الثانية (راس بيروت، دار المريسة، ميناء الحصن، زقاق البلاط، المزرعة، المصيطبة، المرفأ والباشورة).

(هيلم الموسوي)

تُعدّ الدراجة النارية الصغيرة الاكثر استخداماً من قبل النشالين

سجّلت جرائم السرقة والنشل ارتفاعاً ملحوظاً وصل إلى 144%

ضحايا منسيون؟

ومع ازدياد نسبة البطالة ومعدلات الفقر واستفحال الأزمة الاقتصادية مع ما تبعها من غلاء أسعار المواد الغذائيّة، طرأ على سوق عمل النشالين أشخاص جُدد، بيد أن هؤلاء لا تعنيهم الحقائب والهواتف. جلّ ما في الأمر أنّهم يريدون تأمين ما يسدد كلفة حاجاتهم وحاجات عائلاتهم الأساسية. أصبحت هذه الجرائم "شبه عادية"، بحسب تعبير أحد الضباط الذي يبرر عدم الاكتراث الأمني لهذه القضايا بنقص العديد والإمكانيات. نشطت في كلّ المحافظات سرقة المواد الغذائية وحليب الأطفال وسرقة مبالغ قليلة من جيوب المارة علّها تفي بالغرض. هذا ما حصل مع رامي الذي اشترى الحليب والمواد الغذائية ووضعها على سطح سيارته ريثما يفتح باب السيارة ليفاجأ بشخص مقنّع يسرقها قبل أن يهرع على متن دراجته النارية باتجاه طريق فرعي. يُعد رامي من بين الضحايا غير المسجّلين إذ رفض تقديم بلاغ إلى القوى الأمنية بعد وقوع حادثة النشل، بقوله: "الله يعين الناس، إذ إنّ عدداً كبيراً من المواطنين غير قادرين على تأمين الطعام والدواء لعائلاتهم".
في المقابل، حاولت ليا التوجه إلى المخفر بعد انتهاء عملها، أي في اليوم التالي على وقوع حادثة النشل، والتي حصلت أثناء ذهابها إلى النادي الرياضي سالكةً طريقاً فرعياً محاذياً لحديقة الصنائع. ولأنّ الشارع كان شبه فارغ، لم ينفع صراخها في إيقاف السارق الذي جرّها أثناء سحبه لحقيبتها من على دراجته لمسافة أكبر من 20 متراً. أما في المخفر، فكان المشهد مغايراً إذ رفضت الضابطة العدلية تسجيل شكواها بسبب مرور أربع وعشرين ساعة على وقوع الجريمة. وخسرت ليا بذلك طابع الجريمة المشهودة التي نصت عليها المواد 41 وما يليها من قانون أصول المحاكمات الجزائية، والتي تشير إلى مهام النيابة العامة الاستئنافية (لا المخفر) وإجراءاتها عند وقوع جريمة غير مشهودة لإعطاء الموافقة والتوجيهات للضابطة العدلية للتحقيق في الجريمة.
أما آلين (اسم مستعار) التي سرق منها خاتم ذهبي كانت قد اشترته لإهدائه إلى والدتها، فاستطاعت التعرّف على السارق حينما ألقت الضابطة العدلية القبض على عدد من المشتبه بهم ومن بينهم واحد تنطبق عليه المواصفات التي أدلت بها آلين. وحينما أتت إلى المخفر وتعرّفت إلى المشتبه به استطاعت استرجاع أموالها والخاتم.
في حين لا تلقى غالبيّة شكاوى الضحايا، المصير نفسه. هذا ما يقوله مثلاً يوسف وتمارا اللذان تقدما بشكويين وفقاً للأصول أمام الضابطة العدلية، ولكنهما يشيران إلى أنّ الأخيرة لم تتعامل معهما بجديّة أو أنّها لم تكن تملك أدلة كافية لاستكمال التحقيق.
وفي هذا الإطار، بلغت يوسف الذي تعرّض لعملية نشل لهاتفه أثناء وقوفه على إشارة السير في منطقة الجديدة خلال العام 2020، إلى أنّ القوى الأمنيّة لم تستطع إلقاء القبض على الجاني بسبب عدم وجود كاميرات في المنطقة.
في حين أن تمارا التي وقعت ضحية أعمال النشل لمرتين الأولى في العام 2015 في منطقة الحدث والثانية في بداية العام 2021 في منطقة الغبيري، لم تستطع إعطاء مواصفات دقيقة للسارق الثاني الذي كان يضع خوذة على رأسه وكمامة تغطي فمه، وارتكب فعلته بسرعة البرق.

كيف تشتكي الضحية؟

يتوجه ضحايا النشل إلى المخفر التابع لمكان وقوع الجريمة. إذا وقعت جريمة النشل في محافظة جبل لبنان مثلاً، وكانت الضحية من سكان محافظة بيروت يجب على الضحية التوجه إلى المخفر الواقع في محافظة جبل لبنان. أما إذا وقعت الجريمة في محافظة بيروت، منطقة الأشرفية على سبيل المثال، يجب التوجه إلى المخفر الواقع في منطقة الأشرفية حصراً ضمن أول 24 ساعة من ارتكاب الجريمة المشهودة. وفي حال تعذّر تقديم شكوى ضمن الـ 24 ساعة من ارتكاب الجريمة، يجب على المعتدى عليه تقديم شكوى أمام النيابة العامة ضمن المحافظة التي وقعت فيها الجريمة (المواد 24-25-27-47-48 من قانون أصول المحاكمات الجزائية)، إذ لا يُعد المخفر أو الضابطة العدلية المرجع المختص لتقديم الشكوى كون الجريمة أصبحت غير مشهودة، فلا يمكن للضابطة العدلية إجراء التحقيقات في الجريمة الغير مشهودة عبر شكوى من قبل الضحية بل فقط عبر أوامر من النيابة العامة.

المشتبه فيهم بالسرقة والنشل

أحداث تحت 17 عاماً
652

18 - 40 عاماً
9,875

41 - 60 عاماً
2,238

فوق 65 عاماً
230

قاووش

«كل يوم مية مشكل والعترة على المعتّر ما بيطلعلو دور يحكي» قال موقوف في سجن رومية لدى سؤاله عن التواصل مع ذويه عبر الهاتف. فرضت تحديات أزمة انتشار فيروس كورونا، والاكتظاظ داخل السجون، والنقص في عدد الهواتف الارضية المخصصة للسجناء، والانهيار الاقتصادي المتسارع، واقعاً جديداً ضاعف المعاناة. قلّت زيارات الأهل، وشحّت الامانات والقدرة الشرائية من الحانوت، وانقطع الاتصال بالعالم الخارجي إلى حدّ بعيد

زيارات قليلة وهاتف معطّل

ارتفاع كلفة الاطمئنان

■ احمد السيد مرتضى

تهدف عقوبة السجن في القانون إلى حماية المجتمع وإصلاح السلوك الجنائي، غير أن الأزمة الصحية والمعيشية الحادة التي يمرّ بها لبنان، والبطء المستمر ببت الملفات القضائية، وأوضاع السجون المزرية، فرضت واقعاً يعطّل الوظيفة الأساسية للعقوبة. وخلافاً للقانون والأصول، باتت العقوبة مضاعفة، وتطال حقوق السجناء الإنسانية، وتتجاوز قواعد الأمم المتحدة النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء. أما معاناة آلاف الموقوفين الذين يفترض أن يُعدّوا أبرياء حتى تثبت إدانتهم تحت قوس المحكمة فحدث ولا حرج. بعضهم محتجز خلافاً للعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي يشدّد على وجوب الإسراع في إحالتهم إلى المحكمة.

لا تقتصر مشكلات السجون على السجن المركزي في رومية، بل تشمل كافة السجون الـ 24 الموزعة في أنحاء البلاد. صفاء (إسم مستعار) والدة محكوم يقضي عقوبته في سجن القبة. تتحدث صفاء عن «عذاب» ابنها بسبب ظروف السجن، وتشكو معاناتها في ظل الأوضاع الاقتصادية الخانقة، وتقول باكية إن الاطمئنان على ابنها وسماع صوته ولو مرة في الأسبوع بات صعب المنال. فكلفة الزيارة من مواصلات وشراء بعض الحاجات الأساسية أصبحت مكلفة جداً. أما التواصل مع ابنها من خلال هواتف «أوجيرو» الأرضية في السجون فباتت غير متوفرة إلى حد كبير.

> «العترة عالمعتّر ما بيطلعله دور يحكي»
>
> 10 هواتف أوجيرو لقرابة 1000 سجين

للاطمئنان على ابنها، تتكل أم السجين على زيارة تقوم بها مرة كل شهر، من دون أن تتمكن من تلبية بعض حاجاته بسبب الارتفاع الجنوني لأسعار بعض السلع مثل الدخان والصابون والمواد الغذائية. لا تنكر صفاء أن ابنها ارتكب جرماً، وأن عليه أن يقضي عقوبة سجنية، ولكنها تسأل عن الجرم الذي ارتكبته لتُحرَم من حقها الاطمئنان على ابنها وسماع صوته ولو مرة في الأسبوع.

تهريب وتلكارت

لم تكن عملية تهريب الهواتف النقالة إلى داخل سجون لبنان مهمة صعبة خلال السنوات الفائتة. ولم تتمكن القوى الأمنية المكلفة بحراسة السجون من ضبطها ضبطاً كاملاً. ولكن الواقع تغيّر، لا بسبب تكثيف التفتيشات، بل بسبب تقلّص نسبة طلب الحصول على هواتف خلوية مهرّبة بعد ارتفاع كلفتها وكلفة تهريبها. قد تزيد كلفة الهاتف المهرّب في السجن عن ألفي دولار أميركي تُدفع نقداً للجهة المهربة من خلال «وسترن يونيون». يفوق هذا المبلغ قدرة ذوي غالبية السجناء المالية.

وبالتالي، لم يبقَ أمام السجناء سوى الهواتف الأرضية التي يفترض أن توفرها إدارة السجن في أوقات محددة. لكن الهواتف الأرضية لا تكفي لتلبية حاجات السجناء، فعدد الهواتف التي ركّبتها شركة «أوجيرو» في السجون لا يتناسب مع عدد السجناء. أضف إلى ذلك الأعطال المتكررة التي تطرأ على هذه الهواتف، وتعرّضها للتخريب في بعض الحالات، والبطء في صيانتها وإصلاحها.

يضم مبنى المحكومين في السجن المركزي في رومية مثلاً قرابة 1000 سجين، وقد خُصّصت له 10 هواتف «أوجيرو» في الطابق السفلي. نصف أعداد الهواتف معطّلة بحسب بعض السجناء وبالتالي، يتهافت المئات للتمكن من إجراء مكالمة سريعة للحديث مع أولادهم أو زوجاتهم أو والديهم، علماً أن تواصل السجناء مع ذويهم خارج قضبان السجن أحد أهم ركائز إصلاح السلوك الجنائي بحسب أدبيات علم العقاب وإعادة التأهيل.

مشكلة الاتصالات معلّقة في بلد يعاني على كل الأصعدة. لم ترحمه كورونا مثلما لم ترحمه الأوضاع الاقتصادية السيئة. فكيف يمكن لأم تسأل عن ابنها أن ترسل له تحية في بلد ضاع فيه الكلام؟

يانصيب

«تلكارت» بطاقات معدة للهاتف العمومي، مدفوعة مسبقاً لاستخدامها عند الحاجة. تمنح كل بطاقة أوقاتاً مختلفة من المكالمات بحسب سعرها. ولكن بعض السجناء أطلقوا عليها اسماً جديداً هو: «ورقة يانصيب»، حيث لم تعد بطاقات «تلكارت» التي يشتريها السجناء من الحانوت متوفرة بشكل كاف خلال الفترة الأخيرة. وكذلك، بعضها معطّل، وقد تكون خالية الرصيد بعد دفع ثمنها مسبقاً. بات شراء بطاقة «تلكارت» مثل «سحب ورقة يانصيب»، بحسب تعبير أحد الموقوفين في السجن المركزي.

(هيثم الموسوي)

بورصة الحانوت

سجن رومية المركزي	
سيدرز قصير (علبة)	11.500 ل.ل
رز مصري (كيلو)	30.000 ل.ل
زيت (2.8 ليتر)	199.111 ل.ل
ملح ناعم (كيلو)	6.740 ل.ل
مياه ريم كبير صندوق	31.250 ل.ل
محارم صغيرة (كيس)	15.730 ل.ل
فول (400 غرام)	14.580 ل.ل
حمص (علبة)	20.490 ل.ل
دواء جلي (عبوة)	26.500 ل.ل
دواء غسيل (عبوة)	24.660 ل.ل
شوكولا (لوح)	3.000 ل.ل
فاصوليا بيضا (كيلو)	43.790 ل.ل
مشروبات غازية (ميرندا)	8.833 ل.ل
بندورة بلدية (كيلو)	15.666 ل.ل
رز البندورة (علبة)	39.690 ل.ل
لحمة ناعمة (كيلو)	160.975 ل.ل
جبنة «سميدس» (8 قطع)	16.500 ل.ل
لبن (1/2 كيلو)	42.335 ل.ل
طحين «زيرو» (كيس)	8.000 ل.ل

هذه الاسعار تقريبية **(لتاريخ 20 كانون الثاني 2022)** ويمكن ان تتغير بين يوم واخر وقد تختلف عن اسعار الحوانيت في السجون الاخرى

برّاد للتهريب

كشفت مجموعة التفتيشات التابعة لسريّة السجون المركزية في وحدة الدرك، خلال العام الماضي، عن إحباط عملية تهريب هواتف خلوية مخبأة بطريقة احترافية داخل براد ومعدّة لتهريبها إلى داخل سجن رومية.

◆ بريد

إقطاع السجون

عندما دخلتُ إلى السجن، استفدتُ ممّا يُعرف بـ«لم الشمل» كي أُنقَل إلى زنزانة حيث النزلاء فيه من عائلات البقاع الأوسط. حينها شعرتُ بالراحة بما أنني سجين حديث العهد أو من يسمّوني بلغة السجن «دخول». ولكن هذه الراحة سرعان ما زالت لأنني اكتشفتُ تسلّط مجموعة من السجناء من عائلة واحدة على السجناء الآخرين إن كان داخل الزنزانة أو في المبنى كله. وتقوم هذه المجموعة ببيع اليطا (الفراش) الأبعد عن الحمامات وخدمات أخرى كالأفضلية في دخول الحمام والخروج. ومن يقصّر في الدفع يُعاقَب.

◆ جريمة في السينما

«Z» (1969) – كوستا غافراس

في 22 ايار/مايو 1963، اقدم رجلان على ضرب السياسي اليوناني غريغوريس لامبراكيس على راسه بهراوة، بعد القاء خطاب مناهض للحرب، وإقامة قاعدة صواريخ على الاراضي اليونانية امام المئات من انصاره. اثارت وفاته في المستشفى بعد خمسة ايام احتجاجاً شديداً ضد الحكومة اليونانية اليمينية. الهمّ دخولُ السياسة على خط العدالة وتعبئة الحقيقة الآلاف من الشباب اليوناني للانضمام إلى منظمات سياسية يسارية. في فيلمه الطويل الثالث «Z» (1969)، قدّم المخرج اليوناني كوستا غافراس سرداً خيالياً للاغتيال والاحداث التي اعقبته. يعكس الفيلم الاضطرابات السياسية العالمية في الستينيات، وإحباط حركات «اليسار الجديد»، والقمع الحكومي والقضائي والعسكري. ويصرخ بان العدالة التي تاتي من نظام قضائي مهترئ ومرتهن سياسياً هي بداية المعركة فقط. قبل 53 عاماً قدم غافراس فيلماً يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما يحصل قضائياً وسياسياً في لبنان اليوم

لا حلول آمنة مع قضاء مهترئ

■ شفيق طبارة

يبدأ «Z» باجتماع عسكري، يشرح فيه أحد العلماء المراحل المختلفة لإصابة النبات بالعفن. تتحرك الكاميرا على وجوه الجنرالات غير المهتمين بالحدث. تظهر على الشاشة الحقيقة الأولى التي يريد غافراس إظهارها: «أي تشابه بين الشخصيات والأحداث مع أحداث حقيقة وأشخاص أحياء أو ميتين ليس محض صدفة، بل مقصود». ينتهي عرض العفن، ويتقدم رائد عسكري بحماس ليصف برنامج الحكومة لصد أي جماعة (الشيوعية، الاشتراكية، الأناركية) من التسلل إلى المجتمع، مثل العفن الذي يصيب النبات. تمهّد المقارنة بين الأيديولوجيات والأمراض الطريق إلى بقية الفيلم: الحكومة والشركة والجيش والقضاء يرون أنفسهم «أجساماً مضادة» مصممة على القضاء على أي شخص يحمل «أمراضاً اجتماعية»، بغض النظر عن التكلفة البشرية.

في معظم أفلام الاغتيالات السياسية والقضائية، يكون عنصر المؤامرة مجرد ذريعة للرسالة السياسية في بلد محدد. يعمل «Z» على كلا المستويين. تستند القصة إلى أحداث حقيقة، ولكن غافراس لم يذكر اسم اليونان في الفيلم على الإطلاق. يمثّل آيف مونتان دور الزعيم «Z» الذي اغتيل، ويسير الفيلم على خطى التحقيق القضائي اللاحق بعد القتل. يسلط الفيلم الضوء على خريستوس سارتزيتاكيس (جان لوي تريتينيان) القاضي المحايد سياسياً، ويكشف عن مدى الفساد القضائي والسياسي وممارسات الترهيب. يظهر الفيلم المعركة الكلاسيكية بين الفرد والدولة، وينادي بأهمية الالتزام بالديمقراطية والدستور والدفاع عن القانون والنظام القضائي المستقل. قالها غافراس لنا منذ 53 سنة: السياسة تشبه تسليط العنف على هدف. العلاقات السياسية غير إنسانية، هيمنة السياسة والفساد على القضاء لعبة لا يفوز فيها أحد، ويكون الفائز من تعرض لأضرار أقل. لا حلول آمنة. تماماً كما ذكرنا في المقال السابق: «الأمان أو الحقيقة»

لا شرف في لعبة يملي الكبرياء فيها القواعد، وتكذب حكومة فيها على شعبها بشأن الديمقراطية، وتعمل جماعة سياسية بالتنسيق مع الشرطة والقضاء، وتُفرّق مظاهرات لأن الحكومة لا تريد أن تسمع. نرى في الفيلم كيف يحاول القاضي، ضمن المساحة المسموحة له، أن يبقى على «الحياد» طوال فترة التحقيق. كلما ترد الإشارة على أن الهجوم على «Z» محاولة قتل، يصححها القاضي ويقول: «حادث»، ويشير إلى الأكاذيب بوصفها «حقائق فاسدة». مع تقدم الفيلم نراه يرضخ ويستسلم للحق. أثناء حديث مع أحد الشهود يقول الشاهد: «جريمة قتل»، فيسأل كاتب المحكمة القاضي: «هل أكتب، قُتل؟». لذلك بدلاً من تحقيق العدالة، يُبعد المدعي العام في ظروف غامضة عن القضية، يموت شهود عديدون في ظروف مريبة، يُحكم على القتلة بأحكام قصيرة نسبياً، يتلقى الضباط توبيخاً إدارياً فقط، يموت المقربون من النائب العام أو يُرحَلون، تُسرَّب وثائق سرية عن التحقيق إلى صحفي. وقبل الحقيقة يحدث انقلاب، يحظر الفن والموسيقى والروائيون والفلاسفة. نرى حكومة قمعية، تحاول حرف التحقيقات بأي ثمن، من محاولات اغتيال إلى خلق مجموعات دينية وسياسية حيادية، وصولاً إلى خلق صراع ثلاثي الفكر في المجتمع. يتلاعب السياسيّون بهذه المجموعات، يظهرون أنفسهم بكونهم محايدين، ولكنهم يقدمون الولاء للقوي، ويتخلصون من أفكارهم الحيادية حين يوعدون بمناصب سياسية. حين يخلق السياسيون ببادق تعيش على الغرور ويكتفي الواحد منهم بالظهور على غلاف جريدة ليتعصب لحقيقة بعينها، ما يخلق حقيقة زائفة. كل هذا يخلق في المجتمع ثلاثة أفكار، مع العدالة، مع الحكومة، ومستقلين زائفين مصطفين مع القوي، ما يميّع الحقيقة والتحقيق ولا يربح أحد!

> نرى في الفيلم كيف يحاول القاضي البقاء على «الحياد» طوال فترة التحقيق
>
> ما يحصل في لبنان حصل في فيلم «Z» بالضبط

الحقيقة قابلة للتلاعب، وغافراس يعرف هذا تماماً. حقيقة حاولت كل شعوب العالم الوصول إليها. في لبنان، لم يتوقف النضال من أجل الحقيقة، ولكن ما يحصل دائماً هو ما حصل في فيلم «Z» بالضبط.

أسئلة لا بد منها

■ ما أهمية الأفلام والتصوير السينمائي للجريمة في نظرية علم الجريمة؟ أو كيف تؤثر السينما على رؤية الناس للجريمة وللمحاكمات ومعايير العدالة والإنصاف؟

■ ما المعتقدات الشائعة حول المجرمين التي يُحتمَل أن تنشأ من السينما، سواء كانت نظرة إيجابية أو سلبية؟هل تدفع السينما نحو التعاطف مع الضالعين في الجريمة والمخططين لها من خلال مغامراتهم وابتكاراتهم؟ أم يمكن لبعض الأفلام أن تساهم في تثقيف الناس بشأن مسار المحاكمات الصحيح، وتعريف الناس بقواعد العدل والانصاف؟

■ صُنعت بعض أنواع الأفلام، مثل أفلام السطو، خصيصاً لتصوير الجريمة. كيف تُمثَّل الجريمة في هذه الأنواع السينمائية؟

■ كيف تصوّر السينما عملية التفكير في القتل؟ وهل هناك تأثيرات تتجاوز الإرادة الحرة أدت إلى الجريمة؟

هذه عينة من أسئلة كثيرة، سنطرحها لاحقاً، سئلت في أفلام كثيرة، ونوقشت كثيراً. ولكن قبل الإجابة على هذه الأسئلة، فلندخل فعلياً الآن إلى السينما والأفلام، ولنستعرض من خلال تاريخ السينما أهم الأفلام التي تناولت هذه الموضوعات. وسندخل في مقالات لاحقة في تفاصيل كل فيلم بدقة أكثر.

القتل عملاً فنياً

قد تكون السينما عنيفة إلى حد لا يطاق وعدمية بدرجة وحشية. لطالما أرادت إخبارنا أن الفن الذي أتقنت الحضارة الإنسانية فعله هو فن القتل، من أول قتل للأخوة في الكتب المقدسة إلى الإبادة الجماعية والعرقية والحروب العالمية. حقق البشر تطوراً في قتل البشر، وتكشف السينما أن التاريخ ما هو إلا قصة القتلة المتسلسلين. السينما هي الوسيلة الأهم التي عكست رؤية الشاعر والمسرحي فريدريش شيلر (1759-1805) للقتل. بالنسبة إليه، القتل أعلى درجة من السرقة، إذ يُحكَم على القتل من منطلق جمالي، فيما يُحكَم على السرقة من منطلق أخلاقي. لا يمكن لأحد أن يخفي إعجابه بقاتل أو بعملية قتل. شاهدنا أفلاماً ومسلسلات ووثائقيات كثيرة تجمّل المجرمين، وترينا في الوقت نفسه كيف أن لهؤلاء المجرمين، مثل رتشارد راميريز وتشارلز مانسون وتد بندي، معجبون حقيقيون. أطلق الرسام الإيطالي كارافاجيو عام 1600 تنبيهاً قلقاً حيال المسؤولية التي يتحملها التعبير البصري. فهل يتحمل الفن والسينما بعض المسؤولية بشأن العنف البشري؟

لا يمكنك تحمّل الحقيقة!

«الحقيقة! لا يمكنك تحمّل الحقيقة!»، صرخ الكولونيل نايثان جيسب (جاك نيكلسون) بهذه الجملة الشهيرة في وجه المحامي دانيال كافّي (توم كروز) في قاعة المحكمة في فيلم «قلة من الرجال الصالحين» (1992). أصبحت هذه الكلمات كلاسيكية مباشرة، ومحفورة في الثقافة السينمائية. هناك حكمة عظيمة في هذا الاقتباس القصير، لأنه يعبر عن حقيقة مهمة: يعجز معظم الناس في الواقع عن التعامل مع الحقيقة، وتنبع مشكلات عديدة في حياتنا من إصرارنا على تجنب وإنكار صعوبة معرفة الحقيقة. والأهم، هل ستصبح الحياة أفضل حين نختار الحقيقة في كل شيء؟ عندما سمع دانيال هذه الجملة والكلمات (الحقيقة) اللاحقة، تجهم وجهه، ورغم أنه وصل إلى ما كان يريده إلا إنه لم يربح فعلياً. ومع أن الحقيقة كانت إلى جانبه، إلا أنها أدانته أكثر.

مكافحة الجرائم عام 2022

1. تركيب كاميرات مراقبة في بيروت، والجديدة وحلبا وصيدا للمساعدة على تحديد المشتبه فيهم في ارتكاب جرائم سرقة المؤسسات والدراجات النارية والمنازل وارد عهم
2. مداهمات اماكن تجميع وبيع الخردة والحديد خصوصاً، في الشمال نظرا لارتفاع جريمة سرقة الاسلاك الكهربائية
3. وضع حواجز لقوى الامن في مناطق الجديدة والضاحية وفي زحلة وبعلبك وطرابلس خصوصاً، نظرا لارتفاع جرائم سرقة السيارات والسلب فيها
4. مداهمة اماكن جمع قطع السيارات المستعملة في مختلف المناطق خصوصا في منطقة جونية
5. تعزيز المراقبة بالباس المدني لمكافحة جرائم النشل، خصوصاً في بيروت والجديدة
6. إطلاق حملات توعية لتنبيه الناس وخصوصا الإناث والشباب للوقاية من جرائم النشل

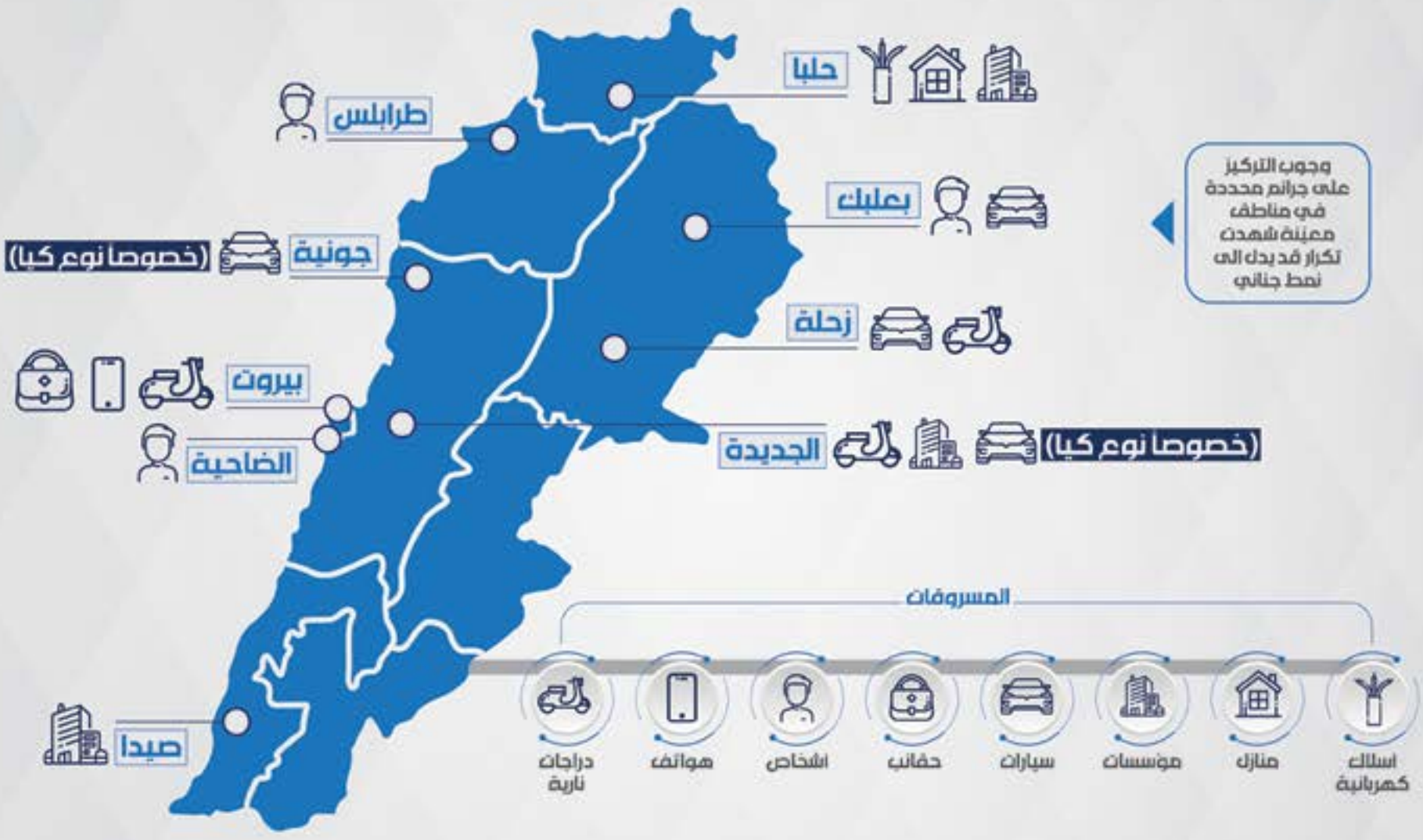

تواجه مؤسسات انفاذ القوانين وعلى راسها مؤسسة قوى الامن الداخلي تحديات صعبة

- نقص في الموارد المالية والبشرية يؤدي الى مضاعفة ضغوط العمل والى تراجع صيانة المراكز والعتاد
- تزايد حالات فرار العناصر والضباط من مراكز عملهم بسبب تفاقم الازمة المعيشية
- معاناة معظم الضباط والرتباء والعسكريين بشكل خاص بسبب عدم كفاية رواتبهم لتغطية حاجاتهم الاساسية
- نقص في التدريب والتجهيز والاختصاصات الامنية والحاجة الى تحديث القوانين لملاقاة تطور العمل الامني
- التدخل السياسي والطائفي في عملها ووجود ضباط «محسوبين» على جهات سياسية او طائفية

قامت القطعات المتخصصة في قوى الامن الداخلي بدراسة وتحليل الجرائم للعام 2021
ووضعت عدد من الاستنتاجات يمكن الاستناد اليها لوضع استراتيجية لمكافحة الجريمة للعام 2022

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة، صادق علوية، جنان الخطيب
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
info@alqaous.com
www.alqaous.com
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54 صادرة عن شركة أخبار بيروت